



وزارة التعليم العالي والبحث العلمي  
جامعة باتنة 1- الحاج لخضر  
كلية اللغة والأدب العربي والفنون  
قسم اللغة والأدب العربي



التلميح في الخطاب العربي القديم

دراسة تداولية في كتاب: جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة

لأحمد زكي صفوت

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في اللغة والأدب العربي  
تخصص: الدراسات اللغوية النظرية

إشراف الدكتور:  
محمد يزيد سالم

إعداد الطالب:  
الظاهر تركي

السنة الجامعية: 1444/1445هـ - 2023/2024م



وزارة التعليم العالي والبحث العلمي  
جامعة باتنة 1- الحاج لخضر  
كلية اللغة والأدب العربي والفنون  
قسم اللغة والأدب العربي



التلميح في الخطاب العربي القديم

دراسة تداولية في كتاب: جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة

لأحمد زكي صفوت

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في اللغة والأدب العربي  
تخصص: الدراسات اللغوية النظرية

إشراف الدكتور:  
محمد يزيد سالم

إعداد الطالب:  
الطاهر تركي

أعضاء لجنة المناقشة:

الرقم	الاسم واللقب	الرتبة العلمية	الجامعة	الصفة
01	عبد السلام عابي	أستاذ محاضر أ	باتنة 1	رئيساً
02	محمد يزيد سالم	أستاذ محاضر أ	باتنة 1	شرفاً ومقرراً
03	زوهير عبد السلام	أستاذ محاضر أ	باتنة 1	مناقشاً
04	عز الدين عماري	أستاذ التعليم العالي	المسيلة	مناقشاً
05	النذير ضبعي	أستاذ محاضر أ	أم البواقي	مناقشاً
06	عادل زواقري	أستاذ محاضر أ	خنشلة	مناقشاً

السنة الجامعية: 1445/1444 هـ - 2024/2023 م

الله أكبر

وَمَا أُوتِيتُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ

الاسراء: 85

# شكر و عرفان

خالص شكري وامتناني لأستاذي الفاضل الدكتور معمر حجيج، الذي أشرف أولا على هذا العمل، أسأل الله تعالى أن يجازيه خير الجزاء، وأن يبارك في عمره وصحته.

والشكر موصول إلى الأستاذ الفاضل الدكتور محمد يزيد سالم على قبوله مواصلة الإشراف على البحث خلفا للدكتور معمر حجيج بعد تقاعده، وأشكر له حرصه الشديد، وتوجيهه السديد الذي كان له أثر طيب على البحث، فجزاه الله خيرا.

ولا أنسى كل الأصدقاء الذين لم ييخلوا علي بالنصح والإرشاد، وانعكست توجيهاتهم إيجابا على البحث، وهؤلاء لن أوفيهم حقهم مهما فعلت.

كما أشكر أخيرا السادة الأساتذة أعضاء لجنة المناقشة على قبولهم مناقشة هذا العمل، فجزى الله الجميع خير الجزاء.

الطالب

مقدمة

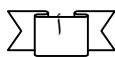
يتواصل الإنسان مع غيره بأشكال وطرق مختلفة، أبرزها اللغة، فهذه وظيفتها الأساسية، وهذا التواصل يتم بغرض التعبير عن الأفكار، وتبادلها مع الغير، ومحاولة التأثير فيهم. غير أن هذا التواصل لا يتم بالاستناد إلى الكفاية اللغوية فقط، وإنما تتضافر مجموعة من المعينات السياقية التي تؤثر في توجيه الأداء اللغوي، منها مقام المتكلمين، وعلاقات المتخاطبين، كما أن السياق الذي يحدث فيه التواصل قد يؤثر في العملية برمتها.

وقد اهتم علماء اللغة، على اختلاف توجهاتهم قديما وحديثا، بأطراف عملية التواصل، ودور كل عنصر في تشكيل الخطاب وتفسيره؛ فعنوا بالمتكلم، وافتراضاته عند إنتاج خطابه، ووسائله وأهدافه ومقاصده، كما عنوا بالمخاطب وآلياته لتأويل الخطاب، وربطوا كل ذلك بالسياق الذي يجري فيه التواصل، وبالملايسات التي يمكن أن تؤثر في الخطاب فتجعله يتخذ منحى دون آخر.

لقد لاحظ العلماء أن المتكلم لا يقصد دائما ما يقول، وقد يقصد أكثر مما يقول، كما أنه قد يقصد عكس ما يقول، لذلك ميزوا بين نوعين من المعنى؛ المعنى الحرفي الأول الذي يظهر من صيغة العبارة، والمعنى المستلزم الثاني الذي يصل إليه المخاطب بعد سلسلة من الإجراءات. والخطاب - بناء على هذا - يتخذ شكلين اثنين؛ مباشر، أو غير مباشر. لكن السؤال الذي يطرح هنا هو: لماذا يكلف المتكلم نفسه وينجز خطابا غير مباشر؟ أو: متى ينجز المتكلم خطابا غير مباشر؟

من هنا جاءت فكرة البحث؛ فهو يسعى إلى دراسة المعنى الكامن في الكلام بين المتكلم والمخاطب في سياق محدد، والذي يسمى (التلميح) ونعني به: أن يقصد المتكلم معنى يغير ما يظهر في سطح الخطاب. كما يهدف إلى دراسة القوى الإنجازية المصاحبة للعبارة، وبيان كيفية الانتقال من ظاهر المعنى، إلى المعنى المستلزم، كل ذلك بهدف الوصول إلى مقاصد الخطاب.

ولعل أهم سبب يدفع إلى دراسة التلميح هو شيوع هذه الظاهرة في الكلام في مختلف السياقات، ولعل كثرة اختلاط الناس، وتشعب العلاقات فيما بينهم، هو ما أدى إلى هذا الشيوع، فكان لزاما البحث في كيفية خروج الكلام على خلاف الظاهر، من أجل تأويل الخطاب تأويلا صحيحا.



لقد جاء البحث بعنوان: التلميح في الخطاب العربي القديم، دراسة تداولية في كتاب: **جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة لأحمد زكي صفوت**، ولذلك فهو يسعى إلى رصد آليات التلميح في الخطاب العربي القديم ممثلاً في خطب العرب في العصور المتقدمة، من خلال كتاب **جمهرة خطب العرب**. وهذا الكتاب مدونة متميزة، كونها تغطي مساحة زمنية واسعة، ومرحلة مهمة من مراحل تطور اللغة العربية، وهي مرحلة الذروة، أين كانت اللغة في أزهى عصورها، قبل أن تبدأ مرحلة التراجع. وهذه المدونة يتعدد فيها المتكلمون والمخاطبون، وتتعدد الموضوعات، ويتنوع الزمان والمكان، ويتسع فيها السياق، وتختلف المقامات، لذلك ستكون مدونة غنية بالخطابات التي تتناسب مع المواقف المختلفة، كما أنها ستكون غنية بالمحاورات والأخبار والقصص والحجاج، مما ينعكس حتماً على تنوع الأساليب والصيغ، وهذا كله يجعلها ميداناً خصباً تتجلى فيه ظاهرة التلميح محل الدراسة.

وقد حاول البحث الإجابة عن المشكلة العامة الآتية:

- ما الآليات التي ينتهجها المتكلم لينجز خطاباً تلميحياً؟ وكيف يستطيع المخاطب تأويل الخطاب التلميحى، والوصول إلى قصد المتكلم؟
- وللإجابة عن المشكلة المطروحة، يمكن أن نفرع عنها أسئلة جزئية كالاتي:
- لماذا يستعمل المتكلم التلميح في خطابه ولا يعبر عن قصده مباشرة؟ بمعنى: ما الأسباب والمسوغات التي تجعل المتكلم يعدل عن التصريح إلى التلميح؟
- كيف يتحكم السياق بأنواعه في توجيه الخطاب وتأويله؟
- ما الآليات النحوية والبلاغية والأصولية التي رصدها العلماء - القدماء خاصة - لإنجاز خطاب تلميحى؟



وقد اقتضت إشكالية البحث أن يجيء على الصورة الآتية:

- مقدمة.
- الفصل التمهيدي: تحديد المفاهيم.
- الفصل الأول: التلميح في الدراسات العربية والدراسات الغربية.
- الفصل الثاني: وسائل التلميح.
- خاتمة.

أما الفصل التمهيدي فخصص لتحديد مفاهيم ثلاثة؛ فتناول المبحث الأول مفهوم التداولية، حيث عرف بها وعرج على ظروف نشأتها. وتناول المبحث الثاني الخطاب، فعرف به وذكر أنواعه. أما المبحث الثالث فتناول السياق بأنواعه.

وأما الفصل الأول ففيه أربعة مباحث، حيث تم في المبحث الأول تعريف التلميح وتبيين المقصود منه. وحاول المبحث الثاني رصد ظاهرة التلميح في التراث العربي، وذلك عند كل من النحاة والبلاغيين والأصوليين. ودرس المبحث الثالث ظاهرة التلميح في الدراسات الغربية، واقتصر على نظرية الأفعال الكلامية عند أوستين وسيرل، والاستلزام الحوارية عند غرايس، كون أبحاثهم ألصق بظاهرة التلميح. أما المبحث الرابع فكان لتبيين أهم المسوغات التي تقف وراء استعمال المتكلم التلميح بدل التصريح.

وجاء الفصل الثاني ليقف على أهم وسائل التلميح، وتبيين كيفية اشتغالها التداولي، فكان المبحث الأول لدراسة الوسائل اللغوية والنحوية، متمثلة في الإشارات بأنواعها، التقديم والتأخير ثم الكنائيات. وكان المبحث الثاني مخصصاً للوقوف على الوسائل البلاغية، فدرس علم المعاني، مركزاً على ثنائية الخبر والإنشاء، فبين خروج الأساليب عن ظاهرها لتفيد معاني مجازية، كما درس وسائل علم البيان، مثل التشبيه بأنواعه، والمجاز العقلي، والمجاز اللغوي ثم الكناية. وأما المبحث الثالث فخصص للوسائل الأصولية، فتناول المنطوق غير الصريح بأنواعه؛ الاقتضاء، الإيماء والإشارة، كما تناول المفهوم بنوعيه؛ مفهوم الموافقة ومفهوم المخالفة.

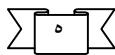
أما الخاتمة فكانت تلخيصا لما جاء في البحث، وعرضا لأهم الملاحظات والنتائج. وقد كان اعتمادي في هذا البحث على نوعين من المصادر والمراجع؛ الكتب التراثية وكتب المحدثين، فأما كتب القدماء فيأتي على رأسها كتاب سيوييه، وبعض كتب البلاغة كالطراز للعلوي، أو الدلائل للجرجاني، فقد بسطت الكثير مما له علاقة بالتلميح. كما أفدت كثيرا من كتب المحدثين خاصة في المجال التداولي، وأخص بالذكر إستراتيجيات الخطاب للشهري الذي فصل جدا في الإستراتيجية التلميحية، ولا يقل عنه فائدة كتاب: التداولية عند العلماء العرب لمسعود صحراوي، ولا بحث يحيى بعيطيش: الفعل اللغوي بين الفلسفة والنحو، ضمن كتاب: التداوليات علم استعمال اللغة. وقد اقتضى موضوع البحث في عمومته استعمال المنهج التداولي الذي يعنى بدراسة اللغة أثناء الاستعمال، مع التركيز على أطراف الخطاب، دون إهمال السياق الذي ينجز فيه الخطاب. مع الاستعانة بالمنهج التاريخي خاصة عند رصد تطور الأفكار وتسلسلها. كما أشير إلى أنني التزمت ببعض الأمور التي أبينها فيما يأتي:

- اعتمدت على المصحف الشريف برواية حفص، وقد نقلت الآيات الكريمة بخط المصحف، واكتفيت بذكر اسم السورة بين حاضنتين، لأن رقم الآية مدرج ضمينا فيها.
- إذا كان اسم المرجع طويلا أو مشهورا اكتفيت بذكر ما هو مشهور به في الهامش دون اسم صاحب الكتاب، مثل: الجمهرة أو الدلائل.
- نظرا إلى أن معظم الخطابات المأخوذة من المدونة ألفاظها صعبة وغير متداولة، لم ألزم نفسي بشرحها، إلا ما كان له علاقة بفهم النموذج الذي أنا بصدد التعليق عليه.
- قد تكون بعض النماذج طويلة نسبيا وذلك مراعاة للسياق، فلا يمكن تأويل خطاب معين ما لم ينظر في سياقه كاملا.

ولا شك أن أي بحث قد تعترضه صعوبات، وهذا البحث ليس بدعا منها، فقد اتضح أن الموضوع (التلميح) واسع جدا، وله وسائل كثيرة، مما استدعى الاقتصار على بعضها فقط، كما أن اتساع المدونة

قد صعب البحث أحيانا. يضاف إلى ذلك صعوبة التعامل مع بعض القضايا خاصة في مباحث أصول الفقه، فهو علم لا يفهمه إلا المتخصصون.

وفي الأخير أجدد شكري للأستاذ المشرف، الدكتور محمد يزيد سالم، على حرصه وتوجيهه، كما أشكر لجنة المناقشة على قبولها مناقشة هذا البحث، والله أسأل أن يجازي الجميع خير الجزاء، والحمد لله رب العالمين.



# الفصل التمهيدي: تحديد المفاهيم

المبحث الأول: التداولية

المبحث الثاني: الخطاب

المبحث الثالث: السياق

## المبحث الأول: التداولية

### المطلب الأول: مفهوم التداولية

#### 1- لغة:

يعود اشتقاق (التداولية) كمصطلح إلى الجذر (دول)، وتختلف معانيه، ولكنها تؤول عموماً إلى معنى التحول والتبدل، يقول ابن فارس: « الدال والواو واللام أصلان أحدهما يدل على تحول شيء من مكان إلى مكان، والآخر يدل على الضعف والاسترخاء. فأما الأول، قال أهل اللغة: اندال القوم إذا تحولوا من مكان إلى مكان، ومن هذا الباب تداول القوم الشيء بينهم إذا صار من بعضهم، والدولة والدولة لغتان، ويقال بل الدولة في المال، والدولة في الحرب، وإنما سميا بذلك من قياس الباب لأنه أمر يتداولونه، فيتحول من هذا إلى ذاك ومن ذاك إلى هذا»<sup>(1)</sup>، إذن فمدار لفظ (دول) في اللغة هو التبدل والتحول، وتكاد المعاجم العربية تتفق حول هذه الدلالات.

أما الزمخشري فيقول في معجمه: « دول: دالت له الدولة، ودالت الأيام بكذا، وأدال الله بني فلان من عدوهم: جعل الكرة لهم عليه. وعن الحجاج " إن الأرض ستدال منا كما أدلنا منها " ... وأدبل المؤمنون على المشركين يوم بدر، وأدبل المشركون على المسلمين يوم أحد، ... والله يداول الأيام بين الناس مرة لهم ومرة عليهم»<sup>(2)</sup>

كما نجد عند الفيروز آبادي ما نصه: « تداولوه، أخذوه بالذول. ودواليك، أي: مداولةً على الأمر، أو تداولاً بعد تداول.»<sup>(3)</sup>

وجاء عند ابن منظور: « تداولنا الأمر أخذناه بالذول، وقالوا: دواليك أي مداولة على الأمر... ودالت الأيام أي دارت. والله يداولها بين الناس. وتداولته الأيدي: أخذته هذه مرة وهذه مرة... وتداولنا

1- ابن فارس: مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، بيروت، لبنان، د ط، 1979، ج 2، ص 314.

2- الزمخشري: أساس البلاغة، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، 1998، ج 1، ص 303.

3- الفيروز آبادي: القاموس المحيظ، تحقيق: أنس محمد الشامي وزيكريا جابر أحمد، دار الحديث، القاهرة، د ط، 2008، ص 577.

العمل والأمر بينما، بمعنى تعاورناه فعمل هذا مرة وهذا مرة.»<sup>(1)</sup>  
 وجاء في المعجم الوسيط: « دال الأمر وداوله انتقل من حال إلى حال، والأيام دالت: دارت. ويقال: دالت الأيام بكذا ودالت له الدولة. أدال الشيء جعله متداولاً، وفلان وغيره أو منه نصره وغلبه وأضفر به... ويقال: داو الله الأيام بين الناس أدارها وصرفها، وفي التنزيل " وتلك الأيام نداؤها بين الناس " وتداولت الأيدي الشيء: أخذته مرة هذه ومرة هذه.»<sup>(2)</sup>

مما سبق، يمكن تسجيل ملاحظة أن معاني التحول والتبدل والانتقال تكاد تكون ملازمة للجذر "دول" في المعاجم العربية، سواء كان التحول من مكان إلى آخر، أو من حال إلى حال أخرى، مما يقتضي وجود أكثر من طرف بفعل التحول والتغير والتبدل، وهذه طبيعة اللغة، كلما تداولها الناس، كلما تأثرت وتغيرت، «ولذلك يعد مصطلح التداولية أكثر ثبوتاً بهذه الدلالة من غيره من المصطلحات؛ الذرائعية، النفعية، السياقية...»<sup>(3)</sup>

## 2- اصطلاحاً:

التداولية هي الترجمة العربية للمصطلحين (Pragmatics) و (La pragmatique) على التوالي وليس ترجمة للمصطلح الفرنسي (Le pragmatisme) لأن هذا الأخير يعني الفلسفة النفعية الذرائعية، بينما يعني الأول هذا الاتجاه التواصلية الجديد.<sup>(4)</sup> ويرجع مصطلح كلمة La pragmatique إلى الكلمة اللاتينية (pragma) ومعناه الفعل (Action) ثم أصبحت الكلمة بفضل اللاحقة تطلق على كل ما هو عملي أو واقعي.<sup>(5)</sup>

وعليه اختار طه عبد الرحمان مصطلح التداوليات مقابلة لـ (pragmatique)، وذلك

1- ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، ط 3، 1994، مج 11، ص 252-253.

2- مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، دار الدعوة، ط 2، اسطنبول، 1989، ج 1، ص 304.

3- خليفة بوجادي: في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القلم، بيت الحكمة، العلمة، الجزائر، ط 1، 2009، ص 148.

4- ينظر: مسعود صحراوي: التداولية عند العرب، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ط 1، 2005، ص 15.

5- نوري سعودي أبو زيد: في تداولية الخطاب الأدبي، المبادئ والإجراء، بيت الحكمة، العلمة، الجزائر، ط 1، 2009، ص 18.

تأسيسا على المفهوم العام لـ (La pragmatique) في الدرس الغربي الحديث، وهو دراسة اللغة حال الاستعمال، أي حينما تكون متداولة بين مستخدميها، لأنه يفني بالمطلوب باعتبار دلالاته.<sup>(1)</sup> فهو يتكون من كلمتين؛ الأولى هي التداول من الفعل تداول، وهو من صيغة تفاعل، والتي تحمل معنى المشاركة، والثانية هي اللاحقة "يات" والتي تشير إلى البعد المنهجي والعلمي.<sup>(2)</sup> وقد لقي هذا المصطلح قبولا من قبل الباحثين ونال رضاهم، فتداولوه في أبحاثهم. ويحدد بعدها طه عبد الرحمان المعنى الاصطلاحي للتداول قائلا: « هو وصف لكل ما كان مظهرا من مظاهر التواصل والتفاعل بين صانعي التراث من عامة الناس وخاصتهم.»<sup>(3)</sup>

ينسب أكثر الباحثين والدارسين استعمال مصطلح التداولية إلى الفيلسوف الأمريكي شارل موريس Morris Charles وذلك عام 1938م، غير أنه لما أراد أن يعرف التداولية، لم يكن يريد أن يعرفها لنفسها، حيث فرق بين ثلاثة أشياء أصبحت علوما فيما بعد، لكي يضع حدا فاصلا منضبطا لعلم العلامات أو الرموز، هذه العلوم هي علم التركيب، علم الدلالة وعلم التداوليات. فقال أن علم التركيب يهتم بدراسة العلاقات بين أبنية الجملة الواحدة، أما علم الدلالة فهو دراسة العلاقة بين هذه الكلمات في الجملة وبين الواقع الفعلي، أما التداولية، فنظر في العلمين السابقين فوجد أنهما لا يهتمان بطرفي الخطاب (المتكلم والمتلقي)، فقال بأن التداولية هي دراسة العلاقة بين الأبنية وطرفي الخطاب. ومنه فالتداولية تمثل حسب رأيه أحد ثلاثة أنواع يمكن معالجة اللغة من خلالها<sup>(4)</sup>:

أ- التركيب: ويعنى بالعلاقات بين العلامات فيما بينها.

ب- الدلالة: وهي تهتم بدراسة العلامات في علاقتها بالواقع، أو بعبارة أخرى دراسة علاقة العلامات بالأشياء والموجودات التي تدل عليها.

1- ينظر: خليفة بوجادي: في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القلم، ص 151.

2- ينظر: عبد الحكيم سحالية: التداولية، مجلة المخبر، جامعة بسكرة، ع 5، مارس، 2009، ص 87.

3- طه عبد الرحمان: تجديد المنهج في تقويم التراث، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط 2، 1993، ص 244.

4- محمد الأخضر الصبيحي: مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه، الدار العربية للعلوم ناشرون، دط، ص 45.

ج- التداولية: وهي تدرس علاقة العلامات بمستعملها وبظروف استعمالها وآثار هذا الاستعمال على البنية اللغوية.

ولكن هذا التعريف الذي وضعه موريس، والذي يعد التداولية جزءا من السيميائية التي تعالج العلاقة بين العلامات ومستعملها، تعريف واسع يتعدى المجال اللساني إلى السيميائي.

ولعل محاولة الوقوف على تعريف جامع مانع للتداولية يعد من الصعوبة بمكان، نظرا لتنوع خلفيتها الفكرية والفلسفية والثقافية، مما نتج عنه كثرة تعريفاتها وتعددتها، وذلك حسب تخصصات أصحابها ومجالات اهتمامهم، إذ يعرفها كل من آن ماري دير (Anne-Mariediller) وفرنسواز ريكاناتي (François Récanati) بقولهما: «التداولية هي دراسة استعمال اللغة في الخطاب، شاهدة في ذلك على مقدرتها الخطائية، فهي إذن تهتم بالمعنى كالدلالية وبعض الأشكال اللسانية التي لا يتحدد معناها إلا من خلال استعمالها»<sup>(1)</sup>. ويعرفها فرانسيس جاك بقوله: «تتطرق التداولية إلى اللغة كظاهرة خطائية وتواصلية واجتماعية معا»<sup>(2)</sup> وبهذين التعريفين يتضح أن التداولية تجاوزت التصورات التجريدية للغة التي انحصرت فيها البحث اللساني سواء مع فرديناند دوسوسير الذي ركز على اللغة دون الكلام، أو نعوم تشومسكي الذي اقتصر على القدرة اللغوية دون الكلام أو التأدية<sup>(3)</sup>، تجاوزت ذلك إلى دراسة اللغة أثناء الاستعمال، مع مراعاة الظروف المحيطة بها، ومراعاة مقاصد المتكلمين أيضا، وعلى هذا الأساس يعرف بول (paul) التداولية بأنها «دراسة اللغة في الاستعمال أو التواصل»<sup>(4)</sup> خاصة وأن المعنى في نظره لا يرتبط بالكلمات وحدها، ولا بالمتكلم وحده، فهو محصلة تداول اللغة بين طرفين في سياق محدد، وصولا إلى المعنى المقصود<sup>(5)</sup>. ومعنى هذا أن التداولية تهتم بدراسة المعنى الكامن في تداول الكلمات بين متكلم ومتلق في سياق محدد، وليس المعنى الكامن في الكلمات وحدها، أو المرتبط بأحد

1- نعمان بوقرة: اللسانيات العامة اتجاهاتها وقضاياها الراهنة، عالم الكتب الحديث، اربد، الأردن، ط1، 2009، ص162.

2- فرانسواز أرمينيكو: المقاربة التداولية، ترجمة: سعيد علوش، مركز الإنماء القومي، الرباط، المغرب، ط1، 1987، ص 08.

3- ينظر: يحيى بعطيش: نحو نظرية وظيفية للنحو العربي، أطروحة دكتوراه دولة، جامعة منتوري، قسنطينة، 2005/2006، ص 55.

4- محمد الأخضر الصبيحي: مدخل إلى علم النص، ص50.

5- ينظر: محمود أحمد نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، دط، 2002، ص14.



مكونات الرسالة اللغوية، أو بمعنى آخر فإن الدراسة التداولية لا تكتفي بالوصف والتفسير عند حدود البنية اللغوية أو المستوى الشكلي لها، بل تتجاوز ذلك إلى مستويات أعمق، استيعابا للظاهرة اللغوية بكل أبعادها التواصلية، ذلك أنها تدرس اللغة وعلاقتها بمستعملها والمؤولين لها من جهة، كما تهتم بالبحث عن شروط نجاح هذه العلامات اللغوية في سياقاتها المختلفة، مما يجعل منها نظرية استعمالية من جهة أخرى.<sup>(1)</sup>

فالتداولية في أبسط تعريفاتها دراسة اللغة أثناء استعمالها، مع مراعاة السياق الذي يحف العملية التخاطبية للوصول إلى المعنى وإحداث الأثر المناسب تبعا لقصده صاحبه، وتبحث في المقومات الواجب توفرها لضمان نجاعة الخطاب وملاءمته للموقف التواصلية الذي يوجد فيه المتلفظ بالخطاب (المخاطب) والسامع له (المخاطب).

ويمكن تلخيص ما سبق في أن التداولية هي ما يفهمه الناس دون قول، فهي وإن كان مبدؤها المعجم اللغوي، إلا أن هناك معنى آخر مضافا، فالقائل لا يقول كل ما يريد من معنى، لذلك فالمطلوب من المتلقي أن يفهم هذا المعنى المضاف، وأن يبحث عن المعنى الخفي بين السطور، وألا يبقى على السطح. فالتداولية إذن تهدف إلى التوسع في المعنى لا التضييق، وذلك بالبحث في السياق والظروف المحيطة بالكلام.

اختلف الدارسون في تحديد ماهية مصطلح التداولية، وضبط حدوده، وبيان أقسامه، فضلا عن التمثيل له، تبعا لما يصدر عن من مناهج مختلفة، فما من تعريف إلا وله منطلقات نظرية تسيير إجراءاته وتضبطها ضبطا منهجيا.

1- ينظر: محمود أحمد نخلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص1.

### المطلب الثاني: نشأة التداولية

ليست اللسانيات التداولية طريقة جديدة في التفكير، وإنما الجِدّة مست المصطلح فقط، إذ ظهرت بذورها عند سقراط، ثم تلاه من بعده أرسطو والرواقيون، إلى أن ظهرت كنظرية في الفلسفة عند الفيلسوف باركلي (Berkeley).<sup>(1)</sup>

إذن، فاللسانيات التداولية اتجاه جديد في دراسة اللغة، لا يهتم بالبحث في الفونولوجيا والتركيب والدلالة، فهذه الموضوعات تعتبر هامشية بالنسبة إليها، وهذا ما يبرر وصف التداولية لانشغالها عن هذه الموضوعات بأنها "صندوق قمامة الأبحاث اللسانية"<sup>(2)</sup>، ولكن هذا التوصيف الذي يقلل من أهمية الدرس التداولي في الدرس اللساني لم يعد قائماً بعد أن عرف هذا الأخير انفتاحاً ساراً في اتجاهين: الأول: خارجياً مع القطاعات العلمية المجاورة كالمعلوماتية وعلم النفس وغيرها.

الثاني: داخلياً وذلك بين مختلف فروعها، ومن مظاهره إعادة النظر في منزلة التداولية.<sup>(3)</sup>

ويعود هذا التحول بداية إلى زمرة من الباحثين من فلاسفة اللغة المنتمين إلى جامعة أوكسفورد، جون أوستين (John Langshaw Austin) وتلميذه سيرل (John Searle) وبول غرايس (Paul Grice)، وهم من مدرسة فلسفة اللغة الطبيعية، في مقابل مدرسة اللغة الشكلية الصورية. ثم واصل ديكرو (Ducrot) وغيره من الباحثين من أمثال جون كلود انسكومبر (JC Anscombe) وهرمان باريه (Hermann Bahr) على هذا الأساس.<sup>(4)</sup>

وكانت بداية تطور اللسانيات التداولية بنظرية أفعال الكلام مع جون أوستين Austin الذي وضع أصولها، وأقام جون سيرل Searle بناءها، ووسع بول غرايس Grice مجالها، لتظهر بعد ذلك بعض النظريات الأخرى نحو (الاستلزام الحوارية، الإشارات، الحجاج، القصدية، نظرية التواصل،

1- ينظر: نعمان بوقرة: اللسانيات العامة، اتجاهاتها وقضاياها الراهنة، ص 163.

2- فيصل مفتن كاظم: التداولية في النحو العربي، مجلة أبحاث ميسان، جامعة البصرة، العراق، مج 2، ع 4، 2006، ص 36.

3- ينظر: صابر حباشة: التداولية والحجاج، مداخل ونصوص، صفحات للدراسات والنشر، دمشق، سورية، ط 1، 2008، ص 23.

4- نفسه، ص 24.

السياق...)، وقد شكلت في مجموعها ما يعرف الآن باللسانيات التداولية.

والحق أن جون أوستين كان في طرح آرائه المؤسسة لنظرية أفعال الكلام من خلال محاضراته التي ألقاها سنة 1955م، والتي جمعت بعد وفاته ونشرت تحت عنوان *How to do things with word* وترجمت إلى العربية تحت عنوان "كيف ننجز الأشياء بالكلام"، كان ينطلق من اختصاصه المعرفي الذي يشتغل فيه، وهو فلسفة اللغة، ولم يكن يهدف إلى وضع اختصاص جديد لللسانيات أو فرع جديد لها، بيد أن تلك المحاضرات أصبحت فيما بعد بوتقة لللسانيات التداولية<sup>(1)</sup>، إذ لا بد من إدراك أن البحث الذي قام به أوستين، وما سبقه من بحوث والتي شكلت إرهاصات لنشأة التداولية كانت تدور في دائرة الفلسفة، وكان الدافع وراء دراسة اللغة عند هؤلاء الفلاسفة هو التوصل لفهم دقيق لآلية عمل الذهن في تصوره للعالم، غير أن أوستين تميز في بحثه عن البحوث التي سبقته بأنه لم يكتف بدراسة الجمل الخبرية كما كان يفعل المناطقة، بل توسع في ذلك لدراسة سائر أنواع الجمل.<sup>(2)</sup>

وقد كانت انطلاقة أوستين من ملاحظته أن الكثير من الجمل التي لا يمكن أن يحكم عليها بالصدق أو الكذب تستعمل لتغيير الواقع لا لوصفه، فهي لا تخبر شيئاً عن حالة الكون الحالية أو السابقة، إنما تغيرها أو تسعى إلى تغييرها.<sup>(3)</sup> فجملة من قبيل: أمرك بالصمت، أو من قبيل: أعدك بأني آتٍ غداً، هي جمل تغير الواقع، أو تحاول ذلك دون أن تكون واصفة له. فالأمر بالصمت يحاول نقل حالة الكون من الضحيح إلى الهدوء، والواعد بالحضور يلزم نفسه أخلاقياً بالحضور إلى مخاطبه، فهو عقد أخلاقي بينه وبين مخاطبه.

وانطلاقاً من هذه الملاحظات، قسم أوستين الجمل إلى جمل وصفية يمكن الحكم عليها بالصدق أو الكذب، وجمل إنشائية لا ينطبق عليها ذلك الحكم، وهذا ما نجده في تراثنا اللغوي، حيث يقابل ما

1- ينظر: آن روبول وجاك موشلار: التداولية اليوم، علم جديد للتواصل، ترجمة: سيف الدين دغفوس وآخرين، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، ط1، 2003، ص29.

2- ينظر: معاذ بن سليمان الدخيل: منزلة معاني الكلام في النظرية النحوية العربية مقارنة تداولية، دار محمد علي للنشر، القاهرة، مصر، ط1، 2014، ص37.

3- آن روبول وجاك موشلار: التداولية اليوم، علم جديد للتواصل، ص30.

يعرف بالجملة الخبرية والجملة الإنشائية، سواء في الدرس النحوي أو البلاغي أو غيرهما. شكلت أفكار أوستين وملاحظاته بداية موفقة لنظرية الأفعال الكلامية التي تعد نقطة البداية للتداولية، فهي أول نظرية تداولية لسانية، ثم تطورت شيئاً فشيئاً مع فلاسفة اللغة الذين أعقبوا أوستين خاصة مع سيرل، لتظهر بعدها نظريات تدرج تحت مظلة اللسانيات التداولية، فتحت المجال لطرح أفكار جديدة سرعت الاعتراف بالتداولية بوصفها أحدث فروع اللسانيات الحديثة.

### المطلب الثالث: درجات التداولية

تجدر الإشارة في هذا الموضوع إلى التطور الدراسي الذي شهدته التداولية؛ وذلك أن مصطلح البراغماتية « مر في تاريخ تطوره بثلاث درجات كبرى، تهتم الدرجة الأولى بدراسة المشيرات [الضمائر وأسماء الإشارة وظروف الزمان والمكان] التي تربط الخطاب بسياقه، وتعنى الدرجة الثانية بدراسة العلاقات الرابطة بين الملفوظ ومقتضاه، أي بين الكلام والقصد منه بالاعتماد على سياق التلفظ، وتعنى الدرجة الثالثة بدراسة أفعال الكلام وبمفهوم الإنجازية»<sup>(1)</sup>، وهو النظام الذي نُسب إلى (هانسن Hansson)، والذي وصفه فرانسوا أرمينكو (françoise armingaud) كآلاتي « نَدِينُ لَهَا نَسْنُ بِمَا أَسْهَمَ بِهِ مِنْ نِظَامٍ وَبِرِئَاسَةِ تَطْوِيرِ التَّدَاوِلِيَّةِ، فَهُوَ أَوَّلُ مَنْ حَاوَلَ التَّوْحِيدَ النَّسْقِيَّ، وَالرِّبْطَ بَيْنَ مَخْتَلَفِ الأَجْزَاءِ المْتَقَدِّمَةِ إِلَى حُدِّ الآنَ، بِطَرِيقَةٍ مُسْتَقَلَّةٍ نَسْبِيًّا، وَذَلِكَ بِتَمْيِيزِهِ لِثَلَاثِ دَرَجَاتٍ. وَاخْتِيَارِ مِصْطَلَحِ الدَّرَجَاتِ بَدَلِ الأَجْزَاءِ، يَدُلُّ عَلَى فِكْرَةِ العَبُورِ المْتَنَامِي مِنْ مَخْطَطٍ إِلَى آخَرَ، وَالعَلَاقَةِ بِكُلِّ دَرَجَةٍ تَعْتَمِدُ عَلَى اعْتِبَارِ مَظْهَرٍ مِنْ مَظَاهِرِ السِّيَاقِ، وَيُمْكِنُنَا القَوْلُ بِاغْتِنَاءِ السِّيَاقِ مِنْ دَرَجَةٍ إِلَى أُخْرَى»<sup>(2)</sup>

### 1- تداولية الدرجة الأولى:

تركز على دراسة العنصر الذاتي في الخطاب (الإشاريات)، حيث تحلل الأقوال والصيغ التي تكشف عن مرجعيتها ودلالاتها في سياق الحديث. هذه الأقوال قد تكون مبهمه إذا فُحصت خارج السياق، ولذا

<sup>1</sup> - خليفة الميساوي: المصطلح اللساني وتأسيس المفهوم، دار الأمان، الرباط، المغرب، ط1، 2013، ص 105.

<sup>2</sup> - فرانسوا أرمينكو: المقاربة التداولية، ص 38.

فإنها تتطلب مراعاة عدة عوامل، مثل الزمان والمكان، والسياق الوجودي الذي يشمل المتحدثين. وأهم من يمثل هذا الاتجاه أعمال دارسي الإشارة والرمز مثل بيرس وبرتtrand رسل وكودمان وغيرهم.

## 2- تداولية الدرجة الثانية:

تتناول كيفية تحول المعاني من المستوى المباشر(الصريح) إلى المستوى غير المباشر (التلميحي)، وتشمل هذه النوعية من التداوليات نظرية قوانين الخطاب، وما يتعلق بها من ظواهر لغوية متنوعة مثل الافتراض المسبق، والأقوال المضمرّة، والحجاج.

## 3- تداولية الدرجة الثالثة:

تتناول ما يتعلق بالأفعال الكلامية، وهي النظرية التي أرسى أسسها "أوستين" وتلميذه "سيرل" من بعده. وكثيرا ما تركز هذه النظرية على السياق الذي يحدد الغرض من الفعل الكلامي، ويرفع الإبهام عنه.

## المبحث الثاني: الخطاب

## توطئة:

الحديث عن الخطاب حديث عن التواصل البشري، إذ هو يسهم في فهم كنه هذا التواصل وتحديد جوانبه وقوانينه بشكل أفضل، لذلك يتم السعي إلى محاولة حصر كل ما يؤدي غرض التواصل، وعده نوعاً من أنواع الخطابات، ولا يخفى ما لهذه المحاولة من صعوبة، إذ أنها تفتح الباب أمام أشكال شتى من الخطابات، مما يجعل التحديد أو التصنيف أمراً قابلاً للنقد، وذلك لاختلاف وجهات نظر النقاد والباحثين. وأول سؤال ينبغي الإجابة عنه هو: ما الخطاب؟

## المطلب الأول: مفهوم الخطاب

## 1- لغة:

جاء في اللسان: «الخطاب والمخاطبة: مراجعة الكلام. وقد خاطبه بالكلام مخاطبة وخطاباً، وهما يتخاطبان... الخطبة عند العرب الكلام المنثور المسجع... ورجل خطيب: حسن الخطبة. وجمع الخطيب خطباء»<sup>(1)</sup> فالخطاب عنده مرادف للكلام، وله خاصية المشاركة والتفاعل بين متخاطبين أو أكثر.

ويقول الجوهري في الصحاح: «خطب: الخطبُ: سبب الأمر، نقول: ما خطبك. وخطبت على المنبر خطبة بالضم. وخاطبه بالكلام مخاطبة وخطاباً. وخطبتُ المرأةُ خطبةً بالكسر، واختطب أيضاً فيهما. والخطيب: الخاطب، والخطيبى: الخطبة.»<sup>(2)</sup>

1- ابن منظور: لسان العرب، ج1، ص 361.

2- الجوهري: الصحاح، تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: محمد محمد تامر وآخرين، دار الحديث، القاهرة، دط، ص 327.

ويقول الفيروز آبادي في القاموس المحيط: « الخطب الشأن، والأمر صغر أو عظم، جمع خطوب، وخطب المرأة خطبا وخطبة وخطيبي، بكسرهما، واختطبها، وهي خطبه وخطبته وخطيباه وخطيبته، وهو خطبها، بكسرها، ويضم الثاني، ج: أخطاب... وفصل الخطاب: الحكم بالبيئة، أو اليمين، أو الفقه في القضاء، أو النطق بأما بعد.»<sup>(1)</sup>

كما جاء في المصباح المنير للفيومي: « خاطبه: مخاطبة وخطابا وهو الكلام بين متكلم وسماع، ومنه اشتقاق الخطبة بضم الخاء وكسرها باختلاف معنيين، فيقال في الموعدة: خطب القوم وعليهم من باب قتل. خطبة بالضم وهي غُلة بمعنى مفعولة نحو نسخة بمعنى منسوخة، وغُرُفة من ماء بمعنى مغروفة، وجمعها خُطَبٌ مثل: غرفة وغرف، فهو خطيب والجمع الخطباء، وهو خطيب القوم إذا كان هو المتكلم عنهم.»<sup>(2)</sup>

ومما سبق يتضح أن الخطاب في عمومته يحمل مدلول الرسالة، فيقال: هذا خطاب فلان لفلان، ومرة أخرى يعبر به عن الخطبة التي يلقيها الخطيب، ويبدو أن الخطاب تواصل بين اثنين أو أكثر بشكل من الأشكال.

## 2- اصطلاحا:

سبقت الإشارة إلى أن تعذر الإجماع على مفهوم موحد للخطاب يعود إلى تعدد المذاهب والاتجاهات، واختلاف وجهات النظر بين الباحثين؛ فيرى دي سوسير أن الخطاب مصطلح مرادف للكلام، ويرى هاريس أنه ما ينتجه المتكلم متجاوزا بذلك أبعاد الجملة أو الرسالة. أما تودوروف فيعد خطابا كل منطوق أو فعل كلامي بين متكلم ومخاطب، بشرط أن يقصد الأول التأثير في الثاني بشكل معين.<sup>(3)</sup> وهذا المفهوم الأخير يكاد يتطابق مع ما ذهب إليه الأمدي، إذ يعرفه بأنه « اللفظ المتواضع

1- الفيروز آبادي: القاموس المحيط، ص 478.

2- الفيومي: المصباح المنير، تحقيق: عبد العظيم الشناوي، دار المعارف، مصر، ط2، دت، ص173.

3- ينظر: ليلي سهل: الخطاب الشعري من منظور اللسانيات النصية، رسالة دكتوراه، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2012، ص 90.

عليه، المقصود به إفهام من هو متهين لفهمه.»<sup>(1)</sup> فالآمدي يشترط الاتفاق على اللفظ بين المتكلم والمستمع، مع قدرة المستمع على فهم قصد المتكلم.

يتنوع الخطاب بتنوع صاحب الخطاب نفسه؛ فإذا « كانت اللغة نظاما تشترك فيه مجموعة لغوية ما فإنه -على عكس ذلك - هو استعمال محصور لهذا التنظيم، كأن نتحدث عن الخطاب الإسلامي أو الاشتراكي، وقد نقصد به في نفس هذا الإطار نوع الخطاب الصحفي، الإداري، ونعني به أيضا الإنتاجات الكلامية الخاصة بمجموعة من المتكلمين كخطاب الممرضات، خطاب الشباب، وأخيرا نقصد به أيضا وظائف الكلام، الخطاب السجالي، التعاليمي...»<sup>(2)</sup> ومعنى ذلك أن كل جماعة لغوية لها خطابها الخاص بها، فالتكلم يأخذ من اللغة، ويطلع ما يأخذ، ويصبغه بسمات معينة لينجز خطابا خاصا.

وللخطاب علاقة وطيدة بالسياق الذي أنجز فيه، بل هي علاقة وجودية؛ إذ لا يوجد خطاب دون سياق، ومعنى ذلك أن تأويل الخطاب لا يكتفى فيه بما هو لغوي، بل يتجاوز إلى ما هو غير لغوي، أي أن تأويل الخطاب يعتمد أساسا على القرائن المحيطة به.<sup>(3)</sup>

وإذا طرح سؤال يتعلق بالحجم، من قبيل: ما أصغر وحدة لغوية يمكن عدها خطابا؟ فالراجع أن الخطاب لا علاقة له بالحجم، إذ كل ما يصدر من المتكلم إلى المخاطب بنية التواصل والتأثير يعد خطابا.

إذن، يمكن القول إن الخطاب وحدة لسانية تواصلية إبلاغية ناتجة عن متكلم، وموجهة إلى مخاطب، في سياق معين، وهو يشترط وجود من يتلقى الخطاب لحظة إنجازه، فهو تلفظ<sup>(4)</sup> يفترض

1- الآمدي: الإحكام في أصول الأحكام، تعليق: عبد الرزاق عفيفي، دار الصميعي، السعودية، ط1، 2003، ج1، ص132.

2- عمر بلخير: مقالات في التداولية والخطاب، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، ص10.

3- القرائن هي مجموع القضايا الصامتة التي يختار منها المخاطب ما يناسبه، وسيأتي لاحقا تفصيل ذلك عند تحليل نماذج من الخطابات من المدونة.

4- قد يستعمل المتكلم لغة الإشارة أو الرموز ويتم التواصل، ويسمى ذلك خطابا أيضا.



متحدثا ومستمعا بحيث تكون للأول نية التأثير في الآخر بشكل من الأشكال.

يمكن الوصول مما سبق إلى جملة من الخصائص يتصف بها الخطاب وهي:

- الخطاب وحدة تتجاوز الجملة، حيث أصبح الخطاب شاملا لها.
- الخطاب موجه، بمعنى أن الإنسان حتى وإن كان يكلم نفسه فهو يجعل منها شخصا آخر، لأن الخطاب كما قال باختين ( Bakhtin ) دائما يتجه إلى الخارج (الآخر).<sup>(1)</sup>
- الخطاب شكل من أشكال العمل (وهنا تطرح نظرية الأفعال اللغوية).
- الخطاب مظروف بمقامه، فهو محكوم بالعلاقة بين طرفيه، وبالمكان والزمان.
- الخطاب متعهد به (متكفل به)، أي في الخطاب نفسه نجد بصمات المتكلم (ضمير الأنا- الأزمنة - الأفعال الذاتية أو علامات الذاتية)، فكلها موجودة في الخطاب، فالخطاب لا يقول نفسه بنفسه، وإنما هناك من يتكفل به، أو يتعهد به.
- الخطاب محكوم بمعايير: فمن المعايير الاجتماعية مثلا أن التحية تتطلب ردا، فلا مزية للذي يرد، كما أن السؤال يتطلب إجابة.
- الخطاب واقع بين خطابات، فلا يوجد خطاب منفصل عما قبله وما بعده.<sup>(2)</sup>

<sup>1</sup>- رشيد وديجي: التعدد اللغوي في الرواية وحوارية الخطاب عند باختين التحليلات والدلالة، مجلة دراسات، ديسمبر 2017، ص 37.

<sup>2</sup>- نفسه، نفس الصفحة.

## المطلب الثاني: أنواع الخطاب (الخطاب بين التصريح والتلميح)

تختلف اللغات وتتمايز فيما بينها، فلكل لغة خصائص وميزات تميزها عن اللغات الأخرى، وتجعلها حيوية مستمرة وبهذا اعتبرت اللغة العربية من بين اللغات الأساسية والحية التي استطاعت المحافظة على ميزاتهما منذ القدم رغم المؤثرات الوافدة إلى الناطقين بها. ومما يميز اللغة العربية الدقة في نقل الواقع، وذلك بما تملكه من معجم ضخم انعكس على الثراء الدلالي، فالعربي لا تعوزه مفردات اللغة للتعبير عن الفكر الإنساني المتشعب والغامض، ولهذا اهتم البلاغيون العرب منذ القدم بجاني الحقيقة والمجاز في العبارات والألفاظ، وبذلك يعالته صريح والتلميح من ميزات اللغة العربية وخصائصها.

لقد ارتبطت ظاهرة التّصريح والتّلميح بالبلاغة العربية، وبذلك اختلفت وجهات النّظر إليها من قبل علماء العرب، فنجد أبا هلال العسكري يقول: « قال إسحاق ابن حسان: لم يفسر أحد البلاغة تفسير ابن المقفع إذ قال: البلاغة اسم لمعان تجري في وجوه كثيرة؛ منها ما يكون في السكوت، ومنها ما يكون في الاستماع، ومنها ما يكون شعرا، ومنها ما يكون سجعا، ومنها ما يكون خطبا، وربما كانت رسائل، فعامة ما يكون من هذه الأبواب، فالوحي فيها والإشارة إلى المعنى أبلغ، والإيجاز هو البلاغة.»<sup>(1)</sup>

يتم أحيانا إلقاء الرسائل والمعلومات بأسلوب مباشر لا يحتمل التأويل، بحيث يفهمه المخاطبون جميعا، وهذا هو البيان في العرف القديم، الذي يدل على الوضوح والظهور، وهو ما يعرف الآن بالتصريح.<sup>(2)</sup> وقد وردت في القرآن الكريم كلمة البيان عدة مرات، حيث كان من مقاصد القرآن كشف الغموض الذي يشعر به الإنسان. فالتّصريح ضروري في التواصل البشري، وهذا المبدأ له مكانة واضحة عند البلاغيين العرب، فلا يمكن التواصل خارج هذا المبدأ، وقد ورد البيان أو التصريح عند الجاحظ

1- أبو هلال العسكري: الصناعتين، تحقيق: عبد المحسن سليمان عبد العزيز، المكتبة التوفيقية، القاهرة، ط1، 2013، ص 16.

2- يسميه أحمد المتوكل (الخطاب الشفاف): اللسانيات الوظيفية، المقارنة دراسة في التنميط والتطوير، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2012، ص

بمفهوم الإيضاح والإفصاح، حيث قال: «المعاني القائمة في صدور الناس، المتصورة في أذهانهم، والمتخلجة في نفوسهم... مستورة خفية... وإنما يحیی تلك المعاني ذكرهم لها، وإخبارهم عنها، واستعمالهم إياها.»<sup>(1)</sup> فلا نستطيع إذن معرفة خبايا القلوب دون الإفصاح عنها. فالتصريح في اللغة يثبت الدلالة للفظ، فاللغة وضعت لتدل الأسماء على المسميات التي يتصورها ذهن الإنسان. غير أنه كثيراً ما يستعمل الناس الألفاظ المجازية، ورغم ذلك يبقى القصد موجوداً. فالتواصل اللغوي يرتكز على الفهم الذي يرتبط بدوره بطريقة تفسير المخاطب للكلام، وينتهي بقدرته على بناء أحكام على ما سمع أو قرأ. فيبقى بذلك للكلام صفتان في تعبيره عن المعنى المقصود، فهو إما وضع (للتصريح)، وإما وضع (للميح)<sup>(2)</sup>.

فالتلميح هو التعبير عن الفكرة بطريقة غير مباشرة، وذلك باستثمار بعض العناصر اللغوية التي تعين على توجيه الخطاب. ونجد فنون البلاغة المختلفة من استعارة وكناية ومجاز وغيرها من أهم الوسائل التي تحقق هذا الغرض.

1- الجاحظ: البيان والتبيين، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط7، 1998، ص 75.

2- يسمي أحمد المتوكل الخطاب غير المباشر (الخطاب الكاتم المنعرج): اللسانيات الوظيفية، المقارنة دراسة في التنميط والتطوير، ص 82.

## المبحث الثالث: السياق

## تمهيد:

السياق عنصر هام في الدرس الدلالي، وهو جانب من جوانب اللسانيات، بحيث جعلت منه اللسانيات نظرية لغوية وسيلا لكشف المعنى، فقد استعان اللغويون والبلاغيون وعلماء الدلالة منذ القدم بالسياق، نظرا لأهميته البالغة في تحديد المعنى. وفيما يلي سيتم تحديد مفهوم السياق وأقسامه، وتبيين أهميته في كشف المعنى وتحديده.

## المطلب الأول: مفهوم السياق

## 1- لغة:

إن المتتبع للمعاجم العربية تعترضه مجموعة من الدلالات لمادة (س و ق)، فقد جاء عند ابن فارس: «السين والواو والقاف أصل واحد، وهو حدو الشيء، يقال: ساقه سوقا والسيقة: ما استيق من الدواب، ويقال: سقت إلى امرأتي صداقها وأسقته»<sup>(1)</sup> وجاء في اللسان: «السوق معروف، ساق الإبل وغيرها يسوقها سوقا وسياقا وهو سائق وسواق شدد للمبالغة، وقوله تعالى: ﴿وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ﴾ [ق]، وساقه الجيش: مؤخره، والمسوق: بعير تستتر به من الصيد لتحتله، والأساق: سير الركاب للسروج»<sup>(2)</sup>، وذكر الزمخشري في أساس البلاغة: «ساق النعم فانسقت، وقدم عليك بنو فلان فأقدتهم خيلا وأسقتهم إبلا، وتسوق القوم: اتخذوا سوقا، وسوق وأسوق وسيقان خدال، ورجل أسوق: طويل الساق وامرأة سوقا وفيها سوق، ونجى العدو الوسيقة والسيقة، وهي الطريدة التي يطردها من إبل الحي، ومن الجاز: ساق الله إليه خيرا، وساق إليها المهر، وساق الریح السحاب،

1 - ابن فارس: مقاييس اللغة، ج3، ص 117.

2- ابن منظور: لسان العرب، ج10، ص 166-167.

وتساوقت الإبل: تتابعت، وهو يسوق الحديث أحسن سياق»<sup>(1)</sup>. وجاء في معجم أساس البلاغة الكثير من الأمثلة لذلك، ونجد الزمخشري هنا يربط بين السياق والحديث الذي هو فعل كلامي استعمالياً. وقد تناول الفيروز آبادي مادة (سوق) بقوله: «والسياق ككتاب: المهر، والأسوق: الطويل الساقين أو حسنهما... وسوق الحرب: حومة القتال... والمنساق: التابع والقريب... وساقه: فخره في السوق.»<sup>(2)</sup>

وعلى ضوء ما ذكر في المعاجم يتبين أن مادة (سوق) تسير في معنى التابع والترابط والاتصال، ونلاحظ أن المعاجم العربية لم تتطرق إلى ذكر معنى السياق كمصطلح لغوي علمي، وليس هذا لأن المعاجم العربية القديمة لا تذكر إلا المعاني اللغوية دون المفاهيم والمصطلحات، بل إننا نجد فيها المصطلحات العلمية اللغوية التي كانت متداولة في وقت تأليفها، مما يعني أن السياق لم يكن متداولاً كمصطلح علمي له دلالاته ومفاهيمه المستقلة الواضحة.

## 2- اصطلاحاً

نبدأ بتعريف المفهوم باعتباره مركباً من جزأين، كما أشار إليه البركاوي بقوله: «إن السياق ينحدر من لفظ Contexte، الذي يترجم عادة في اللغة العربية بالسياق، من السابقة اللاتينية con بمعنى: مع، زائد texte اللاتينية أيضاً والتي كانت تعني في الأصل: النسيج، ثم استعملت في معنى الكلمات المصاحبة للمقطوعات الموسيقية، ثم صارت تستعمل في معنى النص، أي تلك المجموعات من الجمل المترابطة مكتوبة كانت أو مقروءة.»<sup>(3)</sup> وعرفه إبراهيم فتحي بأنه: «بناء كامل من فقرات مترابطة، في علاقته بأي جزء من أجزائه التي تسبق أو تتلو مباشرة فقرة أو كلمة معينة»<sup>(4)</sup> ويعرف أحد اللسانيين

1- الزمخشري: أساس البلاغة، ص 484.

2- الفيروزآبادي: القاموس المحيط، ص 824.

3- عبد الفتاح عبد الحليم البركاوي: دلالة السياق بين التراث وعلم اللغة الحديث، دار الكتب، 1991، ص 46.

4- إبراهيم فتحي: معجم المصطلحات الأدبية، دار التضاضدية العمالية، تونس، 1988، ص 201.

السياق بأنه: « أمارات شكلية موضوعة في المحيط اللساني الفعلي لوحدة دالة أو الوحدات التي تشكل المحيط المباشر للوحدة الصوتية، كالوحدتين الصوتيتين i، v، تشكلان السياق L، في ( ils : vont يذهبون) سواء أكان المحيط قريبا أم بعيدا. غير أن المصدر السابق ينبها إلى أن نميز ما يعود إلى السياق ذي البعد اللساني، عن المقام الذي تعد تجربته غير معيشة لسانيا»<sup>(1)</sup>

### المطلب الثاني: أقسام السياق وأنواعه

تعددت التقسيمات لأنواع السياق وأنماطه بين الدارسين اللسانيين الذين تطرقوا للحديث عنه، وكل له منظور لتقسيمه، ولكن ما يكاد يتفق عليه بينهم هو أن السياق في إطاره العام ينقسم إلى قسمين؛ سياق داخلي وسياق خارجي، وهذا التقسيم أصله للساني أولمان، ولهذا سنكتفي بالحديث عن هذين القسمين من السياق، وما يندرج تحتها من أنواع:

#### 1-السياق الداخلي (السياق اللغوي):

تعددت التسميات لهذا القسم من السياق، فمن بين الأسماء المتداولة بين الدارسين لهذا القسم: السياق اللغوي، السياق الداخلي، السياق الخطابي، السياق المقالي...الخ، أما ما يخص تعريف هذا القسم فقد تعددت أيضا تعبيرات الدارسين عن مفهومه، إلا أن تلك التعبيرات ترجع إلى مفهوم واحد، وهو ما يصاحب الوحدة اللغوية من وحدات أخرى سابقة عنها أو لاحقة بها، تحدد معناها ووظيفتها اللغوية.

ولا يكفي المقام هنا لذكر كل التعريفات، ولكن سنقتصر على تعريف واحد فقط، إذ يعرف بأنه: « حصيلة استعمال الكلمة داخل نظام الجملة متجاوزة مع كلمات أخرى، مما يكسبها معنى خاصا محددًا، وهو كل ما يتعلق بالإطار الداخلي للغة من تسلسل العناصر وترتيبها وتقارب المفردات وتتالي الوحدات، وما يحتوي من قرائن تساعد على كشف دلالة الوحدة اللغوية الوظيفية وهي تسبح في نطاق التراكيب، ويتكون من السوابق واللواحق، أي ما يتقدم الكلمة وما يتبعها، ليتخذ المعنى شكل

1- عبد الجليل مرتاض: التحليل البنيوي للمعنى والسياق، دار هومة، الجزائر، دط، 2010، ص5.

الحلقات اللغوية المتسلسلة التي تعطي معنى متعاضدا ناميا.»<sup>(1)</sup>

ويرى هاليداي (halliday) أن معنى الكلمة يتحدد من خلال ورودها مع مجموعة الكلمات، فلنكن نتوصل إلى معنى الكلمة الدقيق علينا أن نتمعن في العناصر التي تقع معها في سياق لغوي يقبله أبناء اللغة، ومن أمثلة ذلك أن معنى (منصهر) يرتبط بمجموعة من الكلمات نحو الحديد والذهب والفضة، ولا يرتبط بكلمات نحو التراب والخشب والجلد والملح، وعلى هذا يتحدد معنى (منصهر) من جهة، ويعرف أنها لا ترد في سياق لغوي مقبول مع المجموعة الثانية من جهة أخرى»<sup>(2)</sup> وهذا المثال للسياق اللغوي يتعلق بالحقل الدلالي للوحدة اللغوية من خلال صلاحيتها في حقل دون آخر، ونجد أحمد مختار عمر يمثل له بطريقة أخرى، وهو تعلق الوحدة في سياقها اللغوي بما تنتجه من دلالة في حقول متنوعة، حيث يقول: «أما السياق اللغوي فيمكن التمثيل له بكلمة (good) الإنجليزية، ومثلها كلمة (حسن) العربية أو (زين) العامية التي تقع في سياقات لغوية متنوعة، وصفا ل:

-أشخاص: رجل، امرأة...

-أشياء مؤقتة: وقت، يوم.

-مقادير: ملح، دقيق.

فإذا وردت في سياق لغوي مع كلمة رجل كانت تعني الناحية الخلقية، وإذا وردت وصفا لطبيب مثلا كانت تعني التفوق في الأداء وليس الناحية الأخلاقية، وإذا وردت وصفا للمقادير كان معناها الصفاء والنقاوة.»<sup>(3)</sup>

ولعل هذا هو منهج الإبدال، الذي رأى فيرث (firth) أنه المنهج المعتاد في تقسيم كل ما نقوله وما نسمعه إلى عناصر ومكونات يمكن تحديدها وظيفيا وداليا، ويندرج تحت هذا السياق عدة أنواع:

1- فاطمة الشبيدي: المعنى خارج النص، دار نينوى، دمشق، 2011، ص 22.

2- نفسه: ص 29-30.

3- أحمد مختار عمر، علم الدلالة، عالم الكتب، ط5، 1988، ص 69.

## أ-السياق الصوتي:

« وهو يهتم بدراسة الصوت داخل سياقه اللغوي»<sup>(1)</sup> وعلى منهج الإبدال الذي رآه فيرث ( firth ) « فإن في السياق الصوتي (...ال)، نلاحظ أن عددا من الصوامت يمكن وجودها في هذا السياق، والوظيفة الأصواتية لكل واحد من هذه الصوامت الممكنة هو استخدامه بطريقة مميزة من الصوامت الأخرى، وهكذا فإن وظيفة /ق/ في(قال) هو استخدامه في هذا السياق بطريقة مميزة عن مقابلات إبدال أخرى ممكنة مثل /ن/ و/س/ و /م/.»<sup>(2)</sup>

## ب-السياق الصرفي:

« وهو يهتم بالوحدات الصرفية إذا كانت ضمن سياق تركيبى معين، أي تمارس وظيفتها داخل النص.»<sup>(3)</sup> وقياسا على ما سبق في الحديث عن الوظيفة الأصواتية أو مقابل الإبدال الأصواتي حسب فيرث، يمكن القول إن « المصّوف اللاصقة (ة) في (عفوت عن القاتلة) يعد مقابل إبدال تصريفي، ووظيفته التصريفية هي استخدامه بطريقة مميزة عن مقابلات إبدال أخرى مثل: (ات) و(ين) و(ين)، وكذلك صيغة (فاعل) تم استخدامها بطريقة مميزة من (فعليل) و(فعال) مثلا، لذا فهي مقابل إبدال تصريفي.»<sup>(4)</sup>

## ج-السياق التركيبي:

« وهو شبكة من العلاقات القواعدية التي تحكم بناء الوحدات اللغوية داخل النص، وفيها تقوم كل علاقة بمهمة وظيفية تساعد على بيان الدلالة من خلال القرائن النحوية.»<sup>(5)</sup> وليبيان دور العلاقات

1- فاطمة الشيدي: المعنى خارج النص، ص31.

2- محمد يونس علي: المعنى وظلال المعنى، دار المدار الإسلامي، ط2، 2007، ص 118.

3- فاطمة الشيدي: المعنى خارج النص، ص32.

4- محمد يونس علي: المعنى وظلال المعنى، ص 119.

5- فاطمة الشيدي: المعنى خارج النص، ص32.



النحوية تمثل بقوله تعالى: ﴿ وَأَذَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ ﴾ [التوبة]، فكلمة رسوله الأولى مجرورة والثانية مرفوعة، وقد تكون الثانية منصوبة على العطف على اسم إن، أما أن تكون مجرورة فلا، لأن معنى الآية يمنع ذلك ويجرمه<sup>(1)</sup>

#### د- السياق المعجمي:

وهو مجموعة العلاقات الصوتية التي تتضمن من أجل تخصيص الوحدة اللغوية بيان دلالي معين، يمنحها القدرة على التركيب وفق أنظمة اللغة المعينة، وهذه الوحدة تشترك في علاقات أفقية مع وحدات أخرى لإنتاج المعنى السياقي العام للتركيب، وعلى منهج فيرث يمكن اعتبار الوحدة المعجمية (ق ت ل) مقابل إبدال معجمي للوحدة (ض ر ب).

#### 2- السياق الخارجي:

يسمى هذا القسم من السياق بالعديد من التسميات، منها: سياق الحال، سياق الموقف، سياق المقام، السياق غير اللغوي، السياق العام، وهذا القسم من السياق « هو الشائع في مصطلح الدرس اللغوي الحديث. »<sup>(2)</sup> فهو يعني « كل ما يجري من خلاله التعامل اللغوي الفعلي الحادث من الأفراد في مجتمعهم، وهو يمثل السياقات الخارجية والضمنية، والموجهات النصية الخارجة عن سياقات اللغة، والإشارات البعيدة، والمعينات الخارجية التي تحدد معنى النص واتجاهاته، كالسياقات النفسية والاجتماعية والثقافية التي تفرض هيمنتها على النص والناص، فلا يمكن دراسة اللغة منعزلة عن أطرها الاجتماعية والثقافية. »<sup>(3)</sup> فهو « إطار عام تنتظم فيه عناصر النص ووحداته اللغوية، ومقياس تتصل بوساطته الجمل فيما بينها وتترابط بشكل تلاحمي، ويضبط السياق حركات الإحالة بين عناصر النص، فلا يفهم معنى

1- ينظر: خليل خلف بشير العامري: السياق أنماطه وتطبيقاته في التعبير القرآني، مجلة القادسية في الآداب والعلوم التربوية، ع2، 2010، ص 43.

2- أحمد حساني: فاعلية السياق في إنتاج النص، مجلة اللغة والأدب، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة الجزائر2، ع21، ماي 2014، ص 37.

3- فاطمة الشيدي: المعنى خارج النص، ص34.

كلمة أو جملة إلا بوصلها بالتي قبلها أو بالتي بعدها داخل إطاره، فهو بناء متكامل في علاقته بأي جزء من أجزائه، ولا يلقي الضوء على معاني الكلمات المفردة فحسب، بل على معنى وغاية النص برمته.<sup>(1)</sup>

وقد اختلف الدارسون في تقسيم هذا القسم من السياق إلى أنواع مختلفة، وذلك لاختلاف وجهات النظر، ذلك أن الأشياء التي هي خارجة عن إطار اللغة من القرائن والأحوال والعناصر التي تؤثر في الكلام لا يمكن أن تقع تحت الحصر، وقد يتأثر المتكلم في كلامه بعدة عوامل، وهو لا يشعر بها ولا بتأثيرها. ومن الدارسين من يفرق بين السياق الثقافي والاجتماعي، ومنهم من يجعلهما تحت مفهوم واحد، وكذلك السياق العاطفي والنفسي، ونجد أحمد المتوكل يقسم هذا القسم إلى نوعين:

**القسم الأول:** السياق المقامي الخاص، ويقصد به العناصر السياقية المرتبطة بموقف تواصلية معين، يقوم بين مشاركين في عملية التواصل في زمان معين ومكان معين.

**القسم الثاني:** السياق المقامي العام، والذي يدرج فيه كل ما يشكل الخلفية الاجتماعية والثقافية لعملية التواصل والمشاركين فيها.<sup>(2)</sup> وسنسير نحن في تقسيمنا على التقسيم الذي سار عليه الدكتور أحمد مختار عمر، وهو تقسيمه إلى ثلاثة أنواع، بإدراج السياق الاجتماعي مع السياق الثقافي:

#### أ-السياق المقامي (الموقف):

يدل هذا السياق على الظروف والملابسات التي يحدث فيها الخطاب، يقول محمد علي الخولي: « سياق الموقف هو السياق الذي جرى فيه التفاهم بين شخصين، ويشمل ذلك زمن المحادثة ومكانها والعلاقة بين المتحاورين، والقيم المشتركة بينهما، والكلام السابق للمحادثة.»<sup>(3)</sup> وهذا النوع من السياق هو المقصود بقول البلاغيين مقتضى الحال، « إن (سياق الحال) أو (الماجرى) هو جملة العناصر المكونة

1- حفصة فقاو: دور السياق الثقافي في التواصل النصي، مجلة اللغة والأدب، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة الجزائر2، ع21، ماي 2014، ص 27.

2- يراجع في ذلك: أحمد المتوكل، السياق موارد ومواده وأتماطه، ضمن كتاب (التداوليات وتحليل الخطاب)، تنسيق: حافظ إسماعيلي علوي ومنتصر أمين عبد الرحيم، دار كنوز المعرفة، ط1، 2014، ص 602-605.

3- أحمد حساني: فاعلية السياق في إنتاج النص، ص 43.

للموقف الكلامي أو الحال الكلامية، ومن بين هذه العناصر:

- شخصية المتكلم والسامع وتكوينهما الثقافي، وشخصيات من يشهد الكلام غير المتكلم والسامع إن وجدوا، وبيان ما لذلك من علاقة بالسلوك اللغوي.
  - العوامل والظواهر الاجتماعية ذات العلاقة باللغة وبالسلوك اللغوي.
  - أثر النص الكلامي في المشتركين كالإقناع والإغراء.
- وهكذا يتضح أن من أهم خصائص هذا النوع من السياق، إبراز الدور الاجتماعي الذي يقوم به المتكلم وتأثر المشتركين في الموقف الكلامي.<sup>(1)</sup>

### ب-السياق العاطفي:

وظيفة السياق العاطفي أنه « يحدد طبيعة استعمال الكلمة بين دلالتها الموضوعية التي تفيد العموم، ودلالاتها العاطفية التي تفيد الخصوص.»<sup>(2)</sup> فيستعمل المتكلم كلمات تتناسب وانفعاله العاطفي، فلو كان في حالة غضب مثلاً، يستعمل كلمات ذات شحنة قوية من قبيل القتل والذبح، وقد يلجأ إلى السب والشتم، أما إن كان في حالة نفسية هادئة أو مرحة، فحينها سيستعمل كلمات توحى بالتفاؤل والطفرة. يتحكم السياق العاطفي في المعجم المستعمل من قبل المتكلم، وكذا في طريقة أدائه، « فيحدد درجات القوة والضعف في الانفعال مما يقتضي تأكيداً أو مبالغة أو اعتدالاً، فهو يبين درجات العمق العاطفي وتصنيفها حسب القوة والضعف بالاستعانة بالقرائن البيانية، التي توضح عمق الانفعال أو سطحيته.»<sup>(3)</sup> ومما يميز هذا السياق أنه ذو طابع ذاتي يتعلق بالمتكلم فقط دون غيره، على خلاف السياق الاجتماعي والحالي فهما موضوعيان يشترك فيهما المتكلم والمخاطب والكلام.

1- محمود السعران: علم اللغة، مقدمة للقارئ العربي، دار النهضة العربية، ص 311.

2- حفصة فقاو: دور السياق الثقافي في التواصل النصي، ص 29.

3- فاطمة الشيددي: المعنى خارج النص، ص 35.

## ج-السياق الثقافي (الاجتماعي):

يختلف السياق الثقافي قليلا عن سياق الموقف، لكن يمكن القول إنه جزء منه، فهو استعمال خاص لوحدات لغوية (كلمات أو عبارات) ترتبط بثقافة محددة، مما يجعلها علامة لانتماء عرقي أو ديني أو سياسي.<sup>(1)</sup> ويلعب السياق الثقافي (الاجتماعي) دوراً مهماً في تحديد المعنى المقصود من الكلمة أو العبارة المستخدمة بشكل عام. فهذا النوع « يقتضي تحديد المحيط الثقافي والاجتماعي الذي يمكن أن تستخدم فيه الكلمة.»<sup>(2)</sup> لذلك عند التعامل مع ثقافات مختلفة وجب الانتباه إلى خصوصية تلك الثقافة، وذلك بفهم الاختلافات الممكنة التي قد تؤثر على عملية التواصل.

1- حفصة فقاو: دور السياق الثقافي في التواصل النصي، ص 32.

2- أحمد مختار عمر: علم الدلالة، ص 71.

# الفصل الأول

## التلميح في الدراسات العربية والدراسات الغربية

المبحث الأول: مفهوم التلميح

المبحث الثاني: التلميح في التراث العربي

المبحث الثالث: التلميح في الدراسات الغربية

### المبحث الأول: مفهوم التلميح

#### 1- لغة:

تشتق كلمة (تلميح) من الفعل لَمَحَ. جاء في أساس البلاغة: «لمح البرق والنجم: لمع من بعيد، وبرق لماح، ورأيته لمحة البرق، ولمحته ببصري: اختلست النظر إليه، وهو أسرع من لمح البصر...»<sup>(1)</sup>

وجاء في لسان العرب: «لمح إليه يلمح لمحا وألمح: اختلس النظر... واللمحة: النظرة بالعجلة، الفراء في قوله تعالى: (كلمح البصر)؛ قال: كخطفة بالبصر. ولمح البصر ولمحه ببصره.. ولمح البرق والنجم يلمح لمحا ولمحانا: كلمع. وبرق لامح ولموح ولماح... وقيل لا يكون اللوح إلا من بعيد.»<sup>(2)</sup>

وجاء في المعجم الوسيط: «لمح البصر لمحا وتلمأحا: امتد إلى الشيء، ويقال: لمحه ببصره: صوبه إليه، ولمح إليه: أبصره بنظر خفيف، أو اختلس النظر إليه، فهو لامح...»<sup>(3)</sup>

تشير التعريفات السابقة إلى أن التلميح يعني سرعة النظر، وعدم الكشف، بسبب النظر الخاطف السريع، فكأن المتكلم إذا استعمل التلميح في خطابه فهو يعمد إلى ستر ما يقول، بحيث لا يكشف كل شيء للمخاطب، ولكنه يومئ له، أو يوحي إليه، معتمدا في ذلك على السياق وكفاية المخاطب.

#### 2- اصطلاحا:

يكون التواصل ناجحا إذا كان الكلام واضحا صريحا، فبعض المواقف تقتضي ألا يكون للكلام إلا وجه واحد لا يقبل التأويل، كأن يكون التواصل بغرض البيع والشراء، أو في مجال الإدارة وتوجيه الأوامر، فأى لبس أو غموض سيؤثر على نجاح التواصل جزئيا أو كليا. غير أن المباشرة والوضوح لا تناسب دائما كل المواقف، إذ هناك حالات كثيرة تقتضي أن يكون الغموض أو عدم التصريح مقصودا،

1- الزمخشري: أساس البلاغة، ج2، ص 179.

2- ابن منظور: لسان العرب، ج2، ص 584.

3- مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، ص 838.

بمعنى أن يعتمد المتكلم إلى التلميح لقصده، وذلك بدافع الخوف، أو بدافع احترام المكان، إلى غيرها من الأسباب التي نفصل فيها لاحقاً.

يدعى هذا التعبير غير المباشر التلميح أو الإستراتيجية التلميحية « التي يعبر بها المرسل عن القصد بما يغير معنى الخطاب الحرفي، لينجز بها أكثر مما يقوله، إذ يتجاوز قصده مجرد المعنى الحرفي لخطابه، فيعبر عنه بغير ما يقف عنده اللفظ مستثمراً في ذلك عناصر السياق.»<sup>(1)</sup>

إذا انتهج المتكلم التلميح أسلوباً في الخطاب فمعنى ذلك أن قصده لا يقف عند حدود المعنى الحرفي للخطاب، بل يتجاوزه إلى المعنى الضمني الكامن خلف العبارة، والذي يمكن أن يستدل عليه المخاطب. كأن تقول لشخص: الجو حار، فيفهم أنك تطلب منه فتح النافذة، وذلك استناداً إلى السياق، كأن تكون الغرفة مغلقة مثلاً. وعليه فإن المعنى الضمني « هو ذلك المعنى غير المصرح به في العبارات اللغوية المنطوق بها.»<sup>(2)</sup>

ويعد التلميح من صميم مباحث الدراسات التداولية، التي تركز على « دراسة اللغة في حيز الاستعمال متجاوزة حدود الوضع الأصلي المباشر في بعض السياقات التي لا يقصد فيها المتكلم الدلالة المباشرة من الكلام، بل يقصد المعنى غير المباشر، وهذه المعاني لا يمكن الوصول إليها إلا من خلال فهم اللغة في سياق الاستعمال السياقي الذي يحدد قصد المتكلمين، والوضع اللغوي وحده لا يكفي لتحقيق هذا المعنى.»<sup>(3)</sup>

يحتل السياق موقعاً هاماً في تأويل الخطاب التلمحي، ذلك أن السياق يعين على تجاوز البنية الحرفية للخطاب، والتي لا يظهر معها القصد بوضوح، ولذلك فالانطلاق من حرفية الخطاب، وتأويله

1- عبد الهادي بن ظافر الشهري: إستراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد، بيروت، ط1، 2004، ص 370.

2- بنعيسى أزيابط: من تداوليات المعنى المضمر، مجلة سلسلة الندوات: اللسانيات واللغة العربية بين النظرية والتطبيق، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة المولى إسماعيل، 1992، ص 56.

3- محمود عكاشة: النظرية البراغماتية اللسانية التداولية (دراسة المفاهيم والنشأة والمبادئ)، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، ص 21.

بالاعتماد على البنية الدلالية فقط لن يوصل إلى فهمه بشكل سليم، وقد رأى غرايس (Grice) « أن الكثير من الألفاظ لن تجد تفسيرها في المنهج الدلالي، ولكن في منهج تحادتي أو تداولي.»<sup>(1)</sup>

لكن يجب الانتباه إلى أن هناك معنيين ضمنيين قد يكتنفان أي خطاب، معنى ضمني دلالي، ومعنى ضمني تداولي. يميز بينهما مانغونو (Maingueneau) على أساس أن الضمنيات الدلالية لا ترتبط إلا بالمادة اللغوية للملفوظ، أما الضمنيات التداولية فلا يصل إليها المخاطب إلا بربط الملفوظ بسياقه.<sup>(2)</sup> وحتى يوضح الفكرة جاء بالمثال الآتي: لم يعد بول يعيش في لندن بل في باريس. فالمعنى الضمني الدلالي الذي يمكن أن يستنبط من المثال هو: يعيش بول حاليا في فرنسا، وقبل ذلك كان بول يعيش في لندن. وبالمقابل، وفي سياق معين، يمكن للمخاطب استنباط معنى ضمني تداولي، فمثلا: لا يمكن لبول أن يلبي دعوتنا، أو لم يستطع بول أن يستلم دعوتك.<sup>(3)</sup>

إن عدم ارتباط الضمنيات الدلالية بالسياق، واعتمادها على البنية اللفظية للخطاب يجعلها غير مقصودة، إذ على المخاطب أن يفعل قرينة السياق حتى يصل إلى الضمنيات التداولية المقصودة، وهي - في مثال مانغونو - عجز بول عن الحضور لبعد إقامته.

الخلاصة أن التلميح هو القول الخارج في دلالاته عن مقتضى الظاهر، ولا يفهم معناه إلا من خلال القرائن اللسانية والحالية وأضرب الاستدلال العقلي.

1- جورج بول: التداولية، ترجمة: قصي العنابي، الدار العربي للعلوم، ط1، 2010، ص 13.

2- دومينيك مانغونو: المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، ت محمد بيجاتن، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2008، ص 71.

3- نفسه، نفس الصفحة.



### المبحث الثاني: التلميح في التراث العربي

#### توطئة:

ليس الهدف من الحديث عن التداولية في التراث العربي تأصيلاً للمفاهيم المتناولة عند الغرب، بل هو محاولة رصد جوانب ثراء المدونة العربية، ومعرفة الأفكار التي سبق تناولها من قبل علماء العربية القدامى.

ويرتبط البحث في المجال التداولي بالتواصل اللغوي، الذي يركز على طرفي الخطاب (المتكلم والمخاطب)، فيبحث في دور المتكلم في صياغة الخطاب وإنتاجه، كما يبحث في دور المخاطب في تأويل الخطاب، باستثمار كل الملابس المحيطة به.

تناول العلماء القدامى دراسة الخطاب وأبرزوا أنه يستخدم لأغراض وأهداف متعددة، بما في ذلك إشباع الحاجات وتحقيق المنافع، بالإضافة إلى استخدامه في سياقات اللغة نفسها. وفيما يتعلق بأسبعية العرب في فهم جوانب هذا الاتجاه، يشير سويرتي إلى أن النحاة والبلاغيين والفلاسفة المسلمين كانوا يمارسون التفكير التداولي قبل أن يتم تشكيله كفلسفة مستقلة وعلم منظم، وأضاف أنهم كانوا يستخدمون التحليل التداولي بوعي لفهم الظواهر والعلاقات المختلفة.<sup>(1)</sup> ومن بين المصادر الرئيسية عند العرب لهذا النوع من التفكير: علم النحو، علم البلاغة، النقد، الخطابة، بالإضافة إلى الإسهامات التي قدمها الأصوليون، الذين شكلوا مدرسة فريدة إلى جانب البلاغيين.

يرى أحمد المتوكل أن الإنتاج العربي القديم يؤول في مجموعه (نحوه وبلاغته وأصوله وتفسيره) إلى المبادئ الوظيفية التي تخص مختلف العلوم اللغوية العربية كعلوم القرآن مثلاً، ولذلك فالوصف اللغوي لم

1- محمد سويرتي: اللغة ودلالاتها، تقريب تداولي للمصطلح البلاغي، مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، العدد 3، مارس

يكن مجرد الجملة من مقامات إنجازها، بل كان ينظر إلى النص على أنه خطاب متكامل، فكان الوصف اللغوي يربط المقام بالمقال.<sup>(1)</sup>

أما عن التلميح عند العرب فلم يظهر كمصطلح علمي، لكنهم عرفوه ووظفوه كإستراتيجية في التخاطب، إذ إن غياب المصطلح لا يعني بالضرورة غياب المفهوم، فهناك إشارات كثيرة إلى التلميح، ومسميات عديدة تتنوع بتنوع الدراسات التي تناولته، من نحو وبلاغة وفقه وغيرها. وتعد البلاغة الميدان الخصب للإستراتيجية التلميحية وخاصة علم البيان، الذي يشتمل على العديد من الوسائل التلميحية البلاغية كالاستعارة والكناية وغيرها، إضافة إلى علم المعاني الذي يعنى بدراسة خروج الأساليب الخبرية والإنشائية إلى أغراض أخرى ترتبط بمقاصد المتكلم وسياق التلفظ، وهذا ما يسمى في التداولية بأفعال الكلام غير المباشرة.

وفيما يلي سيتم عرض ثلاثة اتجاهات تناولت فكرة التلميح، والبحث في مدى وعيهم بالآليات التداولية في تحليل الخطابات المتنوعة، وسيتم التركيز على كل من النحاة والبلاغيين وعلماء الأصول.

### المطلب الأول: التلميح عند النحاة

عرف ابن جني النحو بقوله: «هو انتحاء سمت كلام العرب في تصرفه، من إعراب وغيره، كالثنائية والجمع والتحقيق والتكسير والإضافة والنسب والتركيب وغير ذلك، ليلحق من ليس من أهل اللغة العربية بأهلها في الفصاحة، فينطق بها وإن لم يكن منهم، وإن شذ بعضهم عنها رد به إليها.»<sup>(2)</sup>

كل لغة لها نظامها الخاص الذي يعتمد على قواعد تضبط الأداء، بحيث يكون الهدف إنتاج جمل صحيحة ومقبولة، ومخالفة تلك القواعد تؤدي إلى فشل عملية التواصل جزئياً أو كلياً. وقد اجتهد النحاة الأوائل في وضع تلك القواعد من خلال استقراءهم كلام العرب.

1- أحمد المتوكل: اللسانيات الوظيفية، مدخل نظري، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط2، 2010، ص 39-40.

2- ابن جني: الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، المكتبة العلمية، دط، دت، ج1، ص34.

إذن، فالنحو يقوم على ضبط قواعد الكلام حتى ينسج وفق أساليب العرب في كلامهم، فيضبط الوظائف الإعرابية التي « تعطي السياق الداخلي للنص معاني أولية تتضافر مع سياق النص الخارجي في تحديد غاية التواصل. »<sup>(1)</sup>

ومع اهتمام النحاة الكبير بالسياق الداخلي للنص، كانوا أيضا على وعي بالمتغيرات الخارجية التي تحيط به، وتؤثر في وصف الظاهرة النحوية، فكانت كتب النحو غنية بالآليات التداولية التي تثبت تطور المنجز التداولي في الدرس النحوي القديم. فكان النحاة على علم بعناصر الخطاب، وبالظروف التي تحكم عملية التخاطب، وتتحكم في توجيه المعنى المراد تبليغه.

لقد كان عمل النحاة على صلة وثيقة بمعاني الكلام، وبأغراض الأساليب ومقاصدها، وبطرق الاستعمال وأحواله، وبطبيعة العلاقة بين المتخاطبين، وبالظروف المحيطة بالخطاب ودلالاته، حيث إن « نحوهم لم يكن كله شكليا خالصا... بل لعل من مظاهر العبقرية عند بعضهم أنهم لم يفهموا من اللغة أنها منظومة من القواعد المجردة فحسب، وإنما فهموا منها أيضا أنها لفظ معين يؤديه متكلم معين في مقام معين لأداء غرض تواصلية إبلاغي معين. »<sup>(2)</sup>

يقف كتاب سيبويه شاهدا على هذا الوعي، فقد أبدع في ربط بعدي النص الداخلي (النظم) والخارجي (التداولي)، فكان « يمد المتكلم بأشكال وتراكيب مختلفة تتوافق وغايات التخاطب، يختار المتكلم منها ما يوافق مراده، ويلائم المقام، فيقدم أو يؤخر، ويحذف أو يذكر، وينكر أو يعرف، ويخرج الكلام على غير مقتضى الظاهر... متجاوزا بذلك القيود الإعرابية لأواخر الكلم ليصل إلى غاية التواصل. »<sup>(3)</sup>

1 - أحمد شاهين: النظرية التداولية، عالم الكتب الحديث، ط1، 2015، ص 70.

2 - مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب، ص 174.

3 - أحمد شاهين: النظرية التداولية، ص 71.

فسيبويه إذن لا يعتني بالنحو وحده أو يعزله عن الظاهرة الاجتماعية، بل يأخذ بالاعتبار مقاصد المتكلم، وأحوال المخاطب، وينظر إلى كل ذلك نظرة متكاملة متناسقة.<sup>(1)</sup>

ولذلك جعل النحاة من أهداف دراستهم إفادة المخاطب من خلال إيصال الرسالة الإبلابية إليه، بالإضافة إلى هذا أنهم جعلوا من بين أهم قواعدهم المنهجية المقررة قاعدة تقول: "الإعراب فرع المعنى" وكل هذا يعني أنهم درسوا اللغة دراسة وظيفية-تداولية.<sup>(2)</sup>

وحتى يسهل رصد المنجز التداولي عند النحاة، وإثبات تجاوزهم القاعدة النحوية إلى توظيف الآليات التداولية المختلفة المراعية أحوال التخاطب، وصولاً إلى الغاية من التواصل، سيركز البحث على مبدأين اثنين طالما كان لهما الحضور في تحليل النحاة، وهما مبدأ الغرض ومبدأ الإفادة، كونهما ألصق بالمتكلم والمخاطب، الطرفين الرئيسيين في العملية التواصلية.

### 1- مبدأ الإفادة:

الإفادة هي المحصل النهائي من مراد المتكلم من التركيب الذي أنشأه، أي هي ما يجنيه المخاطب من فائدة، وعدم حصول هذه الفائدة يعني أن الرسالة الإبلابية لم تصل. والجملة هي محل الإفادة، إذ هي وسيلة التعبير عن الأغراض التواصلية، وقد أدرك النحاة فائدة التركيب التي لا تتأتى إلا بائتلاف كلمتين على الأقل لتشكلا معنى يفيد السامع، فقد عرفوا الجملة بأنها « اللفظ المفيد فائدة يحسن السكوت عليها»<sup>(3)</sup>، ولذلك وضع لها النحاة شروطاً مزاجين في ذلك بين المبنى والمعنى لا يتخلف أحدهما عن الآخر، وعبر ابن هشام عن ذلك بقوله: «متى بني على ظاهر اللفظ ولم ينظر في موجب المعنى حصل الفساد»<sup>(4)</sup>

1 - عبد الحكيم سحالية: البلاغة العربية القديمة واللسانيات التداولية، حوليات جامعة قلمة للغات والآداب، ع21، ديسمبر 2017، ص 82.

2- مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب، ص 175.

3- ابن عقيل: شرح ألفية ابن مالك، تحقيق: محي الدين عبد الحميد، دار التراث، القاهرة، ط20، 1980، ج1، ص 14.

4- ابن هشام: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق: عبد اللطيف محمد الخطيب، الكويت، ط1، 2000، ج6، ص 14.

من أهم الشروط التي رأى النحاة أن من شأنها تحقيق الفائدة لدى السامع، أن يثبت للجملة معنى دلالي عام، بحيث يفهمه السامع، ويكون هذا المعنى مشتركا بين جميع أفراد الجماعة اللغوية الواحدة، حتى يكون فهمهم له واحدا، وهو هدف العملية التواصلية. وأن تكتمل النسبة الكلامية للجملة، فتكون عناصرها معينة ودالة تحدث للسامع فائدة يكتفي بها.<sup>(1)</sup>

ومن الأمور التي ترتبط بالإفادة ظاهرة التعريف والتنكير، فاشتراط النحاة أن يبتدأ في الإسناد بالمعرفة، ذلك أن الإسناد إلى نكرة لا يحصل أي فائدة للمخاطب، كون النكرة تدل على ما هو شائع وعام.<sup>(2)</sup>

يقول ابن يعيش: «اعلم أن أصل المبتدأ أن يكون معرفة، وأصل الخبر أن يكون نكرة؛ وذلك لأن الغرض في الإخبارات إفادة المخاطب ما ليس عنده، وتنزيله منزلتك في علم ذلك الخبر، والإخبار عن النكرة لا فائدة فيه... فإذا اجتمع معك معرفة ونكرة، فحق المعرفة أن تكون هي المبتدأ، وأن يكون الخبر النكرة؛ لأنك إذا ابتدأت بالاسم الذي يعرفه المخاطب كما تعرفه أنت، فإنما ينتظر الذي لا يعلمه.»<sup>(3)</sup>

فاستعمال المعرفة والنكرة يراعى فيه حال المخاطب، ذلك أن الابتداء بالنكرة يثير اللبس والغموض، وهو من آفات التواصل. غير أنهم أجازوا الابتداء بالنكرة في مواضع مخصوصة،<sup>(4)</sup> وذلك استنادا إلى قاعدة أمن اللبس وتحقيق الإفادة.

ومن الأساليب التي يظهر فيها مبدأ الإفادة، التقديم والتأخير، وهذا التصرف في رتبة عناصر الجملة ليس عبثيا، وإنما يتعلق بالفائدة التي يتوخى المتكلم إيصالها إلى المخاطب، فيقدم المتكلم ما شاء من عناصر التركيب مراعى في ذلك حال السامع وما يجنيه من فائدة من الخطاب، فيقدم المتكلم ما يهم

1- مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب، ص 186.

2- الكفوي: الكليات، تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1998، ص 894.

3- ابن يعيش: شرح المفصل، تقديم: إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2001، ج1، ص 224-225.

4- نفسه: ص 225.

المخاطب معرفته ويحرص عليه، ويؤخر ما هو أقل أهمية بالنسبة له. فالأهمية التي يجنيها المخاطب من المبتدأ المقدم غير التي يجنيها من تقديم الخبر، وغيرها كذلك التي يجنيها من تقديم المفعول به وهكذا...

وقد بسط عبد القاهر الجرجاني الكلام عن معاني التقديم والتأخير في الجملة العربية « ورأى أن الإفادة في هذه الظاهرة الأسلوبية متحققة في كل الحالات... مما يفيد أن معاني البنى التركيبية متأثرة بالتقديم والتأخير، مهما ضؤل وفي كل الأحوال والمقامات»<sup>(1)</sup>

### 2- مبدأ الغرض:

تكلم ابن جني عن اللغة فقال: «أما حدها فإنها أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم.»<sup>(2)</sup> فالكلام يقوم على المشاركة بين أطراف الخطاب، والأساس في ذلك المتكلم والمخاطب، ويقصد بالكلام تداول المعلومات، مع الخضوع لقواعد مضبوطة في الوقت نفسه.

فعملية التواصل هي أن يبلغ المتكلم غرضه وقصده للمخاطب، ومنه كان تحديد الوظيفة النحوية للكلمة، والتحليل النحوي للجملة عامة مرتبطا بشكل وثيق بمراعاة الغرض من الكلام، وهو مبدأ تداولي عرفه النحاة قديما.

والقصد ضد اللغو « وهو الخلو عن الفائدة أو صرف الدلالة، فإن المقصد يكون، على العكس من ذلك، هو حصول الفائدة أو عقد الدلالة؛ واختص المقصد بهذا المعنى باسم "المقصود"، فيقال: "المقصود بالكلام" ويراد مدلول الكلام... إن المقصد بمعنى المقصود هو المضمون الدلالي.»<sup>(3)</sup>

وقد اعتمد النحاة على هذا المبدأ، أي مراعاة غرض المتكلم وقصده، في تحليل الكثير من الشواهد، أين لم تسعفهم القرائن المختلفة في فهم المعنى. من ذلك قول الشاعر: [طويل]

1 - مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب، ص 195.

2 - ابن جني: الخصائص، ص 33.

3 - طه عبد الرحمن: تجديد المنهج في تقويم التراث، ص 98.

بنونا بنو أبنائنا وبناتنا بنوهن أبناء الرجال الأبعاد

فالتحليل الأولي للبيت يجعل من لفظي "بنونا" و"بنو أبنائنا" في مرتبة واحدة، والقاعدة النحوية تقول بوجوب تقدم المبتدأ إذا تساوى مع الخبر، غير أن أبا علي الفارسي يحتكم إلى غرض المتكلم في تحليله معنى البيت؛ يقول: «فقدّم [أي الشاعر] خبر المبتدأ وهو معرفة، وإنما دل على أنه ينوي التأخير المعنى، ولولا ذلك لكانت المعرفة، إذا قدمت، هي المبتدأ لتقدمها»<sup>(1)</sup> فالشاعر يقصد إلى أن يجعل من أحفاده أبناء له، وهذا المعنى لا يستقيم إلا إذا كان "بنو أبنائنا" مبتدأ، أي أن معنى البيت هو: "أحفادنا من أبنائنا هم من نعدهم أبناءنا، أما أحفادنا من بناتنا فليسوا كذلك".

وحتى يضمن المتكلم تحقق عملية التواصل بشكل أمثل، وتوصل المخاطب إلى المعنى من جهة ثانية، لا بد أن يراعي حال المخاطب، وقد بين الإمام الغزالي الطريقة التي يفهم بها مراد المتكلم؛ وذلك بأن يكون المخاطب عارفاً بوضع اللغة التي تتم بها المخاطبة، أو انضمام قرينة لفظية إلى الكلام، أو دليل عقلي، وإما قرائن أحوال من إشارات ورموز وحركات وسوابق ولواحق لا تدخل تحت الحصر والتخمين يختص بدرورها المشاهد لها.<sup>(2)</sup>

يحاول المتكلم في عملية التخاطب أن يوصل غرضه وقصده إلى المتكلم، فيتصرف في خطابه بحرية داخل النظام اللغوي، وبما أنه هو من يمتلك ناصية الكلام، فهو ينوع الإعراب، ويغير رتب عناصر الجملة، وقد ي حذف أو يذكر، وقد يثبت أو ينفي، إلى غير ذلك من حرية التصرف في الكلام، وكل ذلك له علاقة بما يقصده من أغراض ومعان تتنوع بحسب الأحوال والمقامات.

ومن الظواهر التداولية التي يحاول المتكلم أن يبين من خلالها غرضه وقصده، التحكم في العلامة الإعرابية، بوصفها عنواناً لضبط قصده بالاعتماد على مبدأ التعاون بين طرفي التخاطب، بمعنى أن اختيار المتكلم علامة إعرابية معينة - مع جواز اختيار علامة أخرى - هو دليلٌ توصل من خلاله إلى معرفة

1- الجرجاني: دلائل الإعجاز، تعليق: محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط5، 2004، ص 374.

2- محمود أحمد نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 89-90.

قصد المتكلم، فتصبح العلامة الإعرابية المختارة هي أداة المتكلم التي يوجه من خلالها مستمعه إلى أن يتجاوز المعنى الظاهري لكلامه إلى معنى آخر، عن طريق مبدأ التعاون.

ومثال ذلك ما جاء عند ابن يعيش في تحليل عبارة "لا تأكل السمك وتشرب اللبن"، حيث إن عطف الفعل الثاني بعلامة الجزم على الفعل الأول في أسلوب النهي، يحمل فهماً لمقصود المتكلم مقتضاه النهي عن الفعل الأول منفرداً، والنهي عن الفعل الثاني منفرداً، بينما لو أن المتكلم نصب الثاني بتقدير (أن) المضمره فإن المتلقي (عن طريق مبدأ التعاون) سيفهم قصد المتكلم بالشكل التالي: النهي عن اجتماع الفعلين، مع جواز إتيان الفعلين في حال الأفراد، يقول ابن يعيش: «... بل يجوز فيها العطف على ظاهر الفعل المتقدم فيشاركه في إعرابه إن رفعاً وإن جزماً، ألا ترى أنك إذا قلت: لا تأكل السمك وتشرب اللبن، بجزم الثاني، كنت قد عطفت الثاني على الأول، ويكون المعنى أنك نهيت عن كل واحد على الانفراد، حتى لو أكل السمك وحده كان عاصياً، ولو شرب اللبن وحده كان عاصياً، فإذا أُريد النهي عن الجمع لا عن كل واحد منهما عدل إلى النصب... أي إذا أُريد غير معنى العطف الصريح، وكان له مساع عدلوا إليه ...»<sup>(1)</sup> إذن، الأمر مرده إلى المتكلم، إن شاء جزم، وإن شاء نصب، وذلك حسب الغرض الذي يريده من المخاطب. وفي السياق نفسه يوجه الرضي الإسترابادي نصب المضارع أو رفعه بعد "حتى" بقوله: «إذا أردنا أن نبين متى يرفع المضارع بعد (حتى) ومتى ينصب، قلنا: ذاك إلى قصد المتكلم.»<sup>(2)</sup>

ومثال آخر يثبت ما للمتكلم من حرية في استعمال العلامة الإعرابية تبعاً لقصده، ويتعلق الأمر بجزم المضارع ورفع بعد الجزاء (الطلب)، يقول سيويوه: «تقول: (قم يدعوك)، لأنك لم ترد أن تجعل دعاء بعد قيامه، ويكون القيام سبباً له، ولكنك أردت: قم إنه يدعوك. وإن أردت ذلك المعنى جزمت»<sup>(3)</sup> فللمتكلم في المضارع الواقع بعد الطلب أن يجزمه ويرفعه، وذلك حسب قصده؛ فإذا أراد أن

1- ابن يعيش: شرح المفصل، ج4، ص 245.

2- الرضي: شرح الكافية، تعليق: يوسف حسن عمر، جامعة قارون، بنغازي، ط2، 1996، ج4، ص 57.

3- سيويوه: الكتاب، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، 1988، ج3، ص 98.



يجعل القيام سببا للدعاء جزم، كأنه يقول: إنك إن تقم يدعك. أما إذا أراد أن يأمره بالقيام، ويخبره أنه يدعوه ألبتة رفع. «فالعمل من الرفع، والنصب والجر والجزم إنما هو للمتكلم نفسه»<sup>(1)</sup> هكذا صرح ابن جني.

يتيح النظام اللغوي للمتكلم أن يلمح إلى غرضه وقصده عن طريق التقديم والتأخير، فيغير عناصر التركيب لأغراض وغايات تداولية يريد تحقيقها، فيقدم المبتدأ للدلالة على التأكيد والقوة، أو يقدم الخبر لغرض التخصيص والقصر، وقد يقدم المفعول به من باب تقديم ما يهم المخاطب وهكذا. يقول سيبويه في هذا الشأن: «كأنهم إنما يقدمون الذي بيانه أهم لهم، وهم بيانه أعنى، وإن كانا جميعا يهمنهم ويعنيانهم»<sup>(2)</sup>

وقد حلل الجرجاني بعض النماذج، ولاحظ الفروق بينها، وربط كل ذلك بما يريده المتكلم. من ذلك الاستفهام بالهمزة، «فإذا قلت: أفعلت؟ فبدأت بالفعل، كان الشك في الفعل نفسه، وكان غرضك من استفهامك أن تعلم وجوده. وإذا قلت: أنت فعلت؟ فبدأت بالاسم، كان الشك في الفاعل من هو، وكان التردد فيه.»<sup>(3)</sup> فلما قدم الفعل كان الإنكار منصبا على الفعل، ولما قدم الاسم كان الإنكار منصبا على ذات الفاعل. ويفهم من هذا الكلام أن المتكلم يشير إلى قصده ومراده من خلال تقديم بعض عناصر التركيب على بعض، وعلى المخاطب أن يفعل القرائن المختلفة لاكتشاف هذا القصد.

من جهة أخرى، قد يلجأ المتكلم إلى تأكيد كلامه إذا لاحظ من حال المخاطب ما يدعو إلى ذلك. والتوكيد من أهم الأغراض التي يستخدمها المتكلم لإزالة ما يعلق بذهن المخاطب من ظن أو غلط، فالأبعاد المعنوية للتوكيد ترتبط بقصد المتكلم وحال المخاطب، مما يؤكد الاتصال الوثيق بين التراكيب اللغوية ومستعملها، فتأكيد المتكلم شيئا ما وتقريره، إنما يرجع إلى ما يصبو إليه من تحقيق

<sup>1</sup> - ابن جني: الخصائص، ج1، ص 110.

<sup>2</sup> - سيبويه: الكتاب، ج1، ص 34.

<sup>3</sup> - الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص 111.

مقاصد تواصلية مع المخاطب، ومن هنا يتضح أن وضع التراكيب وما يتطلبه من ألفاظ مخصوصة تابع للتأدية الملائمة لقصد المتكلم مع مراعاة حال المخاطب. وليس المقصود بالتأكيد العنصر التركيبي الذي قسمه العلماء إلى توكيد لفظي وآخر معنوي، بل تندرج كل أنواع التأكيد وصيغته في هذا الإطار التداولي، وهو من هذه الزاوية، **فعل كلامي أو معنى أسلوبى** كثير الورد في لغة التواصل اليومية، لا مجرد وظيفة نحوية محدودة.<sup>(1)</sup>

وتأكيد الكلام له وسائل كثيرة ومتنوعة؛ منها إنَّ وأنَّ، والقسم، والحال المؤكدة، والمفعول المطلق المؤكد لفعله، ومنها تقديم المسند للحصر، ومنها التوكيد اللفظي والتوكيد المعنوي، إلى غيرها من الوسائل التي يوظفها المتكلم لإفادة المخاطب، وتأييد صحة ما يرغب في إيصاله إليه.

يثبت مما سبق حرص النحاة على دراسة اللغة أثناء الاستعمال، واهتمامهم بأقطاب العملية التواصلية، فاحتفوا بالمتكلم ومقاصده، بعدد محركا لعملية التخاطب، والتفتوا إلى موضوع مراعاة حال المخاطب أثناء الخطاب، كما اعتنوا بالظروف والأحوال السياقية - الاجتماعية المحيطة بالعملية التحوارية، ضمانا لتحقيق التواصل من جهة، والتوصل إلى المعنى من جهة ثانية.

### المطلب الثاني: التلميح عند البلاغيين

من العرب الذين عنوا بالتلميح من خلال دراسة أسلوبى الخبر والإنشاء والتمييز بينهما الفيلسوف ابن سينا والجرجاني وابن خلدون والسكاكي مع اهتمام خاص بالخبر.

#### 1- ابن سينا:

يقسم ابن سينا (ت427هـ) الكلام إلى خبر وطلب على أساس الصدق والكذب، ولكنه يثريه ويعمقه عندما يوظف البعد التداولي في تحليله، حيث يربط بين غرض المتكلم من جهة، وبين الأثر الملاحظ على المخاطب من جهة أخرى. وعلى الرغم من ملاحظة ابن سينا لهذا المنحى التداولي في

<sup>1</sup> - مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب، ص 206.

الفرق بين الخبر والطلب، إلا أنه لا يفصل هذه القسمة عن معيار الصدق والكذب، يقول: « وذلك أن الحاجة إلى القول هي الدلالة على ما في النفس، والدلالة إما أن تراد لذاتها، وإما أن تراد لشيء آخر يتوقع من المخاطب فيكون منه، والتي تراد لذاتها هي الأخبار، إما على وجهها، وإما محرفة كتحرير التمني والتعجب وغير ذلك. »<sup>(1)</sup>

### 2- الجرجاني:

ومن العلماء الذين أشاروا إلى التلميح أيضا عبد القاهر الجرجاني (ت 471 هـ) الذي عقد فصلا في دلائل الإعجاز بعنوان (في اللفظ الذي يطلق ويراد به غير ظاهره)<sup>(2)</sup> أي أن اللفظ له معنيان؛ أحدهما ظاهر غير مقصود، وآخر ضمني مقصود، فقال: « اعلم أن لهذا الضرب اتساعا وتفننا لا إلى غاية، إلا أنه على اتساعه يدور في الأمر الأعم على شيئين: الكناية والمجاز. »<sup>(3)</sup> كما أشار إلى التلميح في تفريقه بين المعنى ومعنى المعنى فقال: « هي أن تقول المعنى ومعنى المعنى، تعني بالمعنى المفهوم من ظاهر اللفظ، والذي تصل إليه بغير واسطة، وبمعنى المعنى أن تعقل من اللفظ معنى، ثم يفضي بك ذلك المعنى إلى معنى آخر. »<sup>(4)</sup>

### 3- السكاكي:

يعد السكاكي (ت 626 هـ) من العلماء العرب الذين أشاروا إلى التلميح وآلياته في كتابه (مفتاح العلوم) وذلك بتطرقه إلى خروج الأساليب الخبرية والإنشائية إلى أغراض أخرى لدواعٍ سياقية<sup>(5)</sup>،

1- ابن سينا: الشفاء، المنطق، العبارة، تحقيق: محمود الخضيرى، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، بيروت، ج1، ص 31.

2- ينظر: الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص 66.

3- نفسه: ص 66.

4- نفسه: ص 263.

5- السكاكي: مفتاح العلوم، تحقيق: عبد الحميد هندراوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2000، ص 148-149.

كما يظهر ذلك في تعريفه للكناية واعتمادها على الاستدلال<sup>(1)</sup>، وهو أحد المفاهيم التداولية التي تركز عليها الإستراتيجية التلميحية.

### 4- ابن خلدون:

ومن العرب الذين قسموا الكلام إلى خبري وإنشائي ابن خلدون (732هـ - 808هـ)، يقول: «ألا ترى أن قولهم زيد جاءني مغاير لقولهم جاءني زيد، من قبل أن المتقدم منها هو الأهم عند المتكلم، فمن قال: جاءني زيد، أفاد أن اهتمامه بالمجيء قبل الشخص المسند إليه، ومن قال: زيد جاءني، أفاد أن اهتمامه بالشخص قبل المجيء المسند. وكذا التعبير عن أجزاء الجملة بما يناسب المقام، من موصول أو مبهم أو معرفة، وكذا تأكيد الإسناد على الجملة، كقولهم: زيد قائم، وإن زيدا قائم، وإن زيدا لقائم، متغايرة كلها في الدلالة، وإن استوت من طريق الإعراب.»<sup>(2)</sup> فابن خلدون يربط خطاب المتكلمين بالمقام، كما يرى أن العدول عن تركيب إلى تركيب آخر لا تتحكم فيه الاعتبارات النحوية، بقدر ما تتحكم فيه العناصر التداولية. وما يزيد من التأكيد على ارتباط الخطاب بالسياق إيراد ابن خلدون عناصر لغوية لا يمكن معرفة دلالاتها ومرجعياتها إلا بالرجوع إلى حال الخطاب التي قيل فيها، وقد أشار ابن خلدون إلى درجة حضور المتكلم، ومراعاته حال المخاطب، يقول: «فإن الأول العاري عن التأكيد إنما يفيد الخالي الذهن، والثاني المؤكد بأن يفيد المتردد، والثالث يفيد المنكر.»<sup>(3)</sup>

وسياقي في فصل لاحق تفصيل الكلام عن الخبر والإنشاء، وعن الدلالات المستلزمة التي يخرج إليها كل أسلوب.

<sup>1</sup> - السكاكي: مفتاح العلوم، ص 512.

<sup>2</sup> - ابن خلدون: المقدمة، تحقيق: عبد الله محمد الدرويش، ط1، 2004، ج2، ص 373 - 374.

<sup>3</sup> - نفسه، ص 374.

المطلب الثالث: التلميح عند الأصوليين

توطئة:

لا يسعى هذا المبحث إلى التعمق في دراسة المباحث الفقهية والأصولية المختلفة، بل يسعى إلى الوقوف على بعض المسائل التداولية التي عني بها الأصوليون في تعاملهم مع الدلالات المختلفة للخطاب، واستنباط الأحكام الشرعية، ويركز أيضا على المسائل التي يخرج فيها الخطاب عن دلالاته الأصلية ليفيد معاني أخرى تستفاد من السياق وملابسات الخطاب، ونعني تحديدا بعض الأفعال الكلامية الجديدة التي وضعها الأصوليون، وذلك أثناء بحثهم في ظاهرة الخبر والإنشاء.

1- المنطوق والمفهوم عند الأصوليين وعلاقته بالتلميح:

يدور تقسيم الجمهور (المالكية والشافعية والحنابلة) لمسائل الدلالة بين المنطوق والمفهوم، ودلالة المنطوق قد تكون صريحة أو محتملة، فالنص الصريح يدل على المعنى بطريق المطابقة أو التضمن، والنص غير الصريح يدل على المعنى بطريق الاقتضاء أو الإشارة أو الإيماء. أما المفهوم فهو ما يفهم من النص، وإن لم يدل عليه بلفظه، وهو قسمان: مفهوم موافقة، ومفهوم مخالفة. ويمكن توضيح ذلك من خلال الجدول الآتي:

المعنى				
المفهوم		المنطوق		
مخالفة	موافقة	غير صريح		صريح
		غير مقصود	مقصود للمتكلم	تضمن
		إشارة	إيماء	
		اقتضاء		

### 1-1- المنطوق:

#### 1-1-1- تعريفه:

يمكن الاكتفاء هنا بمحاولة ابن الحاجب، بوصفها «أحد أبرز المحاولات التي صنفت المعنى أصنافاً مختلفة، لتكون نموذجاً يمثل وجهة نظر الأصوليين في تقسيم المعنى»<sup>(1)</sup>. فقد عرف ابن الحاجب المنطوق بقوله: «ما دل عليه اللفظ في محل النطق»<sup>(2)</sup>، وعلى هذا التعريف درج كثير من الأصوليين. والمقصود من التعريف دلالة اللفظ من صيغته، من غير حاجة إلى تأمل أو استنباط، نحو قوله تعالى: ﴿فَلَا تَقُلْ هُمَا أَفٌّ وَلَا تَنْهَرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ [الإسراء]، فالمنطوق يدل على تحريم التأفف، لأنه مستفاد من محل النطق.

#### 1-1-2- أقسام المنطوق:

ينقسم المنطوق إلى قسمين: الصريح، وغير الصريح.

#### أولاً- المنطوق الصريح:

«وهو دلالة اللفظ على الحكم بطريق المطابقة أو التضمن لوضع اللفظ لذلك»<sup>(3)</sup>  
مثال: قال تعالى: ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ.....﴾ [البقرة]، فالمستفاد من منطوق الآية بطريق المطابقة وجوب صيام رمضان. كما يستفاد من قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ.....﴾ [المائدة]، الدلالة على تحريم الانتفاع بعظم الميتة تضمناً.

1- محمد يونس علي: مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، 2004، ص 53.

2- ابن الحاجب: مختصر منتهى السؤل والأمل في علمي الأصول والجدل، تحقيق: نذير حمادو، دار ابن حزم، بيروت، ط1، 2006، مج2، ص 924.

3- خالد رمضان حسن: معجم أصول الفقه، الروضة، ط1، 1998، ص 303.

أ- دلالة المنطوق مطابقة: هذه الدلالة وضعية باتفاق علماء التراث، وهي المقصودة عند الإطلاق.<sup>(1)</sup> وتكون حينما يدل المنطوق على المقصود منه بلفظه، مثل دلالة قوله تعالى: ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا...﴾ [البقرة] على حل البيع وحرمة الربا.

ب- دلالة المنطوق تضمنا: وهي الدلالة التي يفيدها اللفظ مضمنا في معنى المنطوق، أي تكون جزءا منه، فجزء المعنى يفهم بفهم تمام المعنى. مثل تضمن البيت معنى السقف، وتضمن قوله تعالى (وأقيموا الصلاة) جميع أحكام الصلاة من قراءة وركوع وسجود وغيرها من الأحكام. تعد دلالة المنطوق الصريح أقوى الدلالات وأظهرها، لأنه يدل بلفظه ونظمه مباشرة على المعنى المقصود، دون محاولة إعمال النظر أو التأمل أو الاستنباط، فهي دلالة واضحة وصريحة على ما وضع له اللفظ قصدا، ولا تحتل غير هذه الدلالة الحرفية، فالمنطوق الصريح نص مباشر، ظاهر وبيّن.

### ثانيا- المنطوق غير الصريح:

« هو دلالة اللفظ على الحكم بطريق الالتزام لاستلزام اللفظ لذلك المعنى»<sup>(2)</sup> وقد قسمه الأصوليون إلى ثلاثة أقسام؛ الاقتضاء، الإيماء ويسمى التنبيه، والإشارة.

### أ- دلالة الاقتضاء:

عرفها الآمدي بقوله: « هي ما كان المدلول فيه مضمرا، إما لضرورة صدق المتكلم، وإما لصحة وقوع الملفوظ به»<sup>(3)</sup> أي إنها دلالة اللفظ ضرورة على معنى مضمر، وهذا المعنى المضمر نتج عن حذف المتكلم بعض أجزاء الكلام، اعتمادا على أن المخاطب لديه من القدرة ما يؤهله إلى إدراكه. ولا بد من تقدير هذا المضمر حتى يكون الكلام صحيحا، إما من الناحية الشرعية وإما من الناحية العقلية. يتضح

1- ينظر: محمد يونس علي: مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب، ص 56.

2- خالد رمضان حسن: معجم أصول الفقه، ص 303.

3- الآمدي: الإحكام في أصول الأحكام، ج3، ص 81-82.

من ذلك أن دلالة الاقتضاء ملازمة للتركيب اللغوي، وهذا اللزوم له ثلاثة أسباب، نوضحها بالأمثلة الآتية:

**مثال 1: ضرورة صدق المتكلم:** قال النبي عليه الصلاة والسلام: « لا صيام لمن لم يجمع قبل الفجر»<sup>(1)</sup> ومعناه: لا صيام صحيح أو كامل. فعلى المتكلم أن يبحث عن المعنى المضمر، فيقدر كلاماً محذوفاً يترتب عليه صدق المتكلم، وذلك تماشياً مع مبدأ الصدق.

**مثال 2: الصحة العقلية للملفوظ:** قال تعالى: ﴿ وَسَأَلِ الْقَرْيَةَ ... ﴾ [يوسف]. فعلى المتكلم أن يقدر كلمة (أهل) حتى يستقيم الكلام، لأنها بشكلها الحرفي الظاهر غير مقبولة عقلاً.

**مثال 3: الصحة الشرعية للملفوظ:** قال تعالى: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ... ﴾ [النساء] فالدلالة الحرفية للآية تقضي بتحريم المخالطة من جميع الوجوه للأمهات ولغيرهن ممن ورد ذكرهن، غير أن الأخذ بهذا المعنى الظاهر يفضي إلى تكذيب الشرع، الذي أمر بالبر والإحسان والصلة وغيرها. ولذلك فعلى المخاطب تقدير المعنى المضمر الناتج عن حذف كلمة زواج أو نكاح حتى يستقيم المعنى.

فصدق المتكلم، والصحة الشرعية، والصحة العقلية، ثلاثة أسباب تدفع المخاطب إلى تجاوز الدلالة الحرفية للخطاب، وتقدير المعنى المضمر، وهي قرائن تداولية يلجأ إليها المخاطب إذا أراد للتخاطب أن ينجح.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن الاقتضاء عند الأصوليين ليس هو الاستلزام الحواري عند التداوليين؛ فالحقيقة أنهما يتفقان في وجود معنى مضمر لا يستفاد من حرفية العبارة، غير أنهما يختلفان في أن المعنى في الاقتضاء لازم، ولا بد من تقديره، كما أنه ثابت لا يتغير بتغير مقامات التواصل، وهو في الأخير

1- أبو داود: سنن أبي داود، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ومحمد كامل قروبلي، دار الرسالة العالمية، ط1، 2009، ج4، رقم 2454.

وورد عند النسائي بلفظ: (من لم يبيت الصيام قبل الفجر فلا صيام له): سنن النسائي، تعليق: الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، ط1، دت، رقم 2331.



استلزام عربي أو منطقي. في حين أن المعنى في الاستلزام التداولي غير لازم، إذ قد يكون المعنى الحرفي مقصودا، كما أن السياق يتحكم في توجيه المعنى، فهو متغير بتغيره، أي يتحول معنى التركيب الواحد - تبعاً لذلك السياق - إلى معانٍ متعددة.

### ب- دلالة التنبية أو دلالة الإيماء:

هي اقتران اللفظ بحكم لا يدل إلا على التعليل. وقد عرفها الشوكاني بقوله: « ودلالة الإيماء أن يقرن اللفظ بحكم، لو لم يكن للتعليل مكان بعيدا »<sup>(1)</sup> إذن هي دلالة اللفظ على معنى لازم مقصود للمتكلم، ولكن لا يتوقف عليه صدق الكلام أو صحته عقلا أو شرعا، وإنما يدل على عليته للحكم المذكور في النص، قال الآمدي: « وذلك بأن يكون التعليل لازما من مدلول اللفظ وضعاً، لا أن يكون اللفظ دالا بوضعه على التعليل »<sup>(2)</sup> فدلالة الإيماء أن يقرن اللفظ الدال على صفة بطريقة غير مباشرة بالحكم، فيظهر كأن الصفة هي سبب الحكم وعلته، دون التصريح بذلك.

### ج- دلالة الإشارة:

هي « دلالة اللفظ على لازم غير مقصود للمتكلم »<sup>(3)</sup> وعرفها الشريف الجرجاني بقوله: « هو العمل بما ثبت بنظم الكلام لغة، لكنه غير مقصود، ولا سيق له النص »<sup>(4)</sup> فهي دلالة مستفادة من ألفاظ النص ولكنها غير مقصودة قصدا أصليا، والمعنى هنا يكون غير واضح، وإنما يحتاج إلى نظر وتأمل.

1- الشوكاني: إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، تحقيق: سامي بن العربي، دار الفضيلة، الرياض، ط1، 2000، ج2، ص 764.

2- الآمدي: الإحكام، ج3، ص 319-320.

3- خالد رمضان حسن: معجم أصول الفقه، ص304.

4- الشريف الجرجاني: معجم التعريفات، تحقيق: محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة، دط، دت، ص26.

ومن أمثلة دلالة الإشارة قوله تعالى: ﴿ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ... ﴾ [البقرة]، فالآية مسوقة قصدا لإيجاب النفقة على الوالد للوالدات، غير أن الحكم الخفي الذي يستفاد بدلالة الإشارة هو أن نسب الولد يكون للوالد دون الوالدة.

يتضح مما سبق أن المنطوق غير الصريح يقوم على دلالة الالتزام، وهو بذلك قد يتداخل مع المفهوم، غير أن الأصوليين (ابن الحاجب خاصة) قد فرقوا بينهما من حيث إن المنطوق غير الصريح يقتصر على الدلالات التي لا توافق المنطوق ولا تخالفه، فإن وافقته أو خالفته فهي من المفهوم، الذي يحصره ابن الحاجب في مفهوم الموافقة ومفهوم المخالفة.<sup>(1)</sup> وفيما يلي بسط لدلالة المفهوم وما يتعلق به.

### 1-2- المفهوم:

#### 1-2-1- تعريفه:

عرف الأصوليون المفهوم تعريفات كثيرة، فهو عند الزركشي: « بيان حكم المسكوت بدلالة لفظ المنطوق. »<sup>(2)</sup> وعرفه الأصفهاني بقوله: « ما دل اللفظ عليه لا في محل النطق. »<sup>(3)</sup> وهو نفسه تعريف السبكي<sup>(4)</sup> وهو أيضا نفسه تعريف ابن الحاجب.<sup>(5)</sup> كما يشبه تعريف الآمدي الذي قال عنه: « وأما المفهوم فهو ما فهم من اللفظ في غير محل النطق. »<sup>(6)</sup>

1- محمد يونس علي: مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب، ص 54.

2- الزركشي: البحر المحيط في أصول الفقه، تحرير: عمر سليمان الأشقر، وزارة الأوقاف، الكويت، ط1، 1988، ج4، ص5.

3- شمس الدين الأصفهاني: بيان المختصر، تحقيق: محمد مظهر بقا، دط، دت، ج2، ص 432.

4- ينظر: تاج الدين السبكي: جمع الجوامع في أصول الفقه، تعليق: عبد المنعم خليل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 2003، ص 22.

5- ابن الحاجب: مختصر منتهى السؤل والأمل في علمي الأصول والجدل، مج2، ص 924.

6- الآمدي: الإحكام في أصول الأحكام، ج3، ص 84.

يتضح من التعريفات السابقة أن المفهوم معنى يستنتج من العبارة، وهو ملازم لها، وهو بهذا يفترق عن الاستلزام الحواري، إذ المعنى فيه غير ملازم للعبارة. والمفهوم « يطلق حصرا على القضايا المستنتجة التي تمثل ما يوافق أو يخالف المنطوق»<sup>(1)</sup>

### 1-2-2- أقسام المفهوم:

ينقسم المفهوم عند الأصوليين إلى مفهوم موافقة ومفهوم مخالفة، فالأول يكون له حكم المنطوق لموافقته في النظم واللغة والصفات، والثاني يكون له خلاف حكم المنطوق، لأنه مخالف له في معناه.

#### أولاً: مفهوم الموافقة

عرفه الآمدي بقوله: «أما مفهوم الموافقة فما يكون مدلول اللفظ في محل السكوت موافقا لمدلوله في محل النطق، ويسمى أيضا فحوى الخطاب ولحن الخطاب.»<sup>(2)</sup>

وهذا المفهوم يشتمل على نوعين:

أ- **فحوى الخطاب**: وهو ما يفهم منه أن المسكوت عنه أولى بالحكم من المنطوق به. ومثاله قوله

تعالى: ﴿ فَلَا تَقُلْ هُمَا أَفٍّ ... ﴾ [الإسراء]. فمنطوق الآية يدل على تحريم التأفف، ويدل من

باب أولى على تحريم ما هو أشد من ذلك كالضرب والشتم... الخ

ب- **لحن الخطاب**: وهو ما يفهم منه أن المسكوت عنه مساو للمنطوق. ومثاله قوله تعالى: ﴿ إِنَّ

الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا ۗ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴾ [النساء]

حيث يدل منطوق الآية على تحريم أكل أموال اليتامى ظلما، ويستنتج من الآية أيضا تحريم

إتلاف مال اليتيم بأي طريقة كانت، فالمفهوم والمنطوق متساويان.

1- محمد يونس علي: علم التخاطب الإسلامي، دار المدار الإسلامي، ط1، 2006، ص 235.

2- الآمدي: الإحكام في أصول الأحكام، ج3، ص 84.

وقد اختلف الأصوليون والفقهاء في الأخذ بمفهوم الموافقة، فمنهم من رأى بأنه حجة؛ وذلك إذا كان المسكوت عنه أولى بالحكم من المنطوق، ويرى آخرون بأنه لا حجة في مفهوم الموافقة بنوعيه.

### ثانيا: مفهوم المخالفة

هو « دلالة اللفظ على ثبوت حكم للمسكوت عنه، مخالف لما دل عليه المنطوق به»<sup>(1)</sup>

وعرفه الآمدي بقوله: « وأما مفهوم المخالفة فهو ما يكون مدلول اللفظ في محل السكوت مخالفا لمدلوله في محل النطق، ويسمى دليل الخطاب أيضا.»<sup>(2)</sup>

وأورد الزحيلي تعريف دلالة مفهوم المخالفة بأنها: « دلالة الكلام على نفي الحكم الثابت للشيء المذكور عن المسكوت عنه، لعدم توافر قيد من قيود المنطوق»<sup>(3)</sup>

والواضح من التعريفات السابقة أن المخالفة معنى يستنتج بطريق الاستلزام، وذلك بنفي الحكم الحاصل من منطوق العبارة اللغوية. فلو قال الأب لابنه: ابق في السيارة حتى أعود، لفهم الابن أن الأمر الصريح للأب مرتبط بعودته، وبمفهوم المخالفة أن هذا الأمر ينتفي ويصبح لاغيا بمجرد عودة الأب. وقد اختلف الأصوليون والفقهاء أيضا في الأخذ بمفهوم المخالفة، فذهب الشافعية والمالكية والحنابلة إلى أنه حجة، وذهب أصحاب أبي حنيفة وبعض الشافعية والظاهرية إلى أنه ليس حجة.<sup>(4)</sup>

يتلخص من الكلام السابق حول المفهوم والمنطوق أن أحكام الشريعة جاءت لتنظيم حياة الناس وفق مقاصد الشريعة، وأن العلماء قد استنبطوا تلك الأحكام من النصوص الشرعية اعتمادا على المنطوق والمفهوم، فقد يكون النص صريحا، أي أن ألفاظه صريحة، ومعانيه مباشرة، وحينها يعتمد العلماء على

1 - قطب مصطفى سانو: معجم مصطلحات أصول الفقه، تقديم: محمد رواس قلعجي، دار الفكر، دمشق، ط1، 2000، ص 428.

2 - الآمدي: الإحكام في أصول الأحكام، ج3، ص 88.

3- وهبة الزحيلي: الوجيز في أصول الفقه، دار الفكر، دمشق، ط1، 1994، ص 171.

4- الزركشي: البحر المحيط في أصول الفقه، ج4، ص 19 وما بعدها.

منطوقه في استنباط الحكم، وقد يكون النص غير صريح، بأن تكون ألفاظه تحمل دلالات غير مباشرة، فيلجأ العلماء حينها إلى المفهوم، وهو المعاني التي يمكن استنتاجها من النص بناء على القرائن المختلفة. وبناء على كل هذا يتضح أن التلميح عند الأصوليين يشمل كلا من المنطوق غير الصريح، أي يشمل الاقتضاء والتنبيه والإشارة، كما يشمل المفهوم بنوعيه، أي مفهوم الموافقة، ومفهوم المخالفة.

### 2- أفعال الكلام عند الأصوليين (ثنائية الخبر والإنشاء)

توطئة:

تعد دراسة أفعال الكلام من أهم مجالات الدراسة التداولية، حيث يتم التركيز فيها على ما يفعله متكلمو اللغة من تبليغ وإنجاز وتأثير، فالفعل الكلامي يهدف إلى إنجاز أشياء بالكلمات، وصناعة مواقف ذاتية واجتماعية، ليؤثر في المخاطب بحمله على التعامل مع المواقف المختلفة بطرق مختلفة، كفعل شيء أو عدم فعله، أو تقرير حكم، أو نفيه، أو تأكيده، أو التشكيك فيه، أو إبرام عقد أو إلغائه وفسخه إلى غيرها من الممارسات.

وقد سبقت الإشارة إلى وعي العلماء العرب بأفعال الكلام خاصة البلاغيين منهم، وذلك عند بحثهم ثنائية الخبر والإنشاء، حيث درسوا أضرب الخبر، كما درسوا الأساليب الإنشائية، وتعمقوا في دراسة الإنشاء الطلبي، وكيفية خروجه عن الأصل إلى إفادة معان مجازية كثيرة.

أما الأصوليون، وأثناء استنطاقهم النصوص الدينية بحثا عن الأحكام الشرعية، فقد استثمروا الكثير من المفاهيم التداولية، كمرعاة قصد المتكلم وغرضه، وكمراعاة السياق الداخلي والخارجي وتحكيمة في الدلالات، ومن ذلك أيضا توظيفهم مفاهيم نظرية الأفعال الكلامية ضمن نظرية الخبر والإنشاء، واشتركوا مع البلاغيين في دراسة الأغراض المجازية نفسها التي يخرج إليها كل من الخبر والإنشاء، غير أنهم زادوا على ذلك، ودققوا في المسائل وانفردوا بتحليلاتهم، وتوصلوا إلى وضع أفعال

كلامية أخرى جديدة منبثقة عن الأفعال الكلامية الأصلية<sup>(1)</sup>، وبذلك ساهموا في إثراء الدرس البلاغي وتوسيعه.

وفيما يأتي، سيتجاوز البحث ما اشترك فيه الأصوليون والبلاغيون من أفعال كلامية، وسيركز على ما انفرد به الأصوليون منها.

### 2-1- الخبر:

استثمر الأصوليون ما جاء في علم المعاني عن الخبر، ورأوا أن هناك ظواهر كلامية أخرى قد تنبثق عنه، من ذلك ما جاء في قول شهاب الدين القرافي: «الشهادة خبر، والرواية خبر، والدعوى خبر، والإقرار خبر، والنتيجة خبر، والمقدمة خبر، والتصديق خبر.»<sup>(2)</sup> ويستطرد المؤلف في شرح كل نوع من أنواع الخبر السابقة، وذلك كالاتي:<sup>(3)</sup>

أ- الرواية<sup>(4)</sup>: هي خبر عن أمر عام لا يختص بمعين، كقوله عليه السلام: «إنما الأعمال بالنيات»<sup>(5)</sup> و«قضى النبي ﷺ بالشفعة في كل مال لم يقسم»<sup>(6)</sup>، فهذا الأمر ينطبق على الجميع في كل مكان وكل زمان.

1- ينظر: مسعود صحراوي: الأفعال الكلامية عند الأصوليين، دراسة في ضوء اللسانيات التداولية، مجلة اللغة العربية، ع10، ص188.

2- شهاب الدين القرافي: أنوار البروق في أنواء الفروق، تحقيق: محمد أحمد سراج وعلي جمعة محمد، دار السلام، القاهرة، ط1، 2001، مج1، ص90.

3- نفسه، ص90-91.

4- يختص علم الرواية في الحديث بما ينسب إلى الرسول ﷺ من أقوال، أو أفعال، أو صفات خلقية، بغض النظر عن صحة ما ينسب إليه من عدمه. ينظر: عبد السلام عابي: آليات إنتاج المعنى في كتاب فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير للإمام محمد بن علي الشوكاني، رسالة دكتوراه مخطوطة، جامعة بسكرة، 2019، ص10.

5- البخاري: صحيح البخاري، رقم1، ص7.

6- نفسه، رقم2214، ص527.

ب- الشهادة: هي خبر يقصد به أن يترتب عليه حكم ما، كقول أحدهم عند القاضي: لهذا عند هذا دينار.

ويفرق القرافي بين الرواية والشهادة بمعيارين هما نوع المخبر عنه، والسياق الرسمي أو غير الرسمي؛ فيكون الأمر رواية إذا كان المخبر عنه أمراً عاماً لا يختص بمعين، ويكون شهادة إذا كان المخبر عنه أمراً معيناً خاصاً. كما يكون الأمر شهادة إذا كان السياق رسمياً، وإن كان غير رسمي فهو الرواية.<sup>(1)</sup> وقد يكون الخبر مركباً من الرواية والشهادة، ومن أمثلته الإخبار عن رؤية هلال رمضان.<sup>(2)</sup> كما أن الشهادة قد تتحول إلى إنشاء صريح، وتعامل معاملة إذا كانت بصيغة الفعل المضارع (أشهد)، كقول الشاهد: أشهد عندك أيها القاضي بكذا... ولو قال: شهدت لم يكن إنشاءً.

ج- الدعوى: خبر عن حق يتعلق بالمخبر على غيره.

د- الإقرار: خبر يتعلق بالمخبر ويضر به وحده.

وهناك تشابه بين الشهادة والدعوى والإقرار، فكلها تحمل معنى الحضور والعلم والإعلام، غير أنه يفرق بينها على أساس تداولي هو علاقة أطراف عملية التواصل بعضها ببعض، فالشهادة إخبار بحق للغير على الغير، والإقرار إخبار بحق للغير على النفس، أما الدعوى فإنها إخبار بحق للنفس على الغير.

هـ- النتيجة: خبر نشأ عن دليل.

و- المقدمة: خبر هو جزءٌ دليل.

ز- التصديق: هو القدر المشترك بين هذه الصور كلها.

1 - ينظر: مسعود صحراوي: الأفعال الكلامية عند الأصوليين، ص 172.

2 - القرافي: أنوار البروق في أنواع الفروق، مج 1، ص 78.

### 2-2- الإنشاء:

ركز الأصوليون دراستهم على الأمر والنهي وما يرتبط بهما من قرائن وسياقات، ولذلك كانا من أهم مباحث الأصوليين والفقهاء، إذ بهما مدار التكليف الشرعي، وعليهما التركيز في بحث إفادة الحكم الشرعي، فبهما يثبت، وبمعرفةهما يعرف، وبهما يفترق الفرض من المندوب، والحرام من المكروه. قال السرخسي: «أحق ما يتبدأ به في البيان: الأمر والنهي؛ لأن معظم الابتلاء بهما، وبمعرفةهما تتم معرفة الأحكام، ويتميز الحلال من الحرام.»<sup>(1)</sup> وسنكتفي في هذا البحث بالنظر في بعض الأفعال الكلامية التي فَرَعها الأصوليون عن هذين الأسلوبين.

### 2-2-1- الأمر: اعتمد الأصوليون تعريفهم الخاص للأمر، فقد عرفه الجويني بقوله: «هو القول

المتضمن اقتضاء الطاعة من المأمور لفعل المأمور به.»<sup>(2)</sup>

كما عرفه أبو حامد الغزالي تعريفاً قريباً من ذلك بقوله: «هو القول المقتضي طاعة المأمور بفعل المأمور به.»<sup>(3)</sup>

أما الآمدي فقد عرفه بأنه: «طلب الفعل على سبيل الاستعلاء.»<sup>(4)</sup> وهو بهذا التعريف يحتز عن النهي، كما أنه باشتراطه الاستعلاء يحتز عن الدعاء والالتماس. ومن الأفعال الكلامية التي تنبثق عن الأمر عند الأصوليين ما يلي:

1- السرخسي: الأصول، تحقيق: أبو الوفا الأفغاني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1993، ج1، ص 11.

2- الجويني: التلخيص في أصول الفقه، تحقيق: عبد الله بن جوم النيبالي وشبير أحمد العمري، دار البشائر، لبنان، ط1، 1996، ج1، ص 242.

3- أبو حامد الغزالي: المستصفى من علم الأصول، تحقيق: حمزة بن زهير حافظ، دط، دت، ج3، ص 119.

4- الآمدي: الإحكام، ج2، ص 172.



أ- الوجوب: هو الأمر المطلق، دون قرينة تصرفه عن أصل الوضع، نحو قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ

وَأَتُوا الزَّكَاةَ...﴾ [البقرة]. فالأمر هنا صريح دال على الإلزام، وهو طلب جازم بفعل

الأمر.<sup>(1)</sup> وللواجب عند الجمهور اسم آخر هو الفرض.<sup>(2)</sup>

ب- الندب: هو ما يثاب فاعله، ولا يعاقب تاركه، وهو في الشرع: «مأمور لا يلحق بتركه ذم من

حيث تركه من غير حاجة إلى بدل.»<sup>(3)</sup> فالمندوب أمر حسن دعا إليه الشرع من غير إلزام، وله تسميات

أخرى مثل النفل والتطوع والإحسان والمرغب فيه والمستسحب والسنة، مع فروقات مذهبية طفيفة

بينها.<sup>(4)</sup> ومثال المندوب قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَدَايَنُتُمْ بَدِينٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى

فَاكْتُبُوهُ...﴾ [البقرة]. وحتى لا يحمل الأمر على الوجوب جاءت القرينة التي تصرفه عن أصل

الوضع، وهي قوله تعالى: (فإن أمن بعضكم...أمانته).

والفرق بين الوجوب والندب هو في درجة الشدة للغرض المتضمن في القول، فهو في الندب أقل شدة منه

في الوجوب.

ج- الإباحة: وهي حرية القيام بالفعل، أو تركه، ففعل الإباحة غير مطلوب ولا منهي عنه، فهو أمر

على سبيل التخيير. ومثاله قوله تعالى: ﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا...﴾ [المائدة] يقول الشوكاني

1- تجدر الإشارة إلى أن المدرسة الظاهرية تأخذ الأوامر على ظاهرها، فترى أن الأمر للوجوب مطلقا، دون اعتبار أي قرينة قد تصرفه إلى شيء آخر. ينظر:

ابن حزم: الإحكام في أصول الأحكام، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ج3، ص 18.

2- «الفرض والواجب من حيث الاصطلاح الفقهي مترادفان، أي: اسمان لمعنى واحد، ولفظان يطلقان على مدلول واحد...وهو: الفعل المطلوب طلبا

جازما، أو ما يذم شرعا على تركه.» ابن الحاجب: مختصر منتهى السؤل، مج1، هامش1، ص286.

3- عبد الكريم النملة: إتحاف ذوي البصائر بشرح روضة الناظر، دار العاصمة، ط1، 1996، مج1، ص 489.

4- نفسه، ص 492-493.

في تفسيره لهذه الآية: « (وإذا حللتم فاصطادوا)، هذا تصريح بما أفاده مفهوم (وأنتم حرم)، أباح لهم الصيد بعد أن حضره عليهم لزوال السبب الذي حرم لأجله، وهو الإحرام. »<sup>(1)</sup>

وقد وظف الشوكاني هنا قاعدة أصولية مفادها أن الأمر بعد النهي يفيد الإباحة، فبعدما كان هناك نهي، خرج الأمر هنا عن أصل الوضع إلى دلالة مستلزمة هي الإباحة.<sup>(2)</sup>

**2-2-2- النهي:** هو « استدعاء الترك بالقول ممن هو دونه على سبيل الوجوب. »<sup>(3)</sup> وهو « قول القائل لغيره "لا تفعل" على جهة الاستعلاء. »<sup>(4)</sup> فالنهي لا يعدو أن يكون أمرا بالكف والامتناع، والصيغة الموضوعية لذلك أصالة هي "لا تفعل".

ومن أهم ما فرعه الأصوليون من أفعال كلامية عن النهي إعلان هما:

**أ- التحريم:** وهو طلب ترك الفعل على سبيل الإلزام. ومثاله قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزَّيْنَىٰ ... ﴾

﴿ [الإسراء]، وقوله تعالى: ﴿ لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا ... ﴾ [آل عمران]

ويدل النهي على التحريم مطلقا إذا لم توجد قرينة تصرفه عن ذلك.

**ب- الكراهة:** للمكروه تعريفات كثيرة تخلص كلها إلى أنه « المطلوب تركه طلبا غير جازم. »<sup>(5)</sup>

1- الشوكاني: فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، تحقيق: عبد الرحمن عميرة، دط، دت، ج2، ص 9.

2- تجدر الإشارة إلى أن الأصوليين اختلفوا في الأمر بعد النهي، لكن الراجح أن الأمر بشيء ما بعد تحريمه هو أمر بما كان عليه قبل التحريم. ينظر: ابن كثير: تفسير القرآن الكريم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1419هـ/1998، ج3، ص 9. وينظر أيضا: الشنقيطي: أضواء البيان، دار الفكر، بيروت، 1995، ج1، ص 327.

3- أبو إسحاق الشيرازي: شرح اللمع، تحقيق: عبد المجيد تركي، دار الغرب لإسلامي، ط1، 1988، مج2، ص 291.

4- المعتزلي: المعتمد في أصول الفقه، تحقيق: محمد حميد الله، دمشق، دط، 1964، ج1، ص 181.

5- ابن الحاجب: مختصر منتهى السؤل، مج1، هامش1، ص 323.

ومثاله قول النبي صلى الله عليه وسلم: « لا تصلوا في أعطان الإبل. »<sup>(1)</sup>

والفرق بين التحريم والكراهة هو أيضا في درجة الشدة للغرض المتضمن في القول، فهو في الكراهة أقل شدة منه في التحريم.

### خلاصة:

نخلص من كل ما سبق إلى أن الأصوليين وضعوا نصب أعينهم مهمة مقدسة، وهي استنباط الأحكام الشرعية من نصوص القرآن الكريم والحديث الشريف، وفي سبيل ذلك ألزموا أنفسهم بعدم الوقوف عند الدلالات الحرفية للنص، بل راحوا يقلبون النصوص على كل وجه محتمل، متتبعين بذلك مختلف المعاني المستلزمة التي قد يخرج إليها الخطاب الشرعي، وقد وظفوا معرفتهم بالعربية، من لغة ونحو وبلاغة، لكن ذلك لم يكن الرافد الوحيد لهم، بل وظفوا أيضا معرفتهم الخاصة، فكانت لهم تحليلاتهم ومناهجهم الخاصة.

1- الترمذي: الجامع الكبير، تحقيق: بشار عواد، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1996، رقم 348، ص 377.

### المبحث الثالث: التلميح في الدراسات الغربية

#### توطئة:

تعددت الدراسات الغربية لمفهوم التلميح وآلياته، ويعد بول غرايس من الباحثين الذين تطرقوا إلى التلميح في دراساته، حيث استعمل « مصطلح المعنى الضمني implicature للحديث عما يمكن أن يضمنه أو يوحي به أو يعنيه متكلم ما فوق ما يصرح به ظاهر كلامه »<sup>(1)</sup>

والمعنى الضمني هو المعنى المقصود، والنتيجة عن استعمال الإستراتيجية التلميحية. والتضمنين من المفاهيم التداولية، وهو يعد « بالنسبة لكثير من اللغويين واحدا من المفاهيم الأساسية في التداولية، فالتضمنين مثال حي ونابض للأكثر الذي يتم إيصاله دون قوله »<sup>(2)</sup>

وفي السياق ذاته يقول جون لاينز: « لقد أدخل مفهوم التضمنين خلال السنوات الأخيرة في فلسفة اللغة، وبالتالي في علم اللغة، وذلك ملء بعض الفراغ الحاصل بين المفاهيم المنطقية للاستدلال، والموقف اللغوي من ناحية، وبين المفهوم الاعتيادي الأوسع للاستدلال من ناحية أخرى. »<sup>(3)</sup> وتجدد الإشارة هنا إلى أن الاستدلال وسيلة تعين على الوصول إلى المقاصد في الإستراتيجية التلميحية.

من إسهامات غرايس أيضا مبدأ التعاون الذي يسهم في التفاعل الحوارية، وقد انبثق عنه أربعة مبادئ حوارية، بحيث ينتج عن مخالفة أحد هذه المبادئ ما يعرف بالاستلزام الحوارية، الذي هو أحد آليات التلميح.

1- ج براون، ج بول: تحليل الخطاب، ترجمة: محمد لطفي الزليطي ومنير التريكي، النشر العلمي والمطابع، جامعة الملك سعود، دط، 1997، ص 39

2- جورج بول: التداولية، ص 79.

3- جون لاينز: اللغة والمعنى والسياق، ترجمة: عباس صادق الوهاب، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط 1، 1987، ص 229.

يضاف إلى ما سبق ما قدمه الباحثان براون وليفنسون، اللذان « تناولا خمس إستراتيجيات من بينها الإستراتيجية التلميحية، وهما يفرعان هذه إلى عشر آليات »<sup>(1)</sup>

كما يذكر في هذا المقام أعمال سيرل في دراسته لأفعال الكلام غير المباشرة، حيث أتم ما جاء به أستاذه أوستين، وتعد أفعال الكلام غير المباشرة من آليات الإستراتيجية التلميحية. وفيما يلي عرض لأهم النظريات التداولية وأهم روادها، مما له علاقة بالتلميح موضوع البحث.

### المطلب الأول: أوستين وسيرل ونظرية الأفعال اللغوية

يرى أغلب الباحثين أن نظرية الأفعال اللغوية (**Speech acts theory**) جزء من اللسانيات التداولية، وخاصة في أعمال كل من أوستين التي تمثل المرحلة التأسيسية، وأعمال جون سيرل التي تميزت بالنضج والضبط المنهجي.

والغاية التي يهدف إليها كل من أوستين وسيرل هي الاهتمام بالمنطوق، وهذا يستلزم الاهتمام بالمتكلم وبكل الشروط السياقية التي تحكم عملية التواصل بين المتكلم والمتلقي، أي دراسة اللغة أثناء عملية الاستعمال.

ولذلك يمكننا أن نطرح الأسئلة الآتية:

- ما الذي قدمه أوستين حتى ينال الريادة والتأسيس لنظرية الأفعال اللغوية؟ وما الجديد والإضافات التي أتى بها سيرل؟

وللإجابة عن هذه الأسئلة لا بد من استعراض جميع الأفكار والنقاط التي عالجها، والتي تبين جهودهما في تكوين نظرية الأفعال اللغوية.<sup>(2)</sup>

1- ظافر الشهري: إستراتيجيات الخطاب، ص 377.

2 - يطلق عليها: نظرية الأفعال الكلامية، نظرية الأفعال اللغوية، نظرية الحدث اللغوي، نظرية الحدث الكلامي، والنظرية الإنجازية، فهذا التعدد الاصطلاحي راجع إلى تعدد الترجمات، وكلها تعبر عن مصطلح واحد غربي هو (Speech acts theory).

### 1- أوستين Austin:

يتفق العلماء والدارسون على أن فكرة الأفعال اللغوية ظهرت مع البريطاني (جون لانجشو أوستين 1911 - 1960) وأنه أول من تفتن لها، «حيث بدأها بمعارضة أطروحة فلاسفة اللغة الوضعيين، أو ما أسماه أوستين بالمغالطة الوصفية.»<sup>(1)</sup> والتي حصرت مجالات اللغة الواسعة في مجال الوصف، وميزت بين **الجمل الوصفية** وغير الوصفية (الإنشائية)، فالأولى تخضع لمعيار الصدق والكذب من خلال مطابقتها للواقع الخارجي وعدم مطابقتها له، «وهي الجمل الأساسية التي تستحق الدراسة والتحليل في مقابل الجمل غير الوصفية (الإنشائية أو الذاتية)، وهي الجمل الهامشية التي تعد من قبيل الجمل التي لا معنى لها لأنها لا تطابق واقعا خارجيا أو تخالفه.»<sup>(2)</sup>

ونجد أوستين يخالف هذا الطرح ويميز بين الجمل الوصفية التي تخضع لمعيار الصدق والكذب، والجمل الإنجازية، والتي تختلف عنها في أمرين هما: عدم خضوعها لمعيار الصدق الكذب من جهة، وأن مجرد التلفظ بها يشكل فعلا لغويا من جهة أخرى.<sup>(3)</sup>

يمثل هذا التمييز من أوستين تأسيسا أوليا لنظرية الأفعال اللغوية، ففي رأيه أن الجمل الخبرية نوعان؛ الجمل الوصفية التي تصف حدثا أو حالة معينة دون فعل، وتخضع لمعيار الصدق والكذب، والجمل الإنجازية التي تنجز قولاً وفعلاً في الوقت ذاته، وهي جمل لا تخضع لمعيار الصدق والكذب، وإنما تخضع لمعيار النجاح والفشل، وتكون ناجحة إذا كانت موافقة شروط إنجازها، وهي:

- أن يكون الفعل فيها منتميا إلى مجموعة الأفعال الإنجازية نحو: وعد، سأل، قال، حذر، أوعد...

- أن يكون الفاعل هو نفسه المتكلم، أي أنها تمثل الفردية ممن يقولها.

1 - يحيى بعبطيش: الفعل اللغوي بين الفلسفة والنحو، ضمن: التداوليات علم استعمال اللغة، تنسيق: حافظ إسماعيلي علوي، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط2، 2014، ص91.

2 - نفسه، نفس الصفحة.

3 - نفسه، نفس الصفحة.

- أن يكون زمن الفعل هو المضارع.<sup>(1)</sup>

إن هذه الشروط تمثل المعايير المقالية التي تتعلق بالخصائص البنوية الشكلية للفعل اللغوي، في حين نجد معايير مقامية تتمثل في:

- أن يوجد اتفاق عربي أو اجتماعي متعارف عليه أثناء القيام بعملية التبليغ.

- أن يكون تطبيق الاتفاق في ظروف ملائمة وبواسطة أفراد مناسبين. فلا يورث من ليس له ملك مثلاً.

- أن ينجز جميع المشاركين في عملية التبليغ أدوارهم على أكمل وجه.

- عدم تغيير المشاركين موقفهم أثناء إنجاز الفعل.

- افتراض وجود نيات ومشاعر مسبقة عند منفذ الفعل اللغوي حتى يحقق فعله بصفة مرضية.<sup>(2)</sup> وعليه

إذا احتل معيار من هذه المعايير تتحول الجملة من إنجازية إلى وصفية. فالجمل الوصفية قد ترد في صورة

جملة فعلية، سواء كان فعلها ماضياً أو مضارعاً، متعلّياً أو لازماً نحو: **حمل الفتى الحقيبة - يرجع**

**والدي من السفر**. وترد كذلك في صورة جملة اسمية نحو: **الجو جميل**. وأما الأفعال الأدائية (الإنجازية)

فهي تتفق مع الأفعال التقريرية في الشكل والصياغة، ولكنها تختلف عنها في المعنى والوظيفة، فوظيفة

الفعل هي الأساس في التفريق بين الفعل التقريري والأدائي.

قام أوستين - في مرحلة ثانية - بتمحيص المعايير السابقة بنوعيتها، متسائلاً عن إمكانية نقد

الجمل الوصفية من خلالها والعكس، أي عن إمكانية نقد الجمل الإنجازية بمعيار الصدق والكذب،

ليتوصل بعد فحصه عينات كثيرة من الجمل إلى أن معيار الصدق/الكذب مرتبط بمعيار النجاح/الإخفاق

والعكس صحيح، فلا يمكن التمييز بين جملة وصفية وأخرى إنجازية، لأن جميع الجمل اللغوية قول وفعل

في الوقت نفسه.<sup>(3)</sup>

1 - يحيى بعبطيش: الفعل اللغوي بين الفلسفة والنحو، ص 92.

2 - نفسه، ص 92-93.

3 - نفسه، ص 94.

وقد أعاد أوستين النظر في العديد من الجمل اللغوية، حيث فحصها من كل جوانبها ثم لاحظ بعد ذلك إمكانية تقدير فعل وفق الشروط المذكورة في العبارات الوصفية نحو: أقول "الجو جميل" لتصبح جملة إنجازية أيضا، ومنه يكون لدينا نوعان من الجمل الإنجازية<sup>(1)</sup>:

1- إنجازية صريحة (مباشرة): فعلها ظاهر (أمر، حض، دعاء، نهي) بصيغة الزمن الحاضر المنسوب إلى المتكلم.

2- إنجازية ضمنية (غير مباشرة): فعلها غير ظاهر نحو: الاجتهاد مفيد: لتصبح بعد تقدير الفعل الضمني: - أقول: الاجتهاد مفيد - أمرك أن تجتهد.

ونحو قوله تعالى: ﴿ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴾ [آل عمران 185]: أقول احذروا.

ومن أمثلة الإنجاز الصريح وفق رؤية أوستين ما يلي:

- أنا أستشعر الخطر.

- ألوم نفسي وألوم أهلي.

إن المتكلم يقوم بعمل أثناء النطق بهذه العبارات، وهذا العمل أو الفعل هو نفسه المعنى المعجمي للفظ الفعل الذي يشتمل عليه المنطوق المتلفظ به، فالتكلم يستشعر الخطر في المنطوق الأول، ويلوم نفسه وأهله في الثاني.

ويلاحظ على هذه المنطوقات أنها تتضمن فعلا مضارعا مثبتا مبنيًا للمعلوم مسندا إلى ضمير المتكلم، ودالا على الحال، وذلك في أستشعر، ألوم. ومن أمثلة الإنجاز غير الصريح ما يلي:

- اسكت أيها الغبي.

- أيها المصارع.

1- ينظر: يسمينة عبد السلام: نظرية الأفعال الكلامية في ظل جهود أوستين، مجلة المخبر أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، ع10، 2014، ص 108.



فهذه العبارات لم يكن المقصود بها الأمر أو النداء بل دل السياق على دلالات أخرى كالتوبيخ في الأولى، والتفوق في الثانية، مما دل على إنجاز غير صريح.

وعلى الرغم من هذا الجهد الذي بذله أوستين في التصنيف، فقد ظل يرجع النظر في هذا التمييز حتى تبين له في النهاية أن الحدود بين الأفعال الأدائية والتقريبية لا تزال غير واضحة، وأن ما وضعه من شروط ليس كافيا للتمييز بينهما، فرجع بخطاه، من حيث بدأ وتأكد أن التمييز بين هذين النوعين من الأفعال اللغوية ليس بالبساطة التي ظنها في البداية، فراح يتمعن في المنطوقات اللغوية ويتعمق فيها حتى « اكتشف أن لكل منطوق بما في ذلك المنطوقات التقريبية أو العبارات بعدا أدائيا.»<sup>(1)</sup> وهذا معناه أن هناك عبارات خبرية أو تقريبية محايدة تعبر عن حقيقة ما مثل: " العلم نور" ويمكن أن تحمل صيغة الفعل الإنجازي الضمني مثل: أقول إن العلم نور.

وعليه يذهب أوستين إلى أن « الفعل الخطابي يتكون من ثلاثة أفعال لغوية يطلق عليها المصطلحات الآتية: فعل الكلام التلفظي، فعل الكلام الغرضي، فعل الكلام التأثيري.»<sup>(2)</sup> بمعنى أن الفعل اللغوي مركب من ثلاثة أفعال تؤدي في الوقت نفسه حيث أن: « فعل التلفظ هو مجرد التلفظ بأصوات نطقية، وفعل الخطاب هو قول شيء معين، أي كلام قد يفيد تقريرا أو وعدا أو استفهاما، وفعل التأثير بالخطاب وهو الفعل الحاصل نتيجة لما نقول، لأنه غالبا ما يكون للتلفظ بكلام تأثير معين على سلوك الآخرين مثل: إقناعهم أو امتناعهم أو إغضابهم.»<sup>(3)</sup>

فهذه الأفعال الثلاثة تكون متداخلة فيما بينها، وذلك أننا في بداية العملية الكلامية لا بد أن تصدر متوالية من الأصوات تنتمي إلى لغة معينة عربية كانت أو فرنسية أو غيرها من لغات العالم، ويجب أن تكون هذه الأصوات خاضعة للقواعد النحوية والتركيبية لهذه اللغة، ففي العربية مثلا، إذا

1 - علي محمود حجي الصراف: في البرجماتية الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 2010 ص40.

2 - نصيرة عماري: نظرية أفعال الكلام عند أوستين، ملتقى علم النص، مجلة اللغة والأدب، قسم اللغة العربية وآدابها، الجزائر، ع 17، 2006، ص 82.

3- علي أيت أوشان: السياق والنص الشعري من البنية إلى القراءة، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط 1، 2000، ص 67 - 68.

كانت الجملة اسمية يكون ترتيبها مبتدأ ثم خبراً، وإذا كانت فعلية يكون الفعل ثم الفاعل ثم المفعول به، وبهذا الترتيب النحوي نكون قد أضفنا على هذه المتواليات معنى معيناً، وقد يكون هذا المعنى إخباراً أو استفهاماً أو أمراً، أي بذلك نكون قد أنجزنا فعلاً، وهذا الأخير يكون له أثر على الغير، فعلى سبيل المثال: قولك: "هل ستعود بعد شهر؟" فهذه الجملة الاستفهامية مركبة وفق قواعد اللغة العربية؛ أداة استفهام (هل) والجملة الفعلية (ستعود بعد شهر)، وبذلك يكون المتكلم قد طرح سؤالاً، أي أنجز فعلاً هو (الاستفهام)، وهذا الاستفهام بحاجة إلى جواب، وهو ما يصطلح عليه أوستين بالفعل التأثري.

تتميز الأفعال اللغوية باحتوائها على قوة إنجازية، وقد صنفها إلى خمسة أصناف، حيث كانت مطابقة لغرض إنجاز الأفعال، وفيما يلي عرض لهذه الأصناف:

- 1- الأفعال الحكمية (الإقراطية): حكم، وعد، وصف...
- 2- الأفعال التمرسية: إصدار قرار لصالح أو ضد: أمر، قاد، طلب...
- 3- أفعال التكليف: (الوعدية): تلزم المتكلم: وعد، التزم، أقسم...
- 4- الأفعال العرضية (التعبيرية): عرض مفاهيم منفصلة: أكد، أنكر، أجب...
- 5- أفعال السلوكيات (الإخباريات): ردود أفعال، تعبيرات اتجاه السلوك: اعتذر، هنا، حيي، رحب...<sup>(1)</sup>

وعموماً لم يعرض أوستين على ما قدمه، وأكد على أن نظرية الأفعال اللغوية لم تكتمل، وتحتاج إلى البحث فيها، وأضاف أن السياق المحيط بالفعل هو الذي يحدد نوعية الفعل: أهو تقرير أم أدائي. وعلى الرغم من ذلك فقد تميزت نظريته بجدة مصطلحاتها ومعالجتها للغة، فاللغة بالنسبة لأوستين ليست أداة ووسيلة للتواصل فحسب، وإنما اللغة وسيلة للتأثير وتغيير السلوك الإنساني من خلال المواقف.

نستنتج أخيراً من نظرية أوستين في أفعال الكلام، أن مجموع الملفوظات التي ينتجها المتكلم لم

1- خليفة بوجادي: في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، ص 97.

تعد ينظر إليها على أساس أنها مجرد دلالات ومضامين لغوية وصفية أو خبرية مرهونة بمعيار الصدق أو الكذب، وإنما تعتبر إنجازات لغوية تحقق أغراضا تواصلية تدفع المخاطب نحو التصرف والفعل. وانطلاقا من هذا يمكننا القول بأن جهود أوستين كانت نقطة انطلاق لتأسيس نظرية أفعال الكلام. كما تتضح أهمية هذا الفيلسوف كذلك من خلال تناوله مسألة التقسيم الثنائي للفعل الأدائي؛ أولي وصريح، فهذه المسألة فتحت الباب أمام سيرل لتطوير النظرية واستدراك ما فات أوستين.

### 2- سيرل Searle:

انطلق جون سيرل من أفكار أوستين، حيث أدخل بعض التعديلات والإضافات الجديدة التي مست شروط إنجاز الفعل اللغوي وتحليله وتصنيفه، وفيما يلي سنعرض أهم هذه الأفكار والاقتراحات، مبتدئين بفرضيته التي استمدها من أطروحة أستاذه أوستين، والتي تقول بأن « الفعل الإنجازي هو الوحدة الصغرى للاتصال اللغوي، وأن للقوة الإنجازية دليلا يسمى دليل القوة الإنجازية، يبين لنا نوع الفعل الإنجازي الذي يؤديه المتكلم بنطقه للجملة.»<sup>(1)</sup> فقد حول اهتمامه من الجملة التي تعد محطة الدراسة والتحليل والتواصل عند أصحاب الاتجاه البنوي والتحويلي، إلى الاهتمام بالفعل اللغوي عند أصحاب التداولية، والذي يتضح معناه من خلال الاستعمال « فالقول في نظره: شكل من أشكال السلوك الاجتماعي، يخضع لجملة من القواعد، يحقق بها الأفراد أفعالا لغوية مختلفة، كفعل الإثبات والأمر والاستفهام والوعد وغيرها.»<sup>(2)</sup>

معنى هذا أن سيرل سلم بالقواعد اللغوية التي تكون هي الأخرى ضابطة لقول المتكلم من الجانب الشكلي، وبالقواعد الاجتماعية العرضية التي تكون هي الأخرى ضابطة لكلام المتكلم من

1- علي محمود حجي الصراف: في البرجماتية الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة، ص51.

2- يحيى بعبطيش: الفعل اللغوي بين الفلسفة والنحو، ص100.

الجانب الاستعمالي التواصلي. « ولعل ما بين أهمية كلام سيرل هنا تلك المواقف الاتصالية الكثيرة غير الناجحة، التي لم يراع فيها المتكلم عرفا لغويا أو عرفا اجتماعيا أو لم يراعهما معا.»<sup>(1)</sup>

لقد رأى سيرل أن الشروط التي وضعها أوستين بخصوص إنجاز فعل لغوي ناجح كان فيها بعض القصور، فحاول أن يتجاوز بصياغة أربع قواعد اعتبرها شروطا ينبغي أن يستوفيهما الأداء اللغوي حتى يكون أداء موفقا وهي:

• **قاعدة المحتوى الإخباري (مضمون القضية):** ويقصد بهذه القاعدة تحديد أي نوع من المعنى الذي يعبر عنه بالقسم الإخباري من اللفظ، فالمعنى الذي يشير إليه (أعد) حدث مستقبلي بالنسبة للمتكلم. أي لا بد من وجود قضية يتحدث عنها.

• **قاعدة التحضير (التقديم):** ويقصد بها تحديد الشروط المسبقة قبل أداء الحدث الكلامي.

• **قاعدة الأمانة (الإخلاص):** تعني تحديد الشروط التي يجب أن تتحقق إن كان على الفعل أن ينفذ بإخلاص ودقة.

• **القاعدة الأساسية (الجوهرية):** تحدد كيف يجب أن يحسب الحدث الكلامي عادة.<sup>(2)</sup> ويلاحظ أن شروط سيرل عامة تشمل كل الأفعال الكلامية.

أما فيما يتعلق بالتعديلات التي أدخلها سيرل على الأطروحة الأوستينية فهو تعديله التقسيم الثلاثي للفعل اللغوي؛ حيث رأى أن الفعل اللغوي ينجز أربعة أفعال في الوقت نفسه وهي:<sup>(3)</sup>

\* **فعل التلفظ:** ويشمل الجانب الصوتي والتركيبي كما هما عند أوستين، أي هو منطوق الجملة بشكل عام.

\* **الفعل القضوي:** ويتكون من الحمل والإحالة، وفعل الإحالة يسمح بربط الصلة بين طرفي

1- علي محمود حجي الصراف: في البرجماتية الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة، ص 52.

2- قويدر شنان: التداولية في الفكر الأنجلوسكسوني، المنشأ الفلسفي والمال اللساني، مجلة اللغة والأدب، ع 17، 2006، ص 15.

3- يحيى بعيطيش: الفعل اللغوي بين الفلسفة والنحو، ص 102.

الخطاب؛ بين المتكلم س والمخاطب ص، أما فعل الحمل فهو الإسناد بالمصطلح القديم، وهذان الفعلان يجيلان على معنى القول.

\*-**فعل الإنجاز**: هو الفعل الذي يعبر عن قصد متكلمه، وهذا لا يختلف كثيرا عن تصور أوستين، وقد يكون أمرا أو نهيا أو وعدا أو إرشادا.

\*-**فعل التأثير**: وهذا الفعل يهتم بالنتائج والتأثيرات التي يحدثها الفعل اللغوي على المتخاطبين.

يلاحظ أن هناك تشابها بين أوستين وسييرل في كل من الفعلين الإنجازي والتأثيري، إلا أنهما اختلفا من حيث تناولهما للدلالة، فأوستين تحدث عن دلالة الكلمات المستعملة في الجملة، في حين أن سييرل وقف وقفة متأنية عند الدلالة أو ما أسماه بالفعل القضوي، فبين أنه يحتوي على إحالة وحمل، وفصل في الحديث عنهما حيث رأى « أن هناك فرقا بين الإحالة كفعل، والإحالة كنتيجة للفعل، فالأولى مرتبطة بالمتكلمين، يتعرفون من خلالها على شيء خاص مميز، أما الإحالة كنتيجة فلا تحقق ذلك لأن الكلمات التي تحتويها الجملة إذا عزلت عن المتكلمين بها تكون كلمات معجمية محايدة تكتسي طابع العموم، وتفقد دلالتها على التعريف أو التخصيص أو التعيين»<sup>(1)</sup>

وما قيل عن فعل الإحالة يقال عن فعل الحمل، فهناك فرق بين الحمل كفعل، والحمل كنتيجة، فالأول يسنده المتكلم إلى الموضوع المتحدث عنه، وقد يكون فعلا أو أحد مشتقاته (اسم فاعل، اسم مفعول)، أما الثاني فيبين لنا غرض المتكلم كالتهديد أو الترجي أو العتاب..

وبناء على ما تقدم نخلص إلى القول بأن هناك أفعالا لغوية أدائية أو إنجازية لوحدها، وهناك أفعال لغوية تحتاج إلى تبيان أدائيتها، وأن كل الأسباب المذكورة تجعل الفعل اللغوي يختلف عن غيره من الأفعال اللغوية الأخرى في إنجازته.

1 - يحيى بعيطيش: الفعل اللغوي بين الفلسفة والنحو، ص103.

إن آخر شيء أتى به سيرل هو تصنيفه الأفعال الكلامية في خمسة أصناف هي: (1)

- الأخبار (تبلغ خبراً، وهي تمثيل للواقع)، وتسمى أيضاً التأكيدات، الأفعال الحكيمية.

- الأوامر: تحمل المخاطب على فعل معين.

- الالتزامية: (أفعال التعهد)، وهي أفعال التكليف عند أوستين، حيث يلتزم المتكلم بفعل شيء معين.

- التصريحات: وهي الأفعال التمرسية عند أوستين، وتعبّر عن حالة، مع شروط صدقها.

- الإنجازيات (الإدلاءات): تكون حين التلفظ ذاته.

لقد عمل سيرل على التمييز بين الفعل اللغوي المباشر والفعل اللغوي غير المباشر، وهذا الأخير عني به كذلك غرايس، وذلك بعد ملاحظته أعمال كل من أوستين وسيرل التي انصبت على دراسة الفعل اللغوي المباشر. فدقق فيها وانطلق منها لبناء تصور يفيد التداولية بصفة عامة، ونظرية الأفعال اللغوية بصفة خاصة.

### المطلب الثاني: غرايس Grice والاستلزام الحوارية

كثيراً ما نتواصل بأعمق من المعنى الحرفي للكلمات التي نستخدمها، وهذا من أهم الأمور التي تدرسها التداولية، والأمثلة على ذلك كثيرة؛ فلو سألك أحدهم: هل ترافقني في السفر غداً؟ وأجبت: لدي عمل، فسيفهم أنك ترفض طلبه، مع أنك لم تقل ذلك ولم تصرح به. وبالتالي فالجواب له معنى حرفي (محتوى قضوي) وهو أنه لديك بالفعل عمل تريد إنجاز غداً، ومعنى آخر نستخلصه من المقامات المختلفة، وهو معنى رفض السفر.

كان غرايس paul grice الفيلسوف الإنجليزي (1913 - 1988) أول من حاول تفسير هذه الظاهرة، أي كيف يمكن أن نقول ما نقصد، أو نقصد أكثر مما نتكلم به، أو نقصد عكس ما نقوله، واصطلح على تسميتها بالاستلزام الحوارية، وهو ما نعينه دون أن نقوله حرفياً (أشياء مقترحة، أو

1 - خليفة بوجادي: في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في التراث العربي القديم، ص 99-100.

ضمنية، أو ملمح لها). ولا بد من الإشارة إلى أننا عندما نتحدث عن المحادثات والحوار فإننا - غالباً - نشمل أشياء كالكتب والرسائل وغيرها. إن انتقال الفعل اللغوي من المعنى المباشر إلى المعنى غير المباشر يحتاج إلى معيار أو مبدأ يسهل على أصحاب العملية التواصلية فهم الغرض بوضوح، فاقترح مبدأ **التعاون**.

وضح غرايس في العموم أن المحادثات عبارة عن جهود تعاونية، فالناس يسعون إلى فهم الآخرين، وإلى أن يُفهموا غيرهم كذلك، يريدون أن يرسلوا ويستقبلوا المعلومات، يريدون أن يؤثروا ويتأثروا بعضهم ببعض.

لا يصرح الناس - عادة - في محادثاتهم بتصريحات غير مترابطة، وحتى في أكثر المحادثات اعتيادية. وهنالك على العموم نوع ما من الغايات أو هدف ما للمحادثة، فنحن لا نقول أشياء عشوائية بلا سبب أبداً، لذلك أخذ غرايس كل هذه الملاحظات، واستنتج أن ما نقوم به هو نوع من اتباع تلك القواعد المنطقية للمحادثات. القواعد المنطقية هي تلك القواعد التي يتبعها الناس، لأننا كائنات منطقية وعقلانية بطبعها، على خلاف القواعد التقليدية كما يقول، فعلى سبيل المثال، تجد مقود السيارة على اليمين في بعض الدول، وتجده على اليسار في دول أخرى، وتلك مجرد قواعد تقليدية وليس بعضها أصح من بعض، ولكن في الحقيقة نحن نتبع قواعد كأن لا نقود في أي اتجاه نريده، فهذه قاعدة منطقية وعقلانية، إنها طريقتنا للتعاون سوياً، وهكذا نصل إلى المكان الذي نريده.

لخص غرايس هذه الملاحظات؛ أي فكرة أن المحادثات هي أنشطة تعاونية، بعوامل منطقية، إضافة إلى قاعدته التي أسماها (المبدأ التعاوني). وصاغ غرايس مبدأه كالتالي: « **اجعل تدخلك مطابقاً لما يقتضيه الغرض من الحوار الذي تسهم فيه في المرحلة التي تتدخل فيها**»<sup>(1)</sup>

أوضح غرايس أيضاً المبدأ التعاوني عبر وضعه أربع قواعد أو ثوابت عادة ما يتبعها الناس أثناء إجراءات المحادثات، وتجدد الإشارة إلى أن هذه القواعد أو الثوابت لا ينبغي أن تكون قواعد تقليدية

<sup>1</sup> - يحيى يعطيش: الفعل اللغوي بين الفلسفة والنحو، ص108. وينظر أيضاً: أحمد المتوكل: اللسانيات الوظيفية، مدخل نظري، ص23.

اعتدنا على تطبيقها في المحادثات، ولكنها قواعد تتحكم بعقلانية النشاط وتعاونيته في العموم، «الممارسة اللغوية بحسب غرايس نشاط عقلائي يهدف إلى التعاون ما بين المتخاطبين، لذلك لا بد من افتراض توجيهات أو قواعد صادرة من اعتبارات عقلية تدبر السلوك التخاطبي وتجعله فعالا ناجحا.»<sup>(1)</sup> وهذه الثوابت هي:<sup>(2)</sup>

- **الثابت الأول:** خاص بالكمية أو التعداد، أي كمية المعلومات الواجب توفيرها.

اجعل مساهمتك بالحديث على قدر المعلومات المطلوبة لتحقيق الهدف الحالي من تبادل الحديث، ولا تجعل مساهمتك غنية بالمعلومات أكثر مما هو مطلوب. فمثلا إذا كنت تريد تثبيت قطعة لوح مربعة فلن أعطيك مسمارين فهذا قليل، ولن أعطيك ستة لأن هذا كثير.

- **الثابت الثاني:** النوعية. (الصدق)

حاول أن تجعل مساهمتك صادقة، فلا تقل ما لا تعتقد بصحته، ولا تقله كذلك لأنك تفتقر لأدلة كافية. فلو كنت بصدد طبخ كعكة فلن أعطيك الملح مدعيا أنه سكر.

- **الثابت الثالث:** العلاقة.

قل شيئا ذا علاقة، أو ذا صلة. لا تقل شيئا لا علاقة له بالحديث. فإن كنا نتحدث عن مشاهدة فيلم الليلة، لا ينبغي أن أخبرك عن كتاب جيد قرأته إلا إن لمست إشارة لتغيير الحديث.

- **الثابت الرابع:** لا يتعلق بالمحتوى ولكن بالطريقة التي تقول بها الكلام، وهو الكيفية. فعلى أن نكون

1- عادل فاحوري: الاقتضاء في التداول اللساني، عالم الفكر (الأسنّة)، وزارة الإعلام، الكويت، المجلد 20، العدد 3، 1989، ص 146.

2- يراجع في ذلك: -عادل فاحوري: الاقتضاء في التداول اللساني، ص 147؛ -أحمد المتوكل: اللسانيات الوظيفية (مدخل نظري) ص 23؛ -الجيلالي دلاش: مدخل إلى اللسانيات التداولية، ترجمة: محمد يجياتن، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دط، دت، ص 33. - الشهيري: إستراتيجيات الخطاب، ص 121 - 122. وصلاح إسماعيل عبد الحق: نظرية المعنى في فلسفة بول غرايس، دار قباء، دط، 2007، ص 87. - دان سبيرير وديديري ويلسون: نظرية الصلة أو المناسبة، ترجمة: هشام إبراهيم الخليفة، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط 1، 2016، ص 72 - 73.



بعيدي النظر، وأن نتجنب غموض التعبير واللبس في الكلام، وأن نتكلم بإيجاز وتنظيم. فلو حان وقت السكر لإضافته إلى الكعكة، علي أن أعطيكه مباشرة، ودون أن أرسم لك خريطة كنز لتبحث عنه. هذه الثوابت تشكل مبدأ التعاون، موضحة كيف يتواصل الناس أبعد من المعنى الحرفي لكلماتهم في المحادثات، مفترضين ضمناً أن المتحدث ينفذ كل الثوابت، ويطبق المبدأ التعاوني. خلص غرايس إلى أن ظاهرة الاستلزام الحوارية تتم عندما يحرق أحد المساهمين قاعدة من القواعد الأربعة مع الاحتفاظ بمبدأ التعاون.

إن الجملة اللغوية قد تحتوي في بعض الأحيان على معنيين؛ صريح حرفي ومعنى ضمني مستلزم في آن واحد، لكن نجد في بعض الحالات أن الجملة تحمل معنى مستلزماً يكون معناها الأصلي « وهذه الظاهرة يمكن تفسيرها تطورياً بأنها ظاهرة تحجر... حسب مصطلح "غرايس" بحيث تصبح حرفية لا ينطبق عليها مبدأ خرق قواعد الحوار لرصد دلالتها المستلزمة»<sup>(1)</sup>

إن ما قدمه غرايس من أعمال يعد نقطة هامة في التداولية بصفة عامة، وفي نظرية الأفعال اللغوية بصفة خاصة، وقد أقبل فلاسفة اللغة واللسانيون على مفاهيمه وقواعده، إلا أن « بعضهم تحفظ على قواعده ووصفها بأنها غير واردة، وغير قادرة على تفسير كل الأفعال اللغوية »<sup>(2)</sup> ولذلك نجد سيرل قد واصل ما بدأه غرايس، ودقق في البحث عن آليات الانتقال من الفعل اللغوي المباشر إلى الفعل اللغوي غير المباشر، وقد لاحظ سيرل أن هذا الأخير هو الأكثر شيوعاً في استعمالنا اليومية.

1- يحيى بعبطيش: الفعل اللغوي بين الفلسفة والنحو، ص 112.

2- الجيلالي دلاش: مدخل إلى اللسانيات التداولية، ص 33. وينظر أيضاً: يحيى بعبطيش: الفعل اللغوي بين الفلسفة والنحو، ص 112.

### المبحث الرابع: مسوغات التلميح

يمر المتكلم بسياقات مختلفة تكون دوافع أو مبررات تجعله يتحفظ في كلامه فلا يصرح، بل يلجأ إلى التلميح إلى مقاصده مراعاة لتلك السياقات، ومنها:

#### 1- التأدب في الخطاب:

المقصود بالتأدب التنزه عن ذكر ما يسيء، وقد تكون الإساءة لذات المتكلم، فينزه نفسه عما يشينها ويحافظ على صورته المعهودة. وقد تكون الإساءة للمخاطب، فينزهه عما يحط من قدره، كما قد تكون الإساءة لمكان الخطاب، فينزهه عما لا يليق بحرمته.<sup>(1)</sup> كأن يكون المتكلم ذا سلطة قانونية أو معنوية، فيكون خطابه مناسباً لمكانته، أو يكون للمخاطب مكانة خاصة عند المتكلم، وعلاقة يخشى الإساءة إليها، أو يكون مكان الخطاب ذاته مما لا يجوز المساس بحرمته، كأن يكون المسجد أو الأسرة مثلاً.

تعد الرقابة التي قد يفرضها المجتمع من مبررات التأدب، إذ يعد بعض الكلام من المحظورات أو المحرمات، فيلجأ المرسل إلى الإضمار بغية إحباط تلك الرقابة، ويحتال ليتجاوز الحظر عن بعض الأغراض الخطائية، والذي تفرضه الأخلاق أو السياسة أو القانون.<sup>(2)</sup>

من التأدب أن يغلف المتكلم خطابه، فلا يستخدم - مثلاً - صيغ النهي المباشرة الصريحة (لا تفعل)، كما لا يستخدم أساليب التحذير المعروفة (إياك)، بل يعدل إلى استعمال ألفاظ أو عبارات تنتج دلالة التنبيه التحذيري الذي يأتي فيه النهي خافتاً مضمناً يستنبطه المتلقي بنفسه، وقد تنتج دلالة الأمر وطلب الإلزام بالفعل والحث على الإنجاز مع مراعاة التلطف وفق الأبعاد السياقية المختلفة.<sup>(3)</sup> مثال ذلك تلميح النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه إذا أراد أن يعييبهم على أمر فعلوه، فكان يقول: ما بال أقوام يفعلون كذا وكذا؟

1- الشهري: إستراتيجيات الخطاب، ص 372.

2- ينظر: كاترين ك أريكويوني: المضمرة، ترجمة: ريتا خاطر، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط1، 2008، ص 498.

3- ينظر: عيد بلبع: السياق وتوجيه دلالة النص، المدينة المنورة، ط1، 2008، ص 503.

ومن وسائل التلطف في الخطاب استخدام أنماط خاصة من الاستفهام، مثل الجملة الاستفهامية من نمط: لماذا لا تفعل س؟ ففي سياقات مناسبة يتضح أن جملة من هذا النمط يقصد بها الدعوة إلى فعل شيء، أو عرض فعله، أو اقتراح فعله، أو التماس فعله<sup>(1)</sup>.

ومن وسائل تلطيف الكلام نطقه بنبر ضعيف، وبنغمة تدل على أن المتكلم يَكْن شيئاً من المودة للمخاطب، «إن إضعاف قوة منطوق غير مرحب به إنما هو تعبير عن مشاعر إيجابية يمتلكها المتكلم تجاه المخاطب، هذه المشاعر التي تزيد تماسك العلاقة بينهما»<sup>(2)</sup>. وفي الأخير يمكن أن يستجيب المخاطب للأمر أو النهي بدافع تلك العلاقة. غير أن هذه الوسيلة تصلح في الخطاب الشفهي ولا تصلح في الخطابات المكتوبة، وإن استعوض عنها ببعض علامات الترقيم كعلامتي الاستفهام والتعجب، لكن يبقى الأمر غير ذي فائدة كبيرة في إيصال المقصود تماماً مثل ما هو في الخطاب الشفهي.

### 2- إظهار التفوق:

قد يكون المتكلم أعلى مكانة من المخاطب، وقد يكون مساوياً له فيها، غير أنه يريد أن يستعلي عليه، وأن يظهر تفوقه عليه في غير تصريح بذلك، فيستعمل وسائل لغوية تركيبية وغير تركيبية، كما يستعمل وسائل أخرى غير لغوية، أي خارجة عن نطاق اللغة.

فمن الوسائل اللغوية<sup>(3)</sup> النبر والتنغيم، فينطق المتكلم كلامه بطريقة فيها شيء من القوة، أو شيء من السخرية، أو الاستحسان، أو الاستهجان حسب سياق الموقف، بحيث توحى بأنه أعلى شأنًا من المخاطب<sup>(4)</sup>.

1- ينظر: محمد العبد: تعديل القوة الإنجازية، دراسة في التحليل التداولي للخطاب، ضمن كتاب (التداوليات علم استعمال اللغة)، ص 345.

2- نفسه، ص 327.

3- نفسه، ص 330.

4- سبقت الإشارة إلى أن هذه الوسيلة تصلح في الخطابات الشفهية دون المكتوبة، ويستعاض عنها في الكتابة ببعض علامات الترقيم.

ومن الوسائل اللغوية تلك العبارات التي توحى بصدق المتكلم، أو ثقته بما يعلم، نحو: أعلم -يقينا-، أو: مما لا شك فيه أن القضية صحيحة.

ومن الوسائل التركيبية الأبنية الاستفهامية والتبليغات التذييلية<sup>(1)</sup> نحو: أليس الجو باردا؟ فالسؤال عن محتوى القضية ليس هو المقصود الأولي بقدر ما هو إشارة إلى ما يعتقد المتكلم بصحته، وأنه يزود كلامه بقوة تعجبية.

الاستفهام الآتي: (لم لا تستطيع أن تفعل س؟) في سياق معين يشير إلى نوع من الانتقاد، كما يشير إلى أن المتكلم في درجة من يستطيع أن يصدر هذا النقد.

كما قد يستعمل المتكلم وسائل خارجة عن نطاق اللغة « كاستخدام الحركات والإشارات (من غمز بالعين، وتحريك للأيدي، ورفع للكف، وتقطيب للوجه وعبوسه، وغير ذلك)، أو أفعال طقوسية غير لفظية، وهذه الأنواع من التعابير الحركية تستخدم أحيانا بدون أن يحرك الإنسان لسانه »<sup>(2)</sup> وكلها قد تضيف طابعا من القوة للخطاب يشير إلى تفوق المرسل، وإلى أنه يعلي من ذاته على حساب الآخرين.

### 3- التهرب من مسؤولية الخطاب:

يواجه المتكلم أحيانا موقفا متأزما قاهرا، أو وضعاً اجتماعياً أو قانونياً مرفوضاً لا يمكن مقاومته أو التصدي له، ويمثل التصريح فيه حرجاً له، وللخروج منه يلجأ المتكلم إلى المراوغة بحيث يكون خطابه زئبقياً، وهو أن يذكر المتكلم بيانات صحيحة لكن لا علاقة لها بالموقف، أو توصل المخاطب إلى استنتاجات خاطئة. إن المتكلم يجعل الخطاب « يحتمل أكثر من تأويل، منها القريب ومنها البعيد، فيختار المرسل إليه من التأويلات الممكنة ما يعتقد أنه الأنسب للسياق، مع استبقاء الفرصة لدى المرسل

1- ينظر: محمد العبد: تعديل القوة الإنجازية، ص334.

2- أوستين: نظرية أفعال الكلام العامة، كيف ننجز الأشياء بالكلمات، ترجمة: عبد القادر قينيني، إفريقيا الشرق، دط، ص 93.

لينكر وينفي القصد الذي قد يوقعه في ورطة لو أقر بإنجاز فعل لغوي معين من خلال خطابه»<sup>(1)</sup> إن الهدف الذي يرومه المتكلم هو ألا يتمكن المتلقي من إثبات قصده بسهولة، فيحرص المتكلم على إبقاء اللبس والغموض في خطابه مما يمنحه إمكانية تغيير موقفه وموقعه وفقاً لميزان القوى، كما يحرص على إبقاء مساحة معتبرة من الضبابية، حيث يسهل عليه اتخاذ الموقف ونقيضه، ويتيح لنفسه إخلاء يده من المسؤولية متى احتاج إلى ذلك.

من الوسائل التي تساعد المتكلم على التهرب من المسؤولية استعمال التعميم، حيث يتعد عن الدقة في كلامه مما يجعله صالحاً لأكثر من تأويل، ويعد الخطاب السياسي خيراً مثال على ذلك، فغالباً ما يطرح على رجال السياسة أسئلة دقيقة ومحددة، لكن إجاباتهم تكون غارقة وموغلة في التعميم والتعميم، أي أنها لا تتوخى الدقة والتفصيل، وهذا الأمر يتيح لهم الدفع بأنهم لم يفهموا، وأن كلامهم قد أول خطأ.

يمكن للمتكلم أيضاً أن ينجو من المسؤولية أو يخففها -على الأقل- عن طريق توريث الآخرين بإشراكهم ومقاسمتهم المسؤولية، ويكون ذلك باستعمال ضمير الجماعة (نحن)، فالمسؤولية إذا وزعت على الجماعة خفت وطأتها.

الذكاء وسرعة البديهة في التعامل مع المواقف من الأمور التي يحتاجها المتكلم للتهرب من المسؤولية، والتخلص من الأمور الصعبة التي تواجهه.

#### 4- الخوف:

غير بعيد عن فكرة التهرب من المسؤولية، قد يكون الخوف هو الدافع إلى التلميح، فقد يلجأ المتكلم إليه أحياناً خوفاً من الضرر الذي قد يلحقه لو صرح، ويكون ذلك بمداراة من يخافه باللسان، وعدم إظهار العداوة له، أو كانت نتيجة الكلام مما يوجب العقاب، كأن يكون المخاطب مثلاً صاحب

1- الشهري: إستراتيجيات الخطاب، ص 372.

جاه وسلطان، أو تعلق الخطاب مثلا بطلب شيء ممنوع كالرشوة. وتعد الكناية والتعريض من أكثر الأساليب التي تساعد على النجاة من هذه المواقف العسيرة.

### 5- العدول عن إكراه المخاطب:

قد يكون المتكلم ممن له سلطة على المخاطب، لكنه يراعي مشاعره، ولا يرغب في إحراجه أو إكراهه لفعل شيء لا يرغب في فعله، فيمنحه فرصة للمناورة والرفض<sup>(1)</sup>، فيعلّل خطابه ويكيّفه وفقا لمقصده، فينجز خطابا فيه شيء من اللين أو التخيير، أي أنه يعمد إلى تلطيف الخطاب، وهي إستراتيجية يعتمدها المتكلم لتخفيف قوة الفعل الكلامي أو إضعافها، خاصة إذا كان الكلام غير مرحب به عند المستمع.<sup>(2)</sup> كأن يستعمل المتكلم "أظن" بدل "متأكد"، أو "يمكن" بدل "يجب".

من الوسائل اللغوية<sup>(3)</sup> التي يلطف بها المتكلم خطابه النبر والتنغيم، فينطق كلامه بنغمة هابطة تنزل بالأمر الصريح -مثلا- إلى الالتماس، كنطق فعل الأمر "اجلس" بنبر ضعيف مما يجعل الأمر إذنا بالجلوس، وفي الوقت نفسه يعطي فرصة للمخاطب بأن يرفض، أو على الأقل بأن يشعر أنه مخير في الاستجابة للطلب.

ومنها استعمال بعض العبارات التي تنسب إلى المخاطب، وتشعره بأنه في موقف من يستطيع الرفض نحو: "يمكنك كذا"، أو "تستطيع كذا"، أو استعمال بعض العبارات الشرطية نحو: سأزورك غدا إذا أحببت، أو استعمال الدعاء، نحو: اجلس وكل معنا رعاك الله.

يمكن للمتكلم أيضا أن يلطف كلامه بأن يذيّله باستفهام، مما يخفف من قوة الخطاب، نحو: هذا كتابي أنا، أليس هو؟ فالاستفهام يخفف من قوة الاتهام، ويمكن التخفيف من قوة الأمر المباشر نحو:

1- الشهري: إستراتيجيات الخطاب، ص 373.

2- محمد العبد: تعديل القوة الإنجازية، ص 323.

3- نفسه، ص 339 وما بعدها.

اجلس، ألا تريد؟ فالاستفهام هنا نزل بالأمر إلى درجة العرض، وفيه محاولة لعدم إحراج المخاطب، وحفظ لماء وجهه.

وقد يعبر المتكلم بأسلوب استفهامي من نمط "ماذا عن س؟" يضمنه معنى الاقتراح أو الدعوة، نحو: "ماذا عن تنظيم الوقت؟" أو "ماذا عن تناول الغداء؟"، ففي هذا النوع من الاستفهام لا يحاول المتكلم فرض رغبته على المستمع، بل فيه توجيه إلى شيء يستحب فعله، وبالطبع فإن المخاطب يشعر أنه غير مجبر على الاستجابة للطلب<sup>(1)</sup>.

### 6- الاقتصاد في الخطاب:

يعد الإيجاز من أهم سمات التلميح، ففيه « الاستغناء عن إنتاج عدد من الخطابات، والاكتفاء بإنتاج خطاب واحد ليؤدي معنيين؛ هما المعنى الحرفي والمعنى المستلزم في الآن نفسه»<sup>(2)</sup>، نحو: " يوم استقبال الزوار، الإثنين صباحاً". فالقصد المباشر واضح في ظاهر الخطاب، ولا يحتاج إلى تأويل، فالخطاب يحدد بدقة فترة استقبال الزوار، كما أن المعنى المستلزم واضح، وهو أن باقي الأيام ليست للاستقبال.

<sup>1</sup> - محمد العبد: تعديل القوة الإنجازية، ص 345.

<sup>2</sup> - الشهري: إستراتيجيات الخطاب، ص 377.

## الفصل الثاني: وسائل التلميح في جمهرة خطب العرب

المبحث الأول: الوسائل اللغوية والنحوية.

المبحث الثاني: الوسائل البلاغية.

المبحث الثالث: الوسائل الأصولية.



## المبحث الأول: الوسائل اللغوية والنحوية

## المطلب الأول: الإشارات

## توطئة:

يتألف النص من عدد من العناصر التي تترايط فيما بينها من خلال شبكة من العلاقات الداخلية التي توجد شيئاً من الاتساق والانسجام بينها. وهذه العناصر جزء من نظام اللغة، فتحليل كل كلمة على مدلول معين، غير أن بعضها يوجد في المعجم الذهني دون أن يرتبط بمدلول ثابت، فلا يتضح مدلولها إلا من خلال التلطف بالخطاب في سياق معين.<sup>(1)</sup> فهذه العناصر المهمة تعتمد اعتماداً كلياً على السياق الذي تستخدم فيه، فهي تأخذ دلالة جديدة في كل وضعية جديدة لأنها غير محددة الدلالة أصلاً، فلا معنى لكلمة "هو" أو كلمة "اليوم" أو كلمة "هناك" إذا لم توضع في سياق معين، تتحدد من خلاله دلالتها. وتسمى هذه المبهمات بالإشارات، وتشمل: الضمائر، وأسماء الإشارة، وبعض ظروف الزمان والمكان (أنا، أنت، هو، هي، هذا، هناك، الآن، أمس، غدا...).

ومع إبهام هذه العناصر (الإشارات) إلا أن لها فعالية كبيرة في تكوين بنية الخطاب فهي « مفهوم لساني يجمع كل العناصر اللغوية التي تحيل مباشرة على المقام، من حيث وجود الذات المتكلمة أو الزمن أو المكان حيث ينجز الملفوظ، الذي يرتبط به معناه.»<sup>(2)</sup>

وقد ميز الباحثون بين خمسة أنواع من الإشارات، هي:

الإشارات الشخصية، الإشارات الزمانية، الإشارات المكانية، الإشارات الاجتماعية، والإشارات الخطابية النصية، مع اختلاف في الأخذ بها جميعاً أو ببعضها فقط، فلا يعترف كثير من الباحثين إلا

1- الشهري: إستراتيجيات الخطاب، ص79.

2- الأزهر الزناد: نسيج النص بحث في ما يكون به الملفوظ نصاً، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1993، ص116.

بالأدوات الإشارية الثلاثة الأولى، لأنهم يرون أن كل خطاب لا يتم إلا بحضور الأدوات الإشارية الثلاثة (الأنا، هنا، الآن) .

وقد فرق بعض اللسانيين بين الإشارة والإحالة؛ « فالإشارة هي علاقة بين اللفظ وما يشير إليه في المقام المستخدم، والإحالة هي علاقة اللفظ بالمفهوم العام الذي يحيل عليه في ذهن المخاطب بغض النظر عن المقام، أو السياق الخاص الذي ورد فيه.»<sup>(1)</sup>

ومن أمثلة الفرق بين الإشارة والإحالة، ما تدل عليه التعبيرات الآتية: سيد المرسلين، وأفضل الكائنات، وخاتم النبيين، وإحالاتها هي معانيها الوضعية بغض النظر عن المقصود بها، أما إشاراتها فتعني تأويلها بتوضيح المقصود بها على وجه التحديد. وهو سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، فالمحال عليه إذن هو شخص موصوف بأنه سيد جميع الرسل وأنه أفضل المخلوقات، وأنه لا نبي بعده، كما أعانتنا عقائدنا الإسلامية التي تدخل في إطار السياق الثقافي على معرفة المشار إليه في كل التعبيرات السابقة وهو سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.<sup>(2)</sup>

وفيما يلي تبيين لما اتفق عليه العلماء من أنواع الإشارات:

### 1- الإشارات الشخصية (الضمائر):

هي ضمائر المتكلم والمخاطب والغائب، وكل ذلك لا اعتبار فيه للعدد أو النوع؛ فقد يكون الضمير مفرداً أو جماعة، مذكراً أو مؤنثاً.

إن ضمير الحاضر عنصر إشاري لأنه يعتمد في تأويله على السياق الذي يستخدم فيه، و"الأنا" لا تظهر في خطاب شكلاً، لأنها حاضرة في بنية الخطاب العميقة، فمن خلال التللفظ بالخطاب يفرق بين المتكلم وغيره، وهي موجودة بالقوة في ذهن المخاطب حتى يؤول الخطاب تأويلاً صحيحاً اعتماداً على

1- محمد يونس علي: مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب، ص19.

2- نفسه، ص20.

معطيات السياق. أما ضمير الغائب فيدخل في الإشارات إذا كان حراً، حيث لا يعرف مرجعه من السياق اللغوي، فإذا عرف مرجعه من السياق اللغوي خرج من الإشارات.<sup>(1)</sup> وقد تتعدد المراجع التي تشير إليها الضمائر، فقد تطول الجملة، أو يتم تبادل أدوار الكلام، فيحدث لبس يؤثر على عملية الاتصال، هنا تتدخل القرائن بأنواعها المختلفة في ربط كل ضمير بمرجعه المناسب.<sup>(2)</sup>

وتجدر الإشارة إلى أن الإبهام في الضمائر لا يعني أنها نكرة، بل هي من أعرف المعارف، كما أن الإضمار لا يكون عبثاً، يقول سيبويه في ذلك: « وإنما صار الإضمار معرفة؛ لأنك إنما تضمّر اسماً بعدما تعلم أن من يحدّث قد عرف من تعني وما تعني وأنتك تريد شيئاً يعلمه »<sup>(3)</sup>، فلا يضمّر المتكلم حتى يجمعه سياق واحد مع المخاطب، بحيث يحيطان بكل تفاصيل عملية التواصل.

### 1-1- ضمير المتكلم:

يعد أكثر الضمائر حضوراً لارتباطه بمنشئ الخطاب، حيث يدل على ذاتيته، لذلك فهو له حضور تداولي لا يخفى، وحتى وإن لم يظهر في بنية الخطاب فهو موجود بالقوة، فهو من « الإشارات ذات الحضور الأقوى، وهي الإشارات المستقرة في بنية الخطاب العميقة، عند التلفظ به، وهذا ما يعطيها دورها التداولي »<sup>(4)</sup> ويستطيع المخاطب التعرف عليه انطلاقاً من كفاءته.

يأتي ضمير المتكلم في الخطاب على صور عدة؛ فقد يأتي ضميراً منفصلاً، وعلامته (أنا أو نحن)، وقد يأتي ضميراً متصلًا بالفعل، وعلامته (تُ أو نا)، كما قد يأتي ضميراً مستتراً، ويقدر حينها بـ (أنا أو

1- محمود أحمد نخلة: آفاق جديدة في الدرس اللغوي المعاصر، ص 17-18.

2- تمام حسان: البيان في روائع القرآن، عالم الكتب، ط1، 1993، ص 107.

3- سيبويه: الكتاب، ص 6.

4- الشهري: إستراتيجيات الخطاب، ص 81.

(نحن)، أما الحالة الأخرى فهي ألا يظهر في سطح الخطاب - كما مر-، مع إمكان التعرف عليه من قبل المخاطب.

من النماذج التي يظهر فيها ضمير المتكلم، خطبة للحسن في عهد خلافته جاء فيها:

« نحن حزب الله المفلحون، وعترة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الأقبون، وأهل بيته الطاهرون الطيبون، وأحد الثقلين اللذين خلفهما رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والثاني كتاب الله، فيه تفصيل كل شيء، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، والمعول عليه في كل شيء، لا يخطئنا تأويله، بل نتيقن حقائقه، فأطيعونا، فإطاعتنا مفروضة، إذ كانت بطاعة الله والرسول وأولي الأمر مقرونة (فَإِنْ تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ)، (وَلَوْ دُودُهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَمَا كُنَّا الْإِلَيْنِ يَسْتَبْطِنُونَ مِنْهُمْ)، وأحذركم الإصغاء لهتاف الشيطان، إنه لكم عدو مبين»<sup>(1)</sup>

يحمل الخطاب فخرا ليس مقصودا لذاته، وإنما جاء في سياق الدعوة إلى النصر على العدو، لذلك فضل المتكلم (الحسن بن علي) التعريف بمن يدعو الناس إلى الالتفاف حوله ودعمه في مواجهة خصمه، فهو من أهل البيت، عترة الرسول الكريم، وقد استعمل ضمير المتكلم (نحن) ليشير إلى نفسه وإلى الآخرين الذين يشاركونه فكرة أو رؤية معينة، أي إلى المجتمع الذي ينتمي إليه، والمبادئ والقيم التي يؤمن بها، وهو يقصد هنا -تحديدا- أهل البيت، فقد ذكر فضلهم، وذكر بوجوب طاعتهم.

ويجب التنويه إلى أن استعمال ضمير المتكلم (نحن) في سياق ما قد يقصد به الجمع بين طرفي الخطاب (المتكلم والمخاطب) لأغراض تداولية، كتحقيق مبدأ المشاركة والتعاون، غير أن المتكلم في الخطاب السابق قد أخرج المخاطب من حيز الضمير (نحن)، ولم يجعله مشاركا، ليؤكد على الجماعة التي ينتمي إليها، ويعبر عن وجهة نظرهم المشتركة، وسياق الكلام يثبت ذلك؛ فمرجع الضمير (نحن) هو

1- أحمد زكي صفوت: جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، مطبعة مصطفى الحلبي، ط1، 1923، ج2، ص11.

(حزب الله المفلحون، وعتره الرسول الكريم، وأهل البيت الطاهرون، وأحد الثقلين) وليس المخاطب أياً من هؤلاء.

وقد ورد ضمير المتكلم بصورة أخرى في خطاب الحسن عليه السلام، وهي صورة الضمير المستتر، وذلك في قوله (أحذركم)، فهو هنا يثبت الفعل لنفسه من جهة، ومن جهة ثانية يشحن العبارة بجمولة إنجازية قوية، حيث يجسد فيها الفخر والشجاعة، كما يلمح إلى ما له من سلطة روحية على القوم تستفاد من سياق الخطاب.

وبشكل عام، يساهم ضمير المتكلم بشكل كبير في تداولية الخطاب، إذ يمكن استخدامه للإشارة إلى الذات أو الآخرين أو الجماعة المتحدث عنها، وبذلك يتم توجيه الخطاب بشكل أكثر وضوحاً وتحديدًا، كما أن استخدامه بشكل مناسب يساعد على توضيح الرسالة وزيادة تأثيرها على الجمهور، مما يساهم في تداولية الخطاب.

## 1-2- ضمير المخاطب:

يأتي ضمير المخاطب في مقابل ضمير المتكلم في الخطاب، إذ كل خطاب لا بد أن يقوم على ركيزتين أساسيتين؛ المرسل والمتلقي، ولما كان مبدأ الخطاب هو المرسل (المتكلم) فإن المتلقي (المخاطب) يأتي في درجة أدنى من حيث قوة الحضور، وعلامته في الخطاب (أنت) أو (أنتم) أو (الكاف)، كما أن هذه العلامات قد تستتر ولا تظهر في سطح الخطاب، ويدل عليها السياق.

يساهم ضمير المخاطب في تداولية الخطاب بالعديد من الطرق؛ فهو يعبر عن العلاقة بين المتحدث والمخاطب، ويؤثر على طريقة توجيه الرسالة واستخدام اللغة، فهو يعبر عن الهوية والجنس والعمر والوظيفة والمستوى الاجتماعي للمخاطب، مما يؤثر على طريقة صياغة الخطاب، واختيار الكلمات والعبارات المناسبة له.

كما أنه يساهم في تعزيز التواصل بين المتحدث والمخاطب، وذلك إذا وجه الخطاب بشكل مباشر. وفي هذه الحالة (الخطاب مباشر)، قد يؤثر ضمير المخاطب على درجة التحديد في الخطاب، فعلى سبيل المثال، يمكن استخدام ضمير المخاطب "أنت" لتحديد المخاطب بشكل واضح، بينما يمكن استخدام ضمير المخاطب "أنتم" في الخطاب غير المباشر لتحديد مجموعة من المخاطبين، وذلك لأغراض تداولية.

وقد يساعد ضمير المخاطب في تحديد نوعية الخطاب؛ فاستخدام المتكلم عبارة مثل "سيادتكم" بتوظيف ضمير جماعة المخاطبين، يختلف عن استخدام ضمير المخاطب "أنت"، فالأول خطاب رسمي، أما الثاني فخطاب شخصي.

- يمكن التمثيل لضمير المخاطب بوصية يزيد بن المهلب لابنه مخلد حين استخلفه على جرجان، حيث جاء فيها:

يأبُني، إني قد استخلفتك على هذه البلاد، فانظر هذا الحي من اليمن؛ فكن لهم كما قال الشاعر:

إذا كنت مرتاد الرجال لنفعمهم فرش واصطنع عند الذين بهم ترمي

وانظر هذا الحي من ربيعة؛ فإنهم شيعتك وأنصارك، فاقض حقوقهم، وانظر هذا الحي من تميم؛ فأمطهم، ولا تُزه لهم، ولا تُدُنهم فيطمعوا، ولا تقصهم فيقطعوا، وانظر هذا الحي من قيس؛ فإنهم أكفاء قومك في الجاهلية، ومناصفهم المنابر في الإسلام، ورضاهم منك البشُر.<sup>(1)</sup>

يخاطب يزيد بن المهلب ابنه مخلدا في سياق استخلافه على جرجان، ويرسم له نهج الولاية وطريقة التعامل مع أحياء العرب، حتى يسلم له قومه ويسلم لهم.

1- الجمهرة، ج2، ص 304.

بدأ المتكلم خطابه بالنداء (يا بني) ليبرز من خلاله علاقة الاتصال الاجتماعي بينه وبين المخاطب، وقد استعمل المتكلم ضمير المخاطب المفرد في صورة (الكاف)، نحو قوله: استخلفتك- شيعتك- أنصارك- قومك- منك، وذلك حتى يدفع أي توهم في أن المقصود بالخطاب غيره، فالكاف ضمير مختص بالمخاطب المفرد، ومن خلاله يعرف المخاطب أنه معني مباشرة بالحديث، وأن المتكلم يتحدث إليه مخصوفاً.

كما ورد ضمير المخاطب المفرد في صورة الضمير المستتر الذي يعود مباشرة على المخاطب (الابن)، نحو قوله: انظر-كن- اقض- أمطرهم- لا تُزّه- لا تُدنهم- لا تقصهم. وهذا الاستعمال يبرز علاقة مباشرة بين المتكلم والمخاطب، مما يعزز تفاعل المخاطب مع الخطاب، ويزيد من فهمه للمعنى الذي يحمله الكلام.

- ومن الصور الأخرى التي يظهر بها ضمير المخاطب (واو الجماعة) أو (كم) الدالة على الجماعة، ويمكن التمثيل لها بخطبة الحسن بن علي عليه السلام إذ سأله معاوية رضي الله عنه أن يخاطب في الناس، فقال:

«...والحمد لله أكرم بنا مؤمنكم، وأخرج من الشرك أولكم، وحقن دماء آخركم، فبلاؤنا عندكم قديماً وحديثاً أحسن البلاء، إن شكرتم أو كفرتم. أيها الناس: إن رب علي كان أعلم بعلي حين قبضه إليه، ولقد اختصه بفضل لم تعتدوا مثله، ولم تجدوا مثل سابقته، فهيهات هيهات، طالما قلبتم له الأمور حتى أعلاه الله عليكم، وهو صاحبكم وعدوكم في بدر وأخواتها، جرّعكم رنقا، وسقاكم علقا، وأذل رقابكم، وأشرقكم بريقكم، فلستم بملومين على بغضه.»<sup>(1)</sup>

قال الحسن هذه الخطبة بناء على طلب معاوية، وقد كانت بعد توقيع الصلح بينهما، والتنازل عن الخلافة لصالح معاوية، لكن الحسن فاجأهم بما لم يتوقعوا؛ إذ حول الخطبة إلى رثاء لأبيه الشهيد

1- الجمهرة، ج2، ص 6.

علي عليه السلام، كما استغلها ليشن هجوما واضحا على بني أمية، فإن كانت الخلافة قد آلت إليهم بصلح، فذلك على غير رضا من الحسن وأتباعه.

استعمل المتكلم ضمير المخاطب الدال على الجماعة في صورة (كم)، نحو قوله: مؤمنكم- أولكم- آخركم - عندكم- صاحبكم- عدوكم...، كما استعمله في صورة (الواو مع الفعل المضارع)، نحو قوله: لم تعتدوا - لم تجدوا. غير أن المتأمل في السياق يجد أن مرجع الضمائر ليس واحدا، وإن كان في ظاهره يعود على جماعة المتلقين.

لقد خاطب الحسن في البداية جماعة المسلمين، يستوي في ذلك الحضور جميعهم: مؤمنكم- أولكم- آخركم - عندكم. ثم يختص من جماعة المسلمين بني أمية الذين آلت إليهم الخلافة: لم تعتدوا - لم تجدوا - صاحبكم - عدوكم - جرعكم - سقاكم - لستم...

إن استخدام ضمائر المخاطب بشكل صحيح ومناسب، يتيح للمتكلم تعزيز العلاقة الاجتماعية مع المخاطب وإقناعه بالفكرة أو الرأي الذي يتحدث عنه، وبالتالي يساعد ذلك في تحقيق الأهداف التي يسعى إليها المتكلم.

### 1-3- ضمير الغائب:

لئن كان ضميرا المتكلم والمخاطب يفسرهما المقام والمشاهدة، فإن ضمير الغائب ليس كذلك، باعتبار الضمير الذي يشير إلى شخص أو شيء غير موجود في الوقت الحالي في محادثة أو خطاب، ولذلك فهو يحتاج إلى مفسر يعود عليه، وعلامة هذا الضمير (هاء) و(هو) ونحوهما.

يمكن استخدام ضمير الغائب لتمثيل شخصية مفقودة، أو للتعبير عن فكرة أو مفهوم غير ملموس، لذلك فهو يعزز التفاعل بين المتكلم والمخاطب، حيث يحفز المخاطب على التفاعل مع المتكلم، والمشاركة في الحوار من خلال البحث عن الشخص أو الشيء الذي يشير إليه الضمير، كما أنه



يخلق تواطؤاً مع المستمع؛ حيث يتوقع المتكلم أن يفهم المخاطب معنى الضمير ويتفاعل معه بشكل مشترك.

يستعمل ضمير الغائب في الخطاب بصور مختلفة، ويمكن التمثيل له بخطبة زياد بن أبيه لما كتب إليه معاوية يتهدده، حيث قال:

« العجب من ابن آكلة الأكباد، وقاتلة أسد الله، ومظهر الخلاف، ومسرّ النفاق، ورئيس الأحزاب، ومن أنفق ماله في إطفاء نور الله، كتب إلي يرعد ويبرق عن سحابة جفيل لا ماء فيها، وعمّا قليل تصيرها الرياح قزعا، والذي يدلني على ضعفه تهدده قبل القدرة، أفمن إشفاق علي تُنذر وتُعذر؟ كلا، ولكن ذهب إلى غير مذهب، وقعق لمن روي بين صواعق تهامة، كيف أرهبه وبينه وبينه ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله، وابن ابن عمه في مائة ألف من المهاجرين والأنصار؟ والله لو أذن لي فيه أو ندبني إليه، لأرينه الكواكب نهارة، ولأسعطنه ماء الخردل دونه، الكلام اليوم، والجمع غداً، والمشورة بعد ذلك إن شاء الله»<sup>(1)</sup>

بدأ المتكلم الخطاب بذكر الشخص المتحدث عنه، لكن لم يذكره صراحة، وإنما كدّى عنه ببعض صفاته، انتقاصاً منه وتسفيهاً له، ثم عمد إلى الإضمار بعدما عرف أن المخاطب يعرف من يقصد، فاستعمل ضمير الغائب في صورة الضمير المستتر مع الفعل، نحو قوله: ( أنفق - يرعد - يبرق - ذهب - قعقع )، كما استعمله في صورة الضمير المتصل (الهاء)، نحو قوله: ( ماله - ضعفه - تهدده - أرهبه - فيه - إليه - أرينه - أسعطنه - دونه )، والسياق اللغوي يسمح بترجمة هذا الضمير إذ يعود على المتحدث عنه (هو معاوية المكدّى عنه بصفاته في بداية الخطاب)، وقد ساهم استخدام ضمير الغائب في تداولية الخطاب من خلال عدم الإشارة بشكل مباشر إلى الشخص المعني، وبهذه الطريقة، تمكن المتكلم من التواصل بشكل أكثر فعالية، وإيصال رسالته بشكل أفضل إلى الجمهور.

<sup>1</sup> - الجمهرة، ج2، ص 253 - 254.

وبشكل عام، يساعد استخدام ضمير الغائب في تداولية الخطاب عندما يتم استخدامه بشكل صحيح ومناسب، وذلك لأنه يمكن استخدامه لتحسين التركيز والانتباه على الفكرة الرئيسية المطروحة في الخطاب، وتوضيح المعاني المختلفة المراد إيصالها.

## 2- الإشارات الزمنية:

هي كلمات تستند إلى السياق لتحديد دلالتها الزمانية، ويعد زمان التّكلم مركز الإشارة الزمانية، فإذا لم يُعرف هذا المركز التبس الأمر على السامع أو القارئ.<sup>(1)</sup> لذلك تعتبر لحظة التلّفظ هي المرجع من أجل تأويل الخطاب تأويلاً صحيحاً، فلو قال المتكلم: سنلتقي بعد ساعة، فلا يمكن تحديد موعد اللّقاء إلّا بعد تحديد زمن التّلفظ بدقة، فقد يكون بعد دقيقة، كما قد يكون بعد ساعة، وعليه فالعبارة لا تقدم مرجعاً زمانياً مضبوطاً.

تسهم الإشارات الزمنية في التلميح بتقديم معلومات أو إشارات غير مباشرة بشأن الزمن أو الفترة التي يتم التحدث عنها، فهي تعطي تلميحات حول الوقت أو الفترة التي يحدث فيها الحدث.

وتؤدي الإشارات الزمنية دوراً هاماً في تسليط الضوء على التسلسل الزمني للأحداث، وتساعد في فهم ترتيبها وتطورها. قد تكون هذه الإشارات في شكل كلمات مثل "أولاً" و"ثانياً" و"في النهاية"، أو عبارات مثل "بعد ذلك" و"في السنة التالية" و"منذ فترة طويلة" وما إلى ذلك.

جاء مثلاً في خطبة أبي العباس السفاح وقد بويع بالخلافة:

« وزعمت السبئية الضلال أن غيرنا أحق بالرياسة والخلافة منا، فشاهت وجوههم! بم ولم أيها الناس؟ وبنا هدى الله الناس بعد ضلالتهم،... فتح الله ذلك منة ومنحة لمحمد صلى الله عليه وسلم، فلما قبضه الله إليه قام بذلك الأمر من بعد أصحابه، وأمرهم شورى بينهم، فحووا مواريث الأمم، فعدلوا فيها ووضعوها مواضعها، أعطوها أهلها، وخرجوا خماصاً منها، ثم وثب بنو حرب

1- انظر: محمود أحمد نخلة: آفاق جديدة في الدرس اللغوي المعاصر، ص 19.

ومروان فابتزوها وتداولوها بينهم، فجاروا فيها، واستأثروا بها، وظلموا أهلها، فأملى الله لهم حيناً حتى آسفوه، فلما آسفوه انتقم منهم بأيدينا، ورد علينا حقنا، وتدارك بنا أمتنا، وولي نصرنا والقيام بأمرنا، ليمن بنا على الذين استضعفوا في الأرض، وختم بنا كما افتتح بنا، وإني لأرجو ألا يأتيكم الجور من حيث أتاكم الخير، ولا الفساد من حيث جاءكم الصلاح، وما توفيقنا أهل البيت إلا بالله.»<sup>(1)</sup>

أراد المتكلم في هذا الخطاب أن يثبت حقهم في الخلافة، فسرد على المخاطبين تطور الأحداث مذ كان الحكم في يد النبي ﷺ، وكيف آل إلى أصحابه فعدلوا فيه، وكيف استولى بنو أمية على الحكم وجاروا فيه، إلى أن استرد بنو العباس الحكم.

وبما أن السرد هو نقل الأحداث في ترتيب وانتظام، فكان لزاماً على المتكلم توظيف الإشارات الزمنية التي تتيح له ترتيب الأحداث، فاستعمل (لما) الظرفية ليفسر انتقال الحكم من النبي ﷺ إلى أصحابه ( فلما قبضه الله إليه قام بذلك الأمر من بعد أصحابه)، ثم استعمل (الفاء) الدالة على الترتيب والتعقيب ( فحووا - فعدلوا) ليشير إلى أن عدلهم كان ملازماً لحكمهم، وبعد ذلك استعمل (ثم)، وهي رابط زمني يفيد الترتيب والتراخي، وذلك ليشير إلى أن انتقال الحكم كان بعد فترة طويلة نسبياً (ثم وثب بنو حرب)، ثم استعمل (الفاء) الدالة على الترتيب والتعقيب مرة أخرى للتعبير عن جورهم وأنه كان ملازماً لحكمهم.

وهكذا، فإن الإشارات الزمنية تساعد المخاطب على فهم التسلسل الزمني للأحداث، وتجعله متابعا جيداً للخطاب.

يمكن للكاتب أو المتكلم أيضاً باستخدام الإشارات الزمنية أن يوجه الاهتمام إلى الجزء الزمني المناسب من الخطاب، ومن ثم يساعد على بناء التوتر والتشويق في خطابه، كما يمكنها أيضاً تحديد

<sup>1</sup> - الجمهرة، ج3، ص 2 - 3.

تغيرات الزمن والتطورات الهامة التي يجب على القارئ أو المخاطب متابعتها. على سبيل المثال، إذا قرأت جملة تقول: "بعد عشر سنوات، عادت سارة إلى المدينة التي نشأت فيها"، يمكنك أن تستنتج أن هناك تغيراً زمنياً وأن القصة ستتركز على الأحداث التي تحدث بعد عشر سنوات من الغياب.

بهذه الطريقة، تساهم الإشارات الزمنية في توجيه القارئ أو المخاطب، وتزوده بمعلومات هامة لفهم ترتيب الأحداث وتطورها.

وتساهم الإشارات الزمنية في التلميح عن طريق إثارة تساؤلات الجمهور، وتركهم يتساءلون عما سيحدث في المستقبل، فهي تستخدم لإنشاء توتر وتشويق في الخطاب، ولجذب انتباه الجمهور ومنحهم دافعاً للبقاء متابعين. ومن جهته، يمكن للجمهور أن يحاولوا توقع ما سيحدث بناءً على تلك الإشارات، وقد يستمتعون بالمتابعة لمعرفة ما إذا كانت توقعاتهم صحيحة أم لا.

قال شريح بن هانئ يوصي أبا موسى: [وافر]

«أبا موسى رميت بشر خصم فلا تضع العراق فدتك نفسي»

وأعط الحق شامهم وخذه فإن اليوم في مهل كأمس

وإن غداً يجيء بما عليه كذاك الدهر من سعد ونحس

ولا يخذعك عمرو، إن عمراً عدو الله مطلع كل شمس

له خدع يحار العقل منها مموهة مزخرفة بلبس

فلا تجعل معاوية بن حرب كشيخ في الحوادث غير نكس

هداه الله للإسلام فردا سوى عرس النبي، وأي عرس؟<sup>(1)</sup>

1- الجمهرة، ج1، ص 209 - 210.

فقد وظف الشاعر بعض الظروف الدالة على الزمن والتي تعدها أوركيوني من المبهمات الزمنية<sup>(1)</sup>، ذلك أنها لا تخص لحظة زمنية يمكن تحديدها بدقة، وقد استعملها الشاعر في شكل تقابلات (أمس - اليوم - غدا)، وجعل من لحظة تلفظه فاصلا بين زمنين (أمس - غدا)، وقد أشار بـ (اليوم) إلى اللحظة التي يلتقي فيها أبو موسى بعمرو، وما سيترتب على هذا اللقاء. كما ساهمت هذه الإشارات الزمنية في إثارة الجمهور وجعله يتساءل: ما الذي يحمله الغد من مفاجآت؟

وبهذه الطريقة، تساهم الإشارات الزمنية في تعزيز التجربة بإثارة التوقعات وتشويق الجمهور، مما يجعل الخطاب أكثر إثارة وإشراقاً.

### 3- الإشارات المكانية:

يتم الاتصال في زمان ومكان محددين، وكما كان زمان التلفظ مركزا للإشارة الزمانية، فإن مكان التلفظ يعد كذلك مركزا للإشارة المكانية، ولذلك يستعمل المتكلم بعض العناصر الإشارية التي تدل على المكان نحو: هنا، هناك، وسائر ظروف المكان: أمام، خلف، يمين، يسار...

وهي كلمات أو عبارات تشير إلى المكان أو الفضاء أثناء التكلم، أو تدل على مكان آخر معروف للمخاطب، وتلعب دوراً مهماً في تأويل الخطاب وفهمه. وهناك علاقة بين اختيار المكان والعناصر التي تشير إليه، كما لا يمكن تفسير الإشارات المكانية إلا إذا تم الوقوف على المشار إليه بالقياس إلى مكان المتكلم وموقعه.<sup>(2)</sup> وقد يؤدي غياب الدقة في استعمال إشارات المكان إلى اللبس، لذلك وجب معرفة مكان التلفظ واتجاه المتكلم أيضاً، ومنه فإن المتكلم يعتمد إلى افتراض موقع المرجع وموقع المخاطب.<sup>(3)</sup>

1- ذهبية سمو الحاج: لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب، دار الأمل، تيزي وزو، ط2، ص 117.

2- ينظر: محمود أحمد نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص21.

3- انظر: الشهري: إستراتيجيات الخطاب، ص85.

تساعد الإشارات المكانية على تحديد الموقع، أو الإشارة إلى أشياء محددة في الفضاء، فعلى سبيل المثال، عبارة "أضعت محفظتي هناك" تشير إلى مكان معين في الفضاء، وتعطي دلالة على وجود شيء محدد في ذلك المكان.

كما تساعد بعض ظروف المكان نحو: "فوق"، "تحت"، "بجوار"، "داخل"، "خارج" وغيرها في تحديد العلاقات المكانية بين الأشياء؛ فعلى سبيل المثال، عبارة "الكتاب فوق الطاولة" توضح أن الكتاب موجود فوق سطح الطاولة.

وقد يستعمل المتكلم الأسماء المكانية مثل: المدن، الدول، الشوارع، المباني وغيرها، وذلك لتحديد الإشارة إلى أماكن محددة، وتوضيح الموقع الذي يتم الحديث عنه.

من النماذج التي يظهر فيها استعمال الإشارات المكانية خطاب إبراهيم بن المهدي يستعطف المأمون، حيث قال:

« على رُسلك يا أمير المؤمنين، ولِي الثَّارِ محكم في القصاص، والعفو أقرب للتقوى، ومن مُدَّ له الاغترار في الأمل، هجمت به الأناة على التلف، وقد أصبح ذنبي فوق كل ذنب، كما أن عفوك فوق كل عفو، فإن تعاقب فبحقك، وإن تعف فبفضلك. »<sup>(1)</sup>

استعمل المتكلم في خطابه ظرف المكان (فوق)، لكنه استعمله بشكل مجازي ليثري الخطاب بمستوى إضافي من المعنى، كما أنه استعمله بشكل متناقض؛ ف (فوق) الأولى مناقضة ل (فوق) الثانية، وذلك للإشارة إلى تباين الموقفين واختلافهما، فالمتكلم مذنب، وذنبه (فوق كل ذنب)، أي تجاوز في الحد كل ذنب، كما أن المأمون عفو، وعفوه تجاوز في الحد كل عفو، لذلك اختار المتكلم هذا الظرف لإبراز الاختلافات والتناقضات، وتوجيه الانتباه إلى تباين المفاهيم المكانية.

ومن نماذج استعمال الإشارات المكانية أيضا خطاب الأشر النخعي (وهو من أصحاب علي) في المنهزمين من الميمنة، حيث قال:

«...والذي نفس مالك بيده، ما من هؤلاء - وأشار بيده إلى أهل الشام - رجل علي مثال جناح بعوضة من محمد صلى الله عليه وسلم، أنتم ما أحسنتم القراع، اجلوا سواد وجهي، يرجع في وجهي دمي، عليكم بهذا السواد الأعظم، فإن الله عز وجل لو قد فضّه، تبعه من بجانيه كما يتبع مؤخّر السيل مقدّمه»<sup>(1)</sup>

نصح المتكلم أصحابه بضرب الكتلة الأكبر من جيش الخصم، فإذا انهزم تبعه جانباه، الميمنة والميسرة، كما يتبع مؤخّر السيل مقدّمه. وقد استعمل المتكلم في خطابه هذا الإشارات المكانية الآتية (بجانيه - مؤخّر - مقدّم)، وقد أدت هذه الإشارات المكانية دوراً هاماً في تأويل الخطاب، لأنها ساعدت في بناء الصورة العقلية للمكان، ووضحت العلاقات المكانية بين الأشياء (قلب الجيش / جانبي الجيش)، (مؤخّر السيل / مقدّم السيل). كما ساعدت هذه الإشارات في تكوين فهم أفضل لمضمون الخطاب من خلال فهم الوصف المكاني للمكان المحدد الذي يتم الحديث عنه.

من المهم التنبيه إلى أن فهم الإشارات المكانية يعتمد أيضاً على السياق الثقافي واللغوي؛ فقد تكون هناك رموز ومعان محددة للإشارات المكانية في ثقافة معينة، وقد يتطلب فهمها المعرفة بالعادات والتقاليد المحلية.

#### 4- أسماء الإشارة:

هي أسماء يشار بها إلى المسمى، وهي: « "ذا" للمذكر، و"ذانه" في الرفع، و"ذنين" في النصب والجر، ويجيء "ذان" فيهما في بعض اللغات... و"تا"، و"تي"، و"تاه" و"ته" بالوصل، وبالسكون، و"ذي"

1- الجمهرة، ج1، ص 184.

للمؤنث، ولمشناه "تان"، و"آين"، ولم يشن من لغاته إلا "تا" وحدها. ولجمعهما جميعا "أولاء" بالقصر، والمد مستويا في ذلك أولوا العقل وغيرهم.»<sup>(1)</sup>

وهذه الأسماء من المبهمات، لأنها تشير إلى كل ما هو حاضر (عاقل وغير عاقل)، لذلك تفتقر إلى الإشارة الحسية؛ أي أنك إذا أردت الإشارة إلى مسمى أو مأت إليه بجارحة أو ما ينوب عنها، لذلك كان «الأصل ألا يشار بأسماء الإشارة إلا إلى مشاهد محسوس، قريب أو بعيد، فإن أشير بها إلى محسوس غير مشاهد، نحو: ﴿تِلْكَ الْجَنَّةُ...﴾ [مریم] فتصيره كالمشاهد، وكذلك إن أشير بها إلى ما يستحيل إحساسه ومشاهدته، نحو: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ...﴾ [يونس] ما يستحيل إحساسه ومشاهدته، نحو: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ...﴾ [يونس] و: ﴿ذَلِكُمْ مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي...﴾ [يوسف]»<sup>(2)</sup>

وهذه الأسماء يلحقها حرف الخطاب، ويتصرف مع المخاطب في أحواله من التذكير والتأنيث والثنية والجمع، قال الله تعالى: ﴿كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ...﴾ [مریم]، وقال: ﴿ذَلِكُمْ مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي...﴾ [يوسف]، وقال: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ...﴾ [الأنعام]، وقال: ﴿فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنِنِي فِيهِ...﴾ [يوسف]، فالمتكلم يراعي حال المخاطب، ثم يستعمل اسم الإشارة المناسب، ويلحق به الكاف تبعا لنوع المخاطب وعدده.

كما قد تزداد اللام لتدل على المسافة بين المتكلم والمشار إليه، فـ "ذا" للقريب، و"ذاك" للمتوسط، و"ذلك"/"تلك" للبعيد... كما تدخل هاء التنبيه على أوائلها.<sup>(3)</sup>

1- ابن يعيش: شرح المفصل، ج2، ص 351.

2- الرضي الإسترابادي: شرح الكافية، ج2، ص 472.

3- انظر: ابن يعيش: شرح المفصل، ج2، ص 365-366.



تعد أسماء الإشارة من أهم العناصر في اللغة العربية التي تعزز الاتصال، وتحقق التواصل الفعال بين المتحدثين، وتتنوع هذه الأسماء وفقاً للغرض من الإشارة، والعلاقة بين المتحدث والمستمع، وبما أنها من المبهمات، فهذا يعني أن المخاطب يحتاج إلى فهم العلاقة بين هذه الإشارات والأشخاص أو الأشياء المشار إليها. وهذا يحيلنا إلى طرح السؤال الآتي:

### كيف يؤول المخاطب أسماء الإشارة؟

عندما يوظف المتكلم في خطابه أسماء الإشارة فإن المخاطب عليه أن ينتبه إلى بعض النقاط المهمة حتى يؤول الخطاب تأويلاً صحيحاً، لأن الفهم الخاطئ لأسماء الإشارة، أو عدم القدرة على ربطها بمراجعها، قد يؤدي إلى الإرباك وعدم فهم المعنى الحقيقي للخطاب، ومن هذه النقاط:

**السياق:** حيث إن السياق اللغوي للخطاب يلعب دوراً مهماً في تحديد الشيء الذي يشير إليه اسم الإشارة بالضبط. وليس السياق اللغوي فحسب، بل حتى سياق الحال، والظروف المحيطة بالخطاب وملايساته، كل ذلك يعين على التأويل الصحيح لاسم الإشارة.

**المعرفة المشتركة:** يعتمد تأويل أسماء الإشارة على المعرفة المشتركة بين المتكلم والمخاطب، فقد يكون هناك تاريخ أو سياق سابق يساعد في تحديد الشيء الذي يشير إليه الاسم.

**تصاعد المعلومات:** في بعض الأحيان، قد تتوارد المعلومات تدريجياً في الخطاب، وذلك عندما تطول الجملة وتتعدد المراجع، لذلك يجب الانتباه إلى تصاعد المعلومات، وبالتالي، يجب تحديث تأويل الأسماء الإشارية مع تقدم السياق.

يمكن أن نمثل لما سبق بمقال عدي بن حاتم لأصحابه:

« أنا ابن حاتم، سبحان الله! ما أقبح هذا المقام! لا تجيئون إمامكم، وابن بنت نبيكم! أين خطباء مضر الذين ألسنتهم كالمخاريق في الدّعة، فإذا جَدَّ الجِدُّ فَرَوَّغُونَ كالثعالب، أما تخافون مقت الله! ولا عيبَ بها وعارها.»<sup>(1)</sup>

لا يوجد في خطاب عدي بن حاتم أية قرينة لغوية تمكن المخاطب من تأويل اسم الإشارة (هذا)، كما أن الإشارة الحسية هنا لا تسعفه، لأن المشار إليه شيء معنوي، ولذلك لا يمكن التأويل هنا إلا بعد ربط الخطاب بسياقه؛ فقد سبق خطاب عدي بن حاتم خطاب الحسن بن علي في الحث على الجهاد، ولما رأى عدي سكوت القوم وخذلانهم الحسن بن علي، أخذ في تقريرهم بقوله: (ما أقبح هذا المقام!)، ومنه، فالسياق يفسر اسم الإشارة الذي يشير إلى موقف القوم من الحسن، والمخاطبون يعرفون قصد المتكلم جيدا.

قد يطرح سؤال آخر هنا هو: لماذا يلجأ المتكلم إلى الإشارة بدل التصريح بالمشار إليه مباشرة؟

لا شك في أن أسماء الإشارة تؤثر على تنظيم الخطاب، فعند استخدامها بدلاً من تكرار الأسماء الكاملة، فإن ذلك يساهم في توفير الوقت والمساحة في الخطاب. فاسم الإشارة بديل عن المشار إليه، وتظهر الحاجة الماسة إليه إذا عرفنا أنه لا يمكن استحضار المشار إليه دائماً في الخطاب، لأنه (أي المشار إليه) كما يكون مسمى واحداً، قد يكون خطاباً كاملاً، كما قد يكون فكرة أو موقفاً ما. وبالتالي، فاستخدام أسماء الإشارة يساعد على الحفاظ على تدفق سلس ومنظم للخطاب.

جاء في إحدى خطب عمر بن عبد العزيز لما تولى الخلافة: «أيها الناس: إنني قد ابتليت بهذا الأمر عن غير رأي كان مني فيه، ولا طلبه له، ولا مشورة من المسلمين، وإنني قد خلعت ما في أعناقكم من بيعتي، فاختراروا لأنفسكم»<sup>(1)</sup>

1- الجمهرة، ج2، ص3.

وظف المتكلم اسم الإشارة (هذا) بدل أن يصرح بلفظ الخلافة، ولم يكن هناك أي مانع يمنعه من استحضار المشار إليه، إلا أنه لم يصح لغرض معنوي هو استحغار المنصب، وعدم الرغبة فيه. بالإضافة إلى ذلك، فإن استخدام المتكلم أسماء الإشارة يمكن أن يكون بدافع الغموض والتشويق في بعض الأحيان، إذ يعتمد المتكلم على توليد الإثارة والفضول لدى المخاطب الذي عليه أن يوظف كل ملكاته لتأويل اسم الإشارة، والوصول إلى قصد المتكلم، مما يعزز فكرة المشاركة في الخطاب، وهذا يجعل من أسماء الإشارة أدوات لغوية حاسمة للتواصل بفعالية.

ولتوضيح فكرة الإثارة نورد الخطاب الآتي:

رد ابن عباس على مروان بن الحكم فقال:

«وإنك لتقول ذلك يا عدو الله، وطريد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والمباح دمه، والداخل بين عثمان ورعيته بما حملهم على قطع أوداجه، وركوب أثباجه، أما والله لو طلب معاوية ثأره لأخذك به، ولو نظر في أمر عثمان لوجدك أوله وآخره، وأما قولك لي: إنك لتصرف بنا بك، وتوري نارك، فسل معاوية وعمراً يخبرك ليلة الهير كيف ثبنا للمثلات، واستخفنا بالمعضلات، وصدق جلدنا عند المصاولة، وصبرنا على اللأواء والمطاولة، ومصافحتنا بجباهنا السيوف المرهفة، ومباشرتنا بنحورنا حد الأسنة، هل خمننا عن كرائم تلك المواقف؟ أم لم نبذل مهجنا للمتالف؟ وليس لك إذ ذاك فيها مقام محمود، ولا يوم مشهود، ولا أثر معدود، وإنهما شهدا ما لو شهدت لأقلقك، فاربع على ظلعك، ولا تتعرض لما ليس لك، فإنك كالمغروز في صغد، لا يهبط برجل، ولا يرقأ بيد»<sup>(2)</sup>

1- الجمهرة، ج2، ص 190.

2- نفسه، ص 95-96.

جاء هذا الخطاب من ابن عباس في سياق الرد على مروان بن الحكم لما عيّر بحضور معاوية وأصحابه، والشاهد في الخطاب استعماله اسم الإشارة (ذلك) و(تلك).

ف (ذلك) يحيل إلى كلام مروان بن الحكم الذي يسيء فيه لابن عباس، وعلى المخاطب وهو يسمع اسم الإشارة أن يتذكر ما يحيل عليه من كلام سابق حتى يستطيع الربط بين الخطابين.

أما (تلك) فيحيل على كلام متقدم في الخطاب نفسه، فالمواقف التي أشار إليها هي: (بثأتنا... واستخفافنا... وصدّق جلادنا... وصبرنا... ومصافحتنا... ومباشرتنا...) وعلى المخاطب أن يتذكر كل تلك المواقف حتى يؤول اسم الإشارة تأويلاً صحيحاً، ويبنى صورة أفضل لها في ذهنه.

من المهم التنبيه على أن المتكلم لا يلتزم دائماً بترتيب أسماء الإشارة وفقاً لبعدها المشار إليه أو قربه؛ فقد يشير إلى القريب ب (ذاك)، كما قد يشير إلى البعيد ب (هذا)، يقول سيبويه: « و(ذاك) بمنزلة (هذا)، إلا أنك إذا قلت (ذاك) فأنت تنبئه لشيء مترأخ. (وهؤلاء) بمنزلة (هذا)، و(أولئك) بمنزلة (ذاك)، و(تلك) بمنزلة (ذاك)»<sup>(1)</sup> واستعمال أسماء الإشارة بهذا الشكل يكون لغرض معين، كالتعظيم والاحتقار وغيرها.

### المطلب الثاني: التقديم والتأخير

تتألف أي جملة - اسمية أو فعلية - من مجموع مفردات تتألف فيما بينها حسب قواعد لغوية محددة لتؤدي معنى معيناً. والترتيب الأصلي لعناصر الجملة في اللغة العربية يكون كالاتي:

- الجملة الاسمية: مبتدأ + خبر.

- الجملة الفعلية: فعل + فاعل ± مفعول به.

1- سيبويه: الكتاب، ج2، ص 78.

إن ترتيب عناصر الجملة مرجعه إلى المتكلم، إذ هو منشئ الخطاب، وهو من يروم القصد الذي يريد أن يوصله إلى المخاطب، لذلك يختار ألفاظه وعباراته، كما يختار الترتيب الذي يناسبه، ويتصرف فيه فيقدم بعض أجزاء التركيب على بعض بما يتلاءم مع نفسيته وحالته.

ويجب التنويه إلى أن قصد المتكلم هو الذي يفرض عليه ترتيباً دون آخر، لذلك كان أي تغيير في النظام التركيبي للجملة بتقديم عنصر على آخر يترتب عليه بالضرورة تغيير في الدلالة. ولقد فصل النحاة والبلاغيون في بيان أوجه اختلاف الدلالات باختلاف التراكيب بالتقديم والتأخير، واجتهدوا في بيان الفروق الدقيقة بينها.<sup>(1)</sup> أما عن أوجه التقديم فنحو: تقديم الخبر على المبتدأ، تقديم خبر الناسخ على اسمه، تقديم المفعول به، تقديم الظرف وغيرها من الوجود، وأما عن أغراض التقديم فهي كثيرة، نحو: التخصيص، التشويق، الاهتمام والعناية، ضرورة الشعر، رعاية الفاصلة وغيرها من الأغراض.

والتقديم نوعان؛ واجب وجائز، لذلك وجب لفت الانتباه إلى أن فكرة التلميح التي يعالجها البحث إنما تتعلق بالتقديم الجائز، ذلك أن الواجب يكون فيه المتكلم غير مخير، فهو ملتزم بقواعد النظام اللغوي التي لا تتيح له التصرف في ترتيب عناصر الجملة، أما التقديم الجائز فالتكلم له فيه الخيار، إن شاء قدم، وإن شاء أخر، وكل ذلك راجع إلى داع بلاغي مقصود كما سبق.

ويمكن التمثيل لهذه الفكرة كما يلي:

- شجعتني العائلة على النجاح.

- دخل البيت عليّ.

إن المتكلم في المثال الأول قدم المفعول به على الفاعل، وهو في ذلك غير مخير، لأن قواعد النحو تفرض تقديم المفعول به إذا جاء ضميراً متصلًا بالفعل والفاعل ظاهر. أما في المثال الثاني فالأمر مختلف؛

<sup>1</sup> - انظر مثلاً: العلوي: الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الأعجاز، مطبعة المقتطف، مصر، دط، 1914، ج2، ص 65 وما بعدها. وانظر

أيضاً: سيبويه: الكتاب، ج1، ص 34، ص 45، ص 81.

إذ إن المتكلم قدم المفعول به على الفاعل مع أن قواعد النحو تجيز له أن يؤخره، غير أنه قدمه لغرض يستفاد من السياق، وهذه الأغراض هي ما يدخل في باب التلميح.

يحمل الخطاب العربي القديم - ممثلاً في خطب العرب - بصور كثيرة لتقديم بعض عناصر الجملة على بعضها الآخر، منها:

### 1- تقديم الجار والمجرور:

طلب عثمان بن عفان من عبد الله بن الزبير أن يخبر الناس بفتح إفريقية، فقال:

« الحمد لله الذي ألف بين قلوبنا... انتخب محمداً صلى الله عليه وسلم، فاختره بعلمه، وأتمنه على وحيه، واختار له من الناس أعواناً، قذف في قلوبهم تصديقه ومحبته، ...»<sup>(1)</sup>

الشاهد في الخطاب قوله ( واختار له من الناس أعواناً )، حيث يلاحظ أن الجملة فعلية، والأصل في ترتيب عناصرها أن يأتي الفعل ثم يليه الفاعل ثم المفعول به، فتكون الجملة (واختار أعواناً له من الناس)، غير أن المتكلم قدم شبه الجملة من الجار والمجرور (له) على المفعول به، والضمير فيها يعود على النبي ﷺ، والغرض هنا هو الاختصاص، أي أن النبي ﷺ مختص بهذا الاختيار، وهو له دون سواه، كما أن المتكلم قدم شبه الجملة من الجار والمجرور (من الناس) على المفعول به أيضاً وذلك للغرض نفسه، فالأعوان هم من الناس لا من غيرهم، ذلك أن الله تعالى قد يؤيد النبي ﷺ بأعوان من غير الناس، كما حدث مثلاً في غزوة بدر أو غزوة الخندق.

### 2- تقديم الخبر:

خطب الحجاج في الناس يوم أصيب بابنه محمد وأخيه محمد في يوم واحد فقال:

1-الجمهرة، ج1، ص 121.

« أيها الناس: محمدان في يوم واحد! أما والله ما كنت أحب أنهما معي في الحياة الدنيا، لما أرجو من ثواب الله لهما في الآخرة، وأيم الله ليوشكن الباقي مني ومنكم أن يفنى، والجديد أن يبلى، والحي مني ومنكم أن يموت، وأن تدال الأرض منا كما أدلنا منها؛ فتأكل من لحومنا، وتشرب من دمائنا، كما مشينا على ظهرها، وأكلنا من ثمارها، وشربنا من مائها، ثم نكون كما قال الله تعالى: ﴿وَنُفِّخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَسْلُونَ﴾، ثم تمثل بهذين البيتين: [ طويل ]

عزائي نبيُّ الله من كل ميت وحسبي ثواب الله من كل هالك

إذا ما لقيت الله عني راضيا فإن سرور النفس فيما هنالك»<sup>(1)</sup>

الشاهد في الخطاب قول الشاعر (عزائي نبيُّ الله)، وهو قد قدم العنصر الأول على الثاني وجوبا للضرورة الشعرية. لكننا سنحلل الجملة وننظر في التقديم والتأخير فيها بعيدا عن هذه الضرورة.

جاءت الجملة السابقة اسمية، وهي مكونة من عنصرين؛ مبتدأ وخبر، وكلاهما جاء في صورة المركب الإضافي، ويبدو للوهلة الأولى أنهما متساويان في درجة التعريف، وهذا التساوي يوجب تقديم المبتدأ<sup>(2)</sup>، أي أن العنصر الأول هو المبتدأ. لكن المتأمل فيها - بالنظر إلى قصد المتكلم - يرى أن المركب الإضافي ( نبيُّ الله ) يعود على النبي ﷺ، وبالتالي فهو أقوى من حيث درجة التعريف. ومن جهة أخرى، المركب الإضافي ( عزائي ) يمثل إسنادا إلى ( نبي الله )، ومنه يكون العنصر الأول هو الخبر والثاني هو المبتدأ، أي أنه حدث تقديم وتأخير بين ركني الجملة، وبما أنه قد تعينت رتبة كل عنصر فللمتكلم الخيار في التقديم أو التأخير.

1- الجمهرة، ج2، ص 285 - 286.

2- انظر: عبده الراجحي: التطبيق النحوي، ص 107.

سياق الخطاب سياق حزن ولوعة نظراً لموت القريب، وقد قدم الشاعر الخبر ليدفع إنكار من ينكر ذلك، كما أنه يفيد وصفه بأنه مختص بهذه الصفة تحديداً، وإنما ذكر صفة العزاء تماشياً مع سياق الخطاب (التعزية)، فلئن كان فقد ابنه وأحاه، فقد فقد قبل ذلك رسول الله ﷺ، وأعظم به من فقد!

### 3- تقديم خبر الناسخ:

رثت السيدة عائشة أباهما أبا بكر فقالت:

« نضر الله وجهك يا أبت، وشكر لك صالح سعيك، فلقد كنت للدنيا مذلاً بإدبارك عنها، وللآخرة معزاً بإقبالك عليها، ولئن كان أجلّ الحوادث بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم رزؤك، وأعظم المصائب بعده فقدك...»<sup>(1)</sup>

الشاهد في الخطاب قول السيدة عائشة (كان أجلّ الحوادث ... رزؤك، وأعظم المصائب بعده فقدك).

فأصل ترتيب الجملة الاسمية: رزؤك أجلّ الحوادث، وفقدك أعظم المصائب، لكنها عدلت عن الأصل فقدمت الخبر على المبتدأ بعد إدخال الناسخ، مع اختيار دقيق للألفاظ التي تتناسب والخطب الجلل، وكل ذلك من أجل تصوير الإفراط في الحزن، والمبالغة في تعظيم الفاجعة بحيث طغت على الحوادث جميعها.

### 4- تقديم المفعول به:

خطب الحجاج بعد مقتل عبد الله بن الزبير فقال:

« ألا إن ابن الزبير كان من أحبار هذه الأمة، حتى رغب في الخلافة ونزع فيها، وخلع طاعة الله، واستكنَّ بحرم الله، ولو كان شيء مانعاً للعصاة، لمنع آدم حرمة الجنة؛ لأن الله تعالى خلقه بيده،

<sup>1</sup> - - الجمهرة، ج1، ص 125.



وأسجد له ملائكته، وأباه جنته، فلما عصاه أخرجه منها بخطيئته، وآدم على الله أكرم من ابن الزبير، والجنة أعظم حرمة من الكعبة»<sup>(1)</sup>

الشاهد في الخطاب قوله: (لمنع آدم حرمة الجنة). فأدم هو المفعول به لأن المنع منصب عليه، وحرمة الجنة فاعل، وقد تقدم المفعول به على الفاعل لعظمته والاهتمام به، وقد يكون التعجب من المفعول غرضاً مقصوداً هو الآخر، ويبدو أن هناك قرينة لفظية في الخطاب تؤكد غرض الاهتمام بالمفعول به وتعظيمه، وذلك في قول الحجاج مبرراً تقديمه بأن الله هو الذي خلقه، وهو الذي أسجد له الملائكة.

والملاحظ أن التقديم والتأخير في أركان الجملة يخضع لأهداف ترتبط بالمقام، فيقدم المتكلم العنصر الذي يجذب التركيز عليه تماشياً مع الغاية التي يتوخى إيصالها إلى المخاطب.

### المطلب الثالث: بعض الكنائيات

يستعمل المتكلم في خطابه بعض الكنائيات ليتجنب بها التصريح بما في نفسه لغرض يريده هو، ومنها: « " كم " و " كذا " و " كَيْت " و " يَئْت "، ف " كم " و " كذا " كنايتان عن العدد على سبيل الإبهام، و " كَيْت " و " يَئْت " كنايتان عن الحديث والخبر.»<sup>(2)</sup>

فإذا أراد المتكلم إبهام العدد استعمل " كم " و " كذا "، نحو قول الفرزدق في هجاء جرير: [كامل]

كم عمّة لك يا جرير وخالة فدعاء قد حلبت علي عشاري

فهو يهجو ويغيره بكثرة العمات والحالات الفدعاوات اللائي قد عملن عنده في حلب النوق، أو في رعي الماشية.

وقولك: لي عليه كذا وكذا درهما. فهو يشير إلى عدد ما من الدراهم لا يرغب في التصريح به.

1- الجمهرة، ج2، ص 273 - 274.

2- ابن يعيش: شرح المفصل، ج3، ص 165.

أما إذا أراد المتكلم إبهام الحديث واختصاره فيستعمل "كَيْت" و"يُذِت"، نحو قولك: لقيته وكان بيننا كَيْت وكَيْت.

وردت هذه الكنائيات في كذا خطاب عربي، ويمكن التمثيل لها بما يلي:

### 1- كم:

جاء عن الأصمعي أنه سمع أعرابياً في فلاة يدعو قائلاً:

«... إلهي كم تحببت إلي بنعمتك، وأنت غني عني، وكم أتبعُّض إليك بذنوبي، وأنا فقير إليك، سبحان من إذا توعدَّ عفا، وإذا وعدَّ وفى.»<sup>(1)</sup>

ف"كم" هنا اسم يدل على كثرة العدد المبهم، فالتكلم يناجي ربه ويستغفره، مع كثرة ذنوبه، ويعترف بأن نعم الله عليه كثيرة، وإن عدها فهو لا يحصيها، فلا يمكن أن يستعمل عدداً معيناً، لذلك ناسب أن يستعمل "كم" الخبرية للإشارة إلى الكثرة من جهة، ومن جهة أخرى، للإشارة إلى عدم القابلية للإحصاء.

وفي الخطاب صورتان متقابلتان تقابل تضاداً؛ فكما يعترف المتكلم بكثرة إنعام الله عليه، فهو يعترف أيضاً بأنه قد قابلها بكثرة الذنوب، لذلك ناسب أيضاً أن يستعمل "كم" الخبرية للإشارة إلى هذه الكثرة.

### 2- كيت وكيت:

أغار الضحاك بن قيس بتوجيه من معاوية على الحيرة واستولى على أموالها، فاستصرخ الإمام علي الناس فتقاعسوا عنه، فقال:

1- الجمهرة، ج3، ص 344.

« أيها الناس المجتمعة أبدانهم، المختلفة أهواؤهم، كلامكم يوهي الصم الصلاب،  
 وفعلكم يطمع فيكم الأعداء، تقولون في المجالس كيت وكيت، فإذا جاء القتال قاتم حيدي  
 حياذ،...»<sup>(1)</sup>

كثيرا ما دعا الإمام عليّ أصحابه إلى مجابهة عدوهم، لكنهم لا يسمعون له، ولا يطيعون، وهو  
 في هذا الخطاب يستصرخهم لقتال عدوهم، لكنهم لا يبالون.

والشاهد في الخطاب قوله: (تقولون في المجالس كيت وكيت). فالإمام علي يقرعهم ويذلهم،  
 ويذكرهم بما كانوا يتباهون به في مجالسهم من نصرته، ومن افتخارهم بقوتهم، وقدرتهم على قتال عدوهم،  
 ثم ها هم إذا جد الجد تقاعسوا واستكانوا لعدوهم.

استعمل الإمام عليّ عبارة "كيت وكيت" ليختصر بها كل ما كان يدور في مجالسهم، ولم يرغب في تكرار  
 ما كانوا يقولون احتقارا منه لقولهم، وترفعوا عن ترديد ما لا يفيد.

1- الجمهرة، ج1، ص 238.

المبحث الثاني: الوسائل البلاغية

المطلب الأول: علم المعاني (الخبر والإنشاء)

توطئة:

يعرف الخطيب القزويني علم المعاني بأنه: «علم يعرف به أحوال اللفظ العربي، التي بها يطابق مقتضى الحال.»<sup>(1)</sup>

فاللفظ العربي له أحوال متعددة؛ فقد يكون نكرة وقد يكون معرفة، وقد يحذف أو يذكر، كما قد يقدم أو يؤخر. ولكل حال من هذه الأحوال مقام يدعو إليه؛ فمقام الذكر يختلف عن مقام الحذف، ومقام التقديم يختلف عن مقام التأخير، إلى غير ذلك من اختلاف المقامات والأحوال.

ومقتضى الحال هو الظرف الذي يدعو المتكلم إلى إنشاء كلامه، فيعبر عن المعنى الذي يدور في الفكر وال خاطر بألفاظ مخصوصة تكون ملائمة له، فإذا تغير المعنى تغير اللفظ تبعاً لذلك، وهذا التطابق بين اللفظ والمعنى يؤدي غرضاً بلاغياً يفهم من سياق الكلام. وسيركز البحث على واحد من مباحث علم المعاني وهو مبحث الخبر والإنشاء بوصفه المكافئ القديم لمفهوم الأفعال الكلامية، وهي من أهم المباحث التداولية عند المعاصرين.

إن الناظر في مباحثي الخبر والإنشاء عند البلاغيين والأصوليين، وما تولد عنهما من معانٍ سياقية، يقف على كثير من الدلالات للصيغة الواحدة؛ « فاللغة العربية شأنها شأن غيرها من اللغات الطبيعية، تشتمل على طائفة من الصيغ والأدوات التي يستعملها المتكلم للدلالة على القوة الإنجازية التي يريد تضمينها كلامه، كالاستفهام والتمني والإخبار والتقرير والنفي والإثبات والطلب والترجي»<sup>(2)</sup> وسيسعى هذا البحث إلى تتبع هذه المعاني في المدونة بمعونة القرائن، ذلك أن « معنى الكلمة لا يتحدد

1- الخطيب القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة، تعليق: محمد عبد المنعم خفاجي، المكتبة الأزهرية، ط3، 1993، ج1، ص52.

2- مسعود صحراوي: الأفعال الكلامية عند الأصوليين، ص182.

داخل الخطاب إلا من خلال محددات، لعل من أبرزها القرينة، والمتفحص للتراث العربي يدرك أن رواد التفكير اللغوي العربي لم يغفلوا البتة عن دور القرينة في إبراز المعنى وتجليته، واهتمامهم بها نابع عن إدراك تام لقيمتها العلمية بوصفها عنصراً خطايا نشيطاً، وسيرورة تواصلية مهمة في المنظومة المعرفية والتبليغية بعامته.<sup>(1)</sup> ومن أبرز النصوص الدالة على ضبط مباحث الخبر والإنشاء ضبطاً دقيقاً، والتي تبين عن فهم دقيق لمفهوم القرائن الدالة قول الإمام الشاطبي: «الكلام الواحد يختلف فهمه بحسب حالين وبحسب مخاطبين، وبحسب غير ذلك، كالاستفهام لفظه واحد ويدخله معانٍ آخر من تقرير وتوبيخ وغير ذلك، وكالأمر يدخله معنى الإباحة والتهديد والتعجيز وأشباهاها، ولا يدل على معناها المراد إلا الأمور الخارجة، وعمدتها مقتضيات الأحوال، وليس كل حال ينقل، ولا كل قرينة تقتزن بنفس الكلام المنقول، وإذا فات نقل بعض القرائن الدالة فات فهم الكلام جملة، أو فهم شيء منه»<sup>(2)</sup>

تمثل ظاهرنا الخبر والإنشاء القاعدة الأساسية في علم المعاني<sup>(3)</sup>، وقد اختلف علماء العرب قديماً في التمييز بينهما، إذ في البداية لم يكن للأسلوب الإنشائي أثر يذكر في المؤلفات العربية، ولم يكن ذا صيت، ولم يحمل قيمة الاستقرار إلا في مرحلة متأخرة، فلم يتفق العلماء العرب على مصطلح الإنشاء، ولم يوجد عند عبد القاهر الجرجاني ولا حتى عند السكاكي، ولكنه نال حظه عند القلة من المؤلفين،

1- مختار درقاوي: من ملامح الفكر السياقي عند الأصوليين (القرينة)، ضمن كتاب: نظرية السياق بين التوصيف والتأصيل والإجراء، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2015، ص 51.

2- الشاطبي: الموافقات، تحقيق: مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، السعودية، ط1، 1997، ج4، ص 146.

3- تتفق ثنائية الخبر والإنشاء كثيراً مع ثنائية أوستين (الوصف والإنجاز)، يقول أحمد المتوكل: «من المعلوم أن الفكر اللغوي العربي القديم يتضمن ثنائية (الخبر والإنشاء) التي تشبه إلى حد بعيد الثنائية الأوستينية (الوصف والإنجاز) كما يدل على ذلك تعريف القدماء للخبر والإنشاء، فالجملة الخبرية عندهم هي الجملة التي تحتل الصدق أو الكذب، في حين أن الجملة الإنشائية هي الجملة المتوفرة فيها خاصيتان؛ أ- أنها لا تحتل الصدق أو الكذب، ب- أن مدلولها يتحقق بمجرد النطق بها» اللسانيات الوظيفية، مدخل نظري، ص 42.

والأمر نفسه يذهب إليه مسعود صحرأوي حيث يقول: «تعتبر نظرية "الخبر والإنشاء" -عند العرب من الجانب المعرفي العام- مكافئة لمفهوم "الأفعال الكلامية" عند المعاصرين»، التداولية عند العلماء العرب، ص 49.

أمثال الشيخ نجم الدين الكاتبي القزويني (ت493)، ومحمد بن علي الجرجاني (ت729) <sup>(1)</sup>

فنجد السكاكي قد قسم الكلام إلى خبر وطلب، وهذا ما يصرح به في كتابه مفتاح العلوم: « والسابق في الاعتبار في كلام العرب شيئان: الخبر والطلب. » <sup>(2)</sup> أما ابن فارس فيصرح بأن معاني الكلام «عند بعض أهل العلم عشرة: خبر، واستخبار، وأمر، ونهي، ودعاء، وطلب وعرض، وتخصيص، وتمن، وتعجب. » <sup>(3)</sup> في حين ذهب القزويني إلى رد الاعتبار للإنشاء مصرحاً « أن الكلام إما خبر أو إنشاء، لأنه إما أن يكون لنسبته خارج تطابقه أو لا تطابقه أو لا يكون لها خارج ، الأول الخبر والثاني الإنشاء. » <sup>(4)</sup>

وربما عاد السبب إلى فكرة الأصل والفرع حيث إن: « الخبر والإنشاء وإن كانا متكافئين لا سبق لأحدهما على الآخر في المعنى، لكن الخبر في اللفظ والوضع أصل والإنشاء طارئ عليه. » <sup>(5)</sup>

ينقسم الكلام العربي إلى قسمين رئيسيين هما الخبر والإنشاء؛ فالخبر هو الكلام الذي يحتمل الصدق أو الكذب لذاته، ويقابله الإنشاء الذي هو الكلام الذي لا يحتمل الصدق أو الكذب لذاته.

لكن كيف نحكم على الصدق والكذب؟

كل كلام له نسبتان؛ نسبة داخلية ونسبة خارجية، أو نسبة كلامية ونسبة واقعية. فلو حدث التطابق بين الكلام وما يحيل عليه في الخارج، أي بين النسبة الداخلية والنسبة الخارجية كان الخبر صادقاً،

1- مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب، ص 54.

2- السكاكي: مفتاح العلوم، ص 251.

3- ابن فارس: الصحابي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، تعليق: أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1997، ص133.

4- الخطيب القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة، ج1، ص 55-56.

5- محمد بن علي الجرجاني: الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة، تحقيق: عبد القادر حسين، مكتبة الآداب، دط، 1997، ص 85.

وإذا لم يحدث التطابق فالخبر كاذب.<sup>(1)</sup> أما الإنشاء فليس له واقع خارجي يطابقه أو لا يطابقه، ولذلك لا يحكم عليه بالصدق أو الكذب. وعليه فالخبر « هو الخطاب التواصلي المكتمل إفادياً والذي يريد المتكلم من نسبته الكلامية أن تطابق نسبته الخارجية»<sup>(2)</sup>، أما الإنشاء فهو « الخطاب التواصلي المكتمل إفادياً والذي يريد المتكلم من نسبته الكلامية أن توجد نسبته الخارجية.»<sup>(3)</sup>.

### مثال 1:

يقول الشاعر: [بسيط]

لولا أبو الطيب الكندي ما امتلأت مسامع الناس من مدح ابن حمدان

يمكن أن يحكم على هذا الكلام بأنه خبر صادق، نظراً إلى أنه يطابق الواقع، فلا يمكن لأحد أن ينكر فضل المتنبي على ابن حمدان، حيث شاع اسمه بين الناس من مدح المتنبي له.

### مثال 2:

قال الله تعالى: ﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾ [الأعراف]

فهذا الكلام فيه أمر بالأكل والشرب ونهي عن الإسراف، وهو لا يحتمل الصدق ولا الكذب، وبالتالي فهو ليس خبراً، وإنما هو إنشاء. ومنه قول الشاعر أيضاً: [وافر]

ألا ليت الشباب يعود يوماً لأخبره بما فعل المشيب

1- أنكر أوستين أن تكون الوظيفة الوحيدة للعبارة الإخبارية هي وصف حال الوقائع صدقاً أو كذباً، وسمى ذلك **مغالطة وصفية**، وقال بوجود عبارات إخبارية في الظاهر لكنها لا تصف واقعا خارجيا ولا تحتمل الصدق أو الكذب، بل لها أغراض أخرى تفهم من القران. ينظر: محمود أحمد نحلة: آفاق جديدة في الدرس اللغوي المعاصر، ص 61-62. وينظر أيضاً: أوستين: نظرية أفعال الكلام العامة كيف ننجز الأشياء بالكلام، ص 14-15.

2- مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب، ص 82.

3- نفسه، نفس الصفحة.

فهذا تمنّ، ولا يوصف قائله بالصدق ولا بالكذب.

ولفظ (لذاته) قيد في التعريف يخرج الأخبار الواردة عن الله ورسوله، إذ إنّها لا تحتل إلا الصدق، كما يخرج الأخبار الواردة عن الكذابين والدجالين لأنها لا تحتل إلا الكذب، كما يخرج أيضا البديهيّات. وكل هذا الاعتبار فيه للقائل وليس لذات الكلام، لأن الكلام نفسه يحتل الصدق أو الكذب.

وحتى يسهل التمييز بين الخبر والإنشاء حصر العلماء الأساليب الإنشائية، وما عداها يكون خبرا. فالإنشاء قول لا يحتل الصدق أو الكذب، وهو ينقسم إلى قسمين: إنشاء طلي، وأنواعه خمسة: الأمر والنهي والاستفهام والنداء والتمني. وقد اهتم العلماء كثيرا ببحث موضوعات الإنشاء الطلي لأن فيها لطائف بلاغية كثيرة تحتاج إلى تفصيل ودراسة. وإنشاء غير طلي، وأنواعه هي: المدح والذم والتعجب والرجاء والقسم وصيغ العقود.

### 1- الخبر:

هو الكلام الذي يحتل الصدق أو الكذب لذاته، فهو يقابل الإنشاء، وهو معنى من معاني الكلام، وليس الجزء الذي يتم الفائدة مع المبتدأ، وهو قول ابن السراج، حيث نسب التصديق والتكذيب إليه<sup>(1)</sup>، الأمر الذي جعل ابن هشام يدقق الأمر قائلا: «الخبر الذي شرطه احتمال الصدق والكذب الخبر الذي هو قسيم الإنشاء، لا خبر المبتدأ، للاتفاق على أن أصله الأفراد، واحتمال الصدق والكذب إنّما هو من صفات الكلام.»<sup>(2)</sup>

1- ابن السراج: الأصول في النحو، تحقيق: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط3، 1996، ج1، ص 62. يقول: «والخبر يقع التصديق والتكذيب.»

2- ابن هشام: المغني، ج 5، ص 141.



## 1-1-1- أضرب الخبر:

استند البلاغيون في التمييز بين أضرب الخبر إلى بعد تداولي هو طبيعة العلاقة التي تربط بين المتكلم والمخاطب، فالمتكلم لا يلقي كلامه إلا إذا فهم حال المخاطب ومقامه، فيكيف بذلك كلامه حتى يضمن الاستجابة التي يريد. والمتأمل في أحوال المخاطب يجد له ثلاثة أحوال، ومنه كان للخبر ثلاثة أضرب هي<sup>(1)</sup>:

**1-1-1- ضرب ابتدائي:** يلقي إلى من يكون خالي الذهن من مضمون الخبر، لا يدري عنه شيئاً. يقول السكاكي: « فإذا ألقى [المتكلم] الجملة الخبرية إلى من هو خالي الذهن عما يلقي إليه ليحضر طرفها عنده، وينتقش في ذهنه استناد أحدهما إلى الآخر ثبوتاً أو انتفاءً، كفى ذلك الانتقاش حكمه، ويتمكن لمصادفته إياه خالياً.»<sup>(2)</sup> فإذا كان المخاطب خالي الذهن ألقى إليه الخبر خالياً من أدوات التوكيد لعدم الحاجة إليها.

سأل سليمان بن عبد الملك أبا حازم الأعرج: كيف القدوم على الله؟ فأجاب: « أما المحسن فكالغائب يأتي أهله مسروراً، وأما المسيء فكالعبد الأبق يأتي مولاه محزوناً.»<sup>(3)</sup>

يلاحظ في هذا المقطع من خطاب أبي حازم الأعرج أنه يخلو تماماً من أدوات التوكيد، ذلك أن سليمان بن عبد الملك إنما أراد النصيحة والإرشاد، فلم يحتج بذلك أبو حازم إلى أن يؤكد كلامه، فأرسله خالياً من أدوات التوكيد، وهو يعلم أن المخاطب سيصدقه لا محالة.

1- ينظر: العلوي: كتاب الطراز، ج3، ص 253-254.

2- السكاكي: مفتاح العلوم، ص 258.

3- الجمهرة، ج2، ص 401.

**1-1-2-ضرب طلبي:** قد يكون المخاطب مترددا في قبول الخبر متشككا فيه، فيدخل المتكلم إحدى أدوات التوكيد على الخبر، تقوية وتوكيدا له، ورغبة في رفع تردد المخاطب وشكّه. يقول السكاكي: « وإذا ألقاها إلى طالب لها، متحير طرفاها عنده دون الاستناد، فهو منه بين بين، لينقذه عن ورطة الحيرة، استحسن تقوية المنقذ بإدخال اللام في الجملة، أو إن، كنعو: لزيد عارف، أو إن زيدا عارف. »<sup>(1)</sup>

غير أن تأكيد الخبر بأداة واحدة ليس دليلا - دائما - على كون المخاطب مرتابا في الحكم، وهذا ما جعل بعض الباحثين يتحفظ على الاستشهاد لهذا الضرب بكل خبر يشتمل على مؤكّد واحد، كون الأداة (إن) أشبه باللازمة في بداية الكلام، وقد تأتي عفوا دون أن يكون هناك تردد في الحكم من جانب المخاطب، ومرد الأمر عموما إلى السياق والقرائن الخارجية.<sup>(2)</sup>

جاء في خطبة زياد بن أبيه حين ولي البصرة: « أما بعد: فإن الجهالة الجهلاء، والضلالة العمياء، والغبي الموفّي بأهله على النار، ما فيه سفهاؤكم، ويشتمل عليه حلماؤكم، من الأمور العظام... »<sup>(3)</sup> فقد أراد زياد إثبات كلامه وتأكيد فأتى بـ (إن) في بدايته. ولمن يتحفظ على ورود (إن) للتأكيد، ويرى بأنها جاءت عفوا، فالسياق يوحي بغير ذلك؛ فقد كانت البصرة في ذاك الوقت تعج بالفسق، مما يلزم تأكيد الكلام لإثبات ما فيهم من فجور، ولذلك سميت خطبته بالبتراء، لأنه بدأها بدون الحمد.

1- السكاكي: مفتاح العلوم، ص 258.

2- ينظر: شفيع السيد: البحث البلاغي عند العرب، تأصيل وتقييم، دار الفكر العربي، القاهرة، دط، ص 148-149.

3- الجمهرة، ج 2، ص 257.

1-1-3- ضرب إنكاري: أما إذا كان المخاطب منكرا الخبر إنكارا تاما، فيحتاج المتكلم إلى أن يؤكد له الخبر بأكثر من مؤكد. يقول السكاكي: « وإذا ألقاها إلى حاكم فيها بخلافه ليرده إلى حكم نفسه استوجب حكمه ليروح تأكيدا بحسب ما أشرب المخالف الإنكار في اعتقاده، كنحو: إني صادق لمن ينكر صدقك إنكارا، وإني لصادق لمن يبالغ في إنكار صدقك، ووالله إني لصادق على هذا.»<sup>(1)</sup>

- اقترح عتريس بن عرقوب أن تسير الجيوش إلى حلوان أو إلى عين التمر، فكان رد حيان بن ظبيان: « إنك والله لو سرت بنا أنت وجميع أصحابك نحو أحد هذين الوجهين، ما اطمأنتم به حتى يلحق بكم خيول أهل المصر، فأني تشفون أنفسكم؟...»<sup>(2)</sup> كان هذا الكلام في سياق البحث عن أفضل مكان يمكن أن يستقر به الجيش. وحتى يعطي حيان كلامه حجة أكبر، ويقطع السبيل أمام أي شك في كلامه، فقد أكد بعدة مؤكدات؛ فاستعمل (إن)، ثم القسم، ثم أكد الضمير المتصل في (سرت) بالضمير المنفصل (أنت)، ثم استعمل كلمة (جميع) للاستغراق، كل ذلك تأكيدا على كلامه، ودحضا لأي إنكار. إذن، هناك متكلم يعرف المخاطب، ويعرف موقفه مسبقا مما سيلقي إليه، لذلك يتدرج في إلقاء الخبر من الابتدائي إلى الطلبي إلى الإنكاري، مراعيًا الشدة في تحقيق غرضه بما يتناسب وأحوال المخاطب من تصديق أو تشكك أو إنكار. ولعل قصة الكندي مع أبي العباس تشرح هذا التدرج<sup>(3)</sup>.

وإلقاء الخبر إلى المخاطب ليس الهدف منه مجرد نقل معلومات إليه بقدر ما هو التأثير في قناعاته، ودفعه إلى اتخاذ مواقف معينة، لقد أصبح فعلا إنجازيا بتعبير أوستين.

1- السكاكي: مفتاح العلوم، ص 258 - 259.

2- الجمهرة، ج2، ص 427.

3- ينظر: الخطيب القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة، ص 71.

## 1-2- أغراض الخبر

الخبر كما سبق قول يحتمل الصدق أو الكذب، وهذا القول الذي يلقيه المتكلم يقصد به أحد أمرين؛ الأول إخبار المخاطب بأمر كان يجهله، فيقصد المتكلم بذلك إفادة المخاطب، وعليه متى كان المخاطب غير عالم بمضمون الخبر فالغرض هو الفائدة. أما الثاني فحين يكون المخاطب عالماً بمضمون الخبر، فحينها لا يكون قصد المتكلم إفادة المخاطب بما كان يجهله، وإنما تعريفه بأن المتكلم على علم بما يعرف، وعندئذ يكون الغرض من الخبر لازم الفائدة.<sup>(1)</sup>

وكلما كان الغرض من الخبر الفائدة أو لازم الفائدة كان الغرض حقيقياً. وعليه يكون الغرض من الخبر مجازياً عندما يتجاوز هذين الأمرين، ومن الأغراض المجازية ما يأتي:<sup>(2)</sup>

### 1-2-1- إظهار الحزن والتحسر: مثال ذلك قوله تعالى: ﴿ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ... ﴾

[آل عمران] فليس الغرض هنا الفائدة وإنما هو إظهار الحزن والتحسر، لأنها كانت ترجو أن يكون المولود ذكراً لتوفي نذرهما بأن تهبه خادماً لبيت المقدس. ومنه قول الشاعر لبيد: [كامل]

ذهب الذين يعاش في أكنافهم      وبقيت في خلف كجلد الأجر

قالت أعرابية ترثي ابناً لها: « والله يا بني، لقد غذوتك رضيعاً، وفقدتك سريعاً، وكأنه لم يكن بين الحالين مدة ألتذ بعيشك فيها، فأصبحت بعد النضارة والغضارة، ورونق الحياة، والتنسم في طيب روائحها، تحت أطباق الثرى، جسداً هامداً، ورفاتا سحيقاً، وصعيداً جرزا.»<sup>(3)</sup>

1- ينظر: عبد الرحمن حسن حنكة الميداني: البلاغة العربية، أسسها وعلومها وفنونها، دار القلم، دمشق، ط1، 1996، ج1، ص 173.

2- نفسه، ص 173-175. وينظر أيضاً: عبده عبد العزيز: البلاغة الاصطلاحية، دار الفكر العربي، ط3، 1992، ص 139 وما بعدها.

3- الجمهرة، ج3، ص287.

إن الكلام هنا موجه إلى من لا يسمع، إذ هو خطاب الحي للميت، ومعروف ما قد يصيب الحي من ألم وحزن إذا ما ابتلي بفقد عزيز، ومنه فالخبر هنا ليس للفائدة وإنما هو لإظهار الحزن والتحسر.

**1-2-2-الاسترحام والاستعطاف:** كأن تقابل متسولا فيخبرك أنه فقير وجائع، وبما أن حاله تدل على ذلك فهو لا يقصد الإخبار، وإنما يسترحمك ويستعطفك.

ومنه قول الشاعر: [خفيف]

رب إني لا أستطيع اصطبارا فاعف عني يا من يقيل العثارا

- خرج المهدي يطوف بعد هدأة من الليل، فسمع أعرابية من جانب المسجد تقول: « قوم متظلمون، نبت عنهم العيون، وفدحتهم الديون، وععضتهم السنون، بادت رجالهم، وذهبت أموالهم، وكثر عيالهم، أبناء سبيل، وأنضاء طريق، وصية الله ووصية الله ورسوله صلى الله عليه وسلم»<sup>(1)</sup> وهذه الأخبار الواردة في هذا المقطع، تتجاوز كونها أخبارا إلى استرحام السامع واستعطافه، وتحول الخبر بذلك إلى طلب، وهو -بالفعل- ما فهمه المهدي، إذ أمر نصيرا الخادم فدفع إليها خمسمئة درهم.

**1-2-3-المدح والثناء:** كأن تقول: اللهم أنت ربي، خالق السماوات والأرض، العليم القدير، ناصيتي بيدك...

ومنه قول النابغة: [طويل]

فإنك شمس والملوك كواكب إذا طلعت لم يبد منهن كوكب

- لما قتل أبو امرئ القيس قدم عليه رجالات من بني أسد، وكان فيهم عبيد بن الأبرص، وقبيصة بن نعيم، يسألونه العفو عن دم أبيه، فقال قبيصة:

<sup>1</sup> - الجمهرة، ج3، ص 284.

« إنك في المحل والقدر والمعرفة بتصرف الدهر، وما تحدّثه أيامه، وتنقل به أحواله، بحيث لا تحتاج إلى تبصير واعظ، ولا تذكرة مجرب، ولك من سؤدد منصبك، وشرف أعراقك، وكرم أصلك في العرب، محتدٍ يحتمل ما حُمِّل عليه، من إقالة العثرة، ورجوع عن الهفوة...»<sup>(1)</sup>

إن سياق هذا الخطاب قد جمع بين بني أسد وامرئ القيس، وفيه تذكير بصفات امرئ القيس، وهو ابن سيدهم، وهذه الصفات الواردة في المقطع على شكل أخبار يعرفها الطرفان، ويجمعان عليها، وهذه قرينة معرفية تصرف الخبر عن الحقيقة، لذلك فالخبر هنا ليس للفائدة. ثم بالنظر إلى سياق الحال، وهو هنا قدوم بني أسد من أجل طلب الصلح، ينصرف الخبر إلى غرض آخر هو مدح المخاطب (امرئ القيس)، وذلك تمهيدا لطلب العفو.

#### 1-2-4- الفخر: كقول عمرو بن كلثوم: [وافر]

إذا بلغ الفطام لنا صبي      تخر له الجبابر ساجدينا

- خطب الحسن بن علي رضي الله عنه في عهد خلافته، فقال: «نحن حزب الله المفلحون، وعتره رسول الله صلى الله عليه وسلم الأقربون، أهل بيته الطاهرون الطيبون، وأحد الثقلين اللذين خلفهما رسول الله صلى الله عليه وسلم، والثاني كتاب الله، فيه تفصيل كل شيء... لا يخطئنا تأويله، بل نتيقن حقائقه، فأطيعونا»<sup>(2)</sup>

إن خطاب الحسن بن علي رضي الله يذكّر الناس بما له من قرابة للنبي صلى الله عليه وسلم، وبأنه من آل البيت، وبأنه من أعلم الناس بتأويله، وهذا الكلام معروف للناس، لا يجادل فيه أحد، ومنه فإن هذا الكلام إنما سيق للفخر، وبيان علو المنزلة، تمهيدا لطلب الطاعة، فمن كان هذا حاله، فهو أحق الناس بالاتباع.

1-الجمهرة، ج1، ص 274 - 275.

2-نفسه، ج2، ص 11.

1-2-5- إظهار الضعف: ومنه قول الله تعالى: ﴿إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَأَشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا...

﴿[مریم]﴾، فالغرض هنا هو إظهار التذلل والخشوع والضعف ليطلب فيما بعد من الله تعالى أن يرزقه الذرية الصالحة (فهب لي من لدنك وليا).

- لما قتل أبو جعفر المنصور محمدا بن عبد الله، اعترضته امرأة معها صبيان، فقالت: «يا أمير المؤمنين، أنا امرأة محمد بن عبد الله، وهذان ابناه، أيتمهما سيفك، وأضرعهما خوفك، فناشدتك الله يا أمير المؤمنين أن تصعر لهما خدك، فينأى عنهما رفقك، أو لتعطفك عنهما شوابك النسب، وأواصر الرحم»<sup>(1)</sup>

اشتمل هذا المقطع على خبر كان الغرض منه إظهار الضعف، وتصوير حالة من فقد عزه ومكانته أمام من بيده العزة والسلطان، خاصة وأنه كان السبب فيما آلت إليه حال امرأة محمد بن عبد الله وابنيه، وتحول الخبر بذلك إلى طلب. فما الذي سيفهمه المنصور من هذا الخطاب؟

إنه يعرف مسبقا أنه قاتل الرجل، وبالتالي فقد رطل زوجته، ويتم ولده، ومنه فسماعه هذا الكلام لا يضيف إلى علمه شيئا. ومن جهة أخرى فالكلام صدر من أحد الرعية، وهو هنا أرملة ضعيفة فقدت كل أسباب العيش الكريم بموت زوجها، ووجه إلى السلطان صاحب الملك والقدرة، ومنه فالكلام ليس إخبارا بقدر ما هو إظهار للضعف. وقد فهم المنصور ذلك، والدليل استجابته بحيث قال للربيع: اردد عليهما ضياع أبيهما.

1-2-6- النصح والإرشاد: ومنه الحكمة القائلة: من جد وجد ومن زرع حصد.

- قالت أعرابية لابنها: « يا بني، إن سؤالك الناس ما في أيديهم من أشد الافتقار إليهم، ومن افتقرت إليه هنت عليه. »<sup>(1)</sup>

إن سياق الخطاب سياق مناصحة ومكاشفة، والابن يعلم أن أمه إنما تعطيه بعض خلاصة تجربتها في الحياة، لينخلص بذلك الخبر إلى النصح والإرشاد.

1-2-7- التهديد: ومنه قوله تعالى: ﴿ وَمَا رَبُّكَ بِغَنِيْلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [هود]

ومنه قول الشاعر بشار: [طويل]

إذا ما غضبنا غضبة مضرية هتكنا حجاب الشمس أو قطرت دما

حين ولي الحجاج العراق، دخل المسجد الجامع بالكوفة، معتما بعمامة غطى بها أكثر وجهه، متقلدا سيفه، متنكبا قوسه، فصعد المنبر فقال: « أنا ابن جلا وطلاع الثنايا متى أضع العمامة تعرفوني

أما والله إنني لأحمل الشر بحمله، وأحذوه بنعله، وأجزيه بمثله، وإنني لأرى أبصارا طامحة، وأعناقا متطاولة، ورؤوسا قد أينعت وحن قفافها، وإنني لصاحبها، وكأني أنظر إلى الدماء بين العمام واللحي تترقق... وإن أمير المؤمنين - أطل الله بقاءه - نشر كنانته بين يديه، فعجم عيدانها فوجدني أمرها عودا، وأصلبها مكسرا فرماكم بي، لأنكم طالما أوضعتم في الفتن، واضطجعتم في مراقد الضلال... »<sup>(2)</sup>

إن سامع الخطاب سيفهمه كالاتي:

1- الجمهرة، ج3، ص 257.

2- نفسه، ج2، ص 275 - 276.



يلاحظ في هذا المقطع أن الحجاج قد استبدل بالبسملة والحمدلة - على غير العادة والمألوف - بيتا شعريا، وهو ما من شأنه أن يقرع أذن السامع، ويجعله ينتبه ويتساءل عن قصد المتكلم مما سيلقى إليه، هذا من حيث شكل الخطاب. ثم إن الحجاج قد عوّف عن نفسه، وأكد ذلك بألفاظ قوية: (أحمل الشر، أحذوه، أجزيه...)، مما يوحي إلى مسؤوليته عن صحة ما يتلفظ به، وأنه صاحب السلطة والاستعلاء، وليقطع الطريق أمام أي نقاش لكلامه.

ثم يذكر الحجاج أخبارا أخرى تتماشى مع سياق كلامه: (وإني لأرى أبصارا طامحة، وأعناقا متطاولة، ورؤوسا قد أينعت،... طالما أوضعتم في الفتن، واضطجعتم في مراقد الضلال)، وقد أراد الحجاج أن يضع أهل الكوفة في صورة الحدث، فقد كانت تعج بالفتن، وهو ما يعرفه هو وأهلها عنها، ولذلك فهي في حاجة إلى والٍ شديد البأس، يعاقب على الشر بالشبهة، وقد صدر هذا الكلام عن الحجاج بنية التهديد والوعيد.

**1-2-8- التبيكيت:** عرفه الزمخشري بأنه: «استقباله بما يكره من ذم وتقريع، وأن تقول له: يا فاسق، أما اتقيت؟ أما استحييت؟»<sup>(1)</sup> ومنه فالتبيكيت يشبه التوبيخ غير أنه أعلى درجة منه، فهو توبيخ، وتقريع وتعنيف واستنكار. وهكذا نجد أن المراد من التبيكيت غلبة السامع، وإفحامه بالحجة، وكذلك تقريعه وذمه على فعل ما. ومن التبيكيت قوله تعالى: ﴿ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَسَأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ ﴾ [الأنبياء] فقد أراد سيدنا إبراهيم عليه السلام أن يبين لهم أن من لا يتكلم ولا يعلم ليس بمستحق للعبادة.

- كان عبد الملك بن مروان كثير التعهد لولاته، وقد بلغه أن أحدهم قبل هدية، فاستدعاه وشد عليه حتى أقر، فقال: «لئن كنت قبلت ولم تعوض إنك للثيم، ولئن أنلت مهديك لا من مالك، أو

1 - الزمخشري: الفائق في غريب الحديث والأثر، تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبي الفضل إبراهيم، عيسى الحلبي، ط2، دت، ج1، ص 125.

استكفيته ما لم يكن يستكفاه، إنك لجائر خائن، ولئن كان مذهبك أن تعوض المهدي إليك من مالك... إنك لجاهل.»<sup>(1)</sup>

إن ابن مروان في كلامه هذا قد حاصر واليه، وأفحمه، بحيث جعله لا يخرج عن ثلاث حالات؛ فهو إما لئيم، وإما خائن جائر، وإما جاهل، وهي صفات ينفر منها أي مؤمن، فما بالك إذا كان المعني واليا استرعاه الخليفة على شؤون الناس، وقد بين الخليفة أن من أتى من ولاته أمرا كهذا ليس بمؤمن، ولا يستحق أن يلي شيئا من أمور الناس، ومنه يتجه هذا الكلام إلى التبكيت والتفريع.

وقد يخرج الخبر أيضا عن أصل معناه للدلالة على الأمر والنهي والدعاء: قد يستدعي المقام استعمال جمل خبرية لكن المتكلم « قد ينحرف بلغته عن هذا المقتضى للجمل الخبرية على استخدام جمل إنشائية طلبية، ذات طبيعة مغايرة، ليؤدي من خلالها وظيفة أسلوبية معينة، يعجز عن أدائها لو أجري الكلام على مقتضى الظاهر»<sup>(2)</sup> ومنه قد يخرج الخبر إلى معنى الأمر أو النهي أو الدعاء:

**1-2-9- الأمر:** قد يعدل المتكلم عن الأمر فيخرجه في صورة الخبر، حرصا على مشاعر المخاطب، أو تأدبا في مخاطبته إن كان في مرتبة أعلى « كقول العبد للمولى إذا حول عنه الوجه: ينظر إلي المولى ساعة» تأدبا في مخاطبته واحترازا عن فعل الأمر المباشر (انظر).

ومنه قوله عز وجل: ﴿ وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ..... ﴾ [البقرة] أي: ليتربصن. والتربص الانتظار، وهو أمر عدل به إلى الخبر حرصا على مشاعر المخاطب. ومنه أيضا قوله تعالى: ﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ... ﴾ [البقرة] أي: ليرضعن.

1- الجمهرة، ج2، ص 222.

2- محمد زكي صلاح أبو حميدة: البلاغة والأسلوبية عند السكاكي، جامعة الأزهر، غزة، دط، 2012، ص 202.

- جاء في خطبة هاشم بن عبد مناف حين تنافرت إليه قريش وخزاعة: «أيها الناس، الحلم شرف، والصبر ظفر، والمعروف كنز، والجود سؤدد، والجهل سفه، والأيام دول، والدهر غير، والمرء منسوب إلى فعله، ومأخوذ بعمله.»<sup>(1)</sup>

اشتمل هذا الخطاب على بعض الأخبار التي ينبغي على مؤول الخطاب أن يتجاوز حرفيتها حتى يفهمها، لذلك عليه الاستعانة ببعض القرائن، من ذلك المعرفة المشتركة، وسياق الحدث الكلامي، وقصد المتكلم؛ فالمعرفة المشتركة تقضي بأن هذه الأخبار (الحلم شرف - الصبر ظفر - المعروف كنز - الجود سؤدد) تتعلق بأخلاق عربية معروفة، وهي من أشرف ما يتفاخر به العرب، لذلك فهذه الأخبار لا تضيف شيئاً إلى معرفة المخاطب، لأنها من الأمور المسلم بها عنده. ثم إن سياق الكلام كان في إطار مناصحة وصلاح، ومنه فقصد المتكلم ليس الإخبار، وإنما هو التوجيه والنصح، ولذلك هو يحثهم على الالتزام بهذه الأخلاق لأنها السبيل إلى نهاية العداوة. فحتى يتجاوز المخاطب حرفية الكلام، ويصل إلى المقصود، يشتق من كل مصدرٍ فعل أمر، ويؤول بذلك الخبر إلى الأمر، وعليه يكون الإجراء كالاتي:

المعنى الحرفي: الحلم شرف - الصبر ظفر - المعروف كنز... [غير مقصود بدلالة القرائن].

المعنى المستلزم: احلموا - اصبروا - اعملوا المعروف [مقصود].

وقد يأتي الأمر صريحاً، في شكل خبر، وذلك باستعمال الفعل (أمر) أو ما ينوب عنه، نحو: **قضى - حكم - كتب...**، «وسر البلاغة هنا أن الخبر يدل على الأمر، وهو مراد المتكلم، ويدل أيضاً على معنى آخر يزيد المكلف يقينا بأنه مطالب بالامتثال، أو أن الإتيان بالمأمور به خير من تركه والإعراض عنه، ومن هذه المعاني أن الطلب إذا صيغ في شكل قضية، فكأن المتكلم يخبر السامع بأن هذا الحكم مسلم به، ولا يمكن المناقشة فيه، ولا المنازعة.»<sup>(2)</sup>

1- الجمهرة، ج1، ص 273.

2- محمد بن مشيب حبتز: الأسلوب الخبري وأثره في الاستدلال واستنباط الأحكام الشرعية، دار الحديث، القاهرة، ط1، 2008، ص 589.

- حث الحسن بن علي على الجهاد، فقال: «أما بعد: فإن الله كتب الجهاد على خلقه، وسماه كرها، ثم قال لأهل الجهاد من المؤمنين: اصبروا إن الله مع الصابرين، فلستم أيها الناس قائلين ما تحبون إلا بالصبر على ما تكرهون»<sup>(1)</sup>

إن الحسن هنا يذكر الناس بما أمرهم الله تعالى من الجهاد، ولم يستعمل الأمر الصريح، بل عدل عنه إلى الأسلوب الخبري (إن الله كتب الجهاد)، فهو خير دال على الأمر، «ولا شك أن إخبار المكلف بأن هذا الفعل مأمور به من قبل الله تعالى، يجعل المكلف حريصا على الامتثال إن كان تقيا.»<sup>(2)</sup>

**1-2-10- النهي:** قد يكون النهي بالأسلوب الخبري صريحا، وقد يكون ضمنيا، وهو في الحالتين يوجب الامتثال بمضمونه، ولا فرق لدى أهل اللغة بين صيغة (لا تفعل كذا) وكلمة (أنهاك عن فعل كذا).<sup>(3)</sup> ومنه قوله تعالى: ﴿الْحَبْجُ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَةٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَبْجَ فَلَا رَفْثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَبْجِ...﴾ [البقرة]، أي فلا يرفث ولا يفسق ولا يجادل. وقوله أيضا: ﴿الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً...﴾ [النور].

- لما قتل أبو مسلم الخراساني خطب المنصور قائلا:

«أيها الناس: لا تخرجوا من أنس الطاعة إلى وحشة المعصية، ولا تسروا غش الأئمة،... إنه من نازعنا عروة هذا القميص أجزرناه خبي هذا الغمد.»<sup>(4)</sup>

1- الجمهرة، ج2، ص 2 - 3.

2- محمد بن مشيب حبت: الأسلوب الخبري وأثره في الاستدلال واستنباط الأحكام الشرعية، ص 589.

3- نفسه، ص 598.

4- الجمهرة، ج3، ص 27.

عندما يسمع المخاطب المقطع الثاني من هذا الكلام، يرى أن ظاهره خبر، لكنه لا يقف عند حرفيته، فيؤوله كالاتي:

**المعنى الحرفي:** من نازعنا عروة هذا القميص أجزرناه خبي هذا الغمد، أي من نازعنا الإمارة قتلناه.

**المعنى المستلزم:** لا يجزؤ منكم أحد على هذا، وإلا كان مصيره السيف. ومنه يفهم المخاطب هذا الكلام على أنه نهي، بل هو نهي مشوب بالتحذير والتهديد.

وقد يأتي النهي بلفظ صريح في الخبر، ومنه قول النبي ﷺ في خطبة حجة الوداع: «أيها الناس، إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم، إلى أن تلقوا ربكم، كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا.»<sup>(1)</sup>

فالنبي ﷺ نهي عن الاعتداء على الدماء والأموال بلفظ صريح وهو (حرام)، والحرام هو العمل الذي يعاقب فاعله، ويثاب تاركه، أو هو الأمر المطلوب تركه على سبيل الإلزام.

**1-2-11- الدعاء:** كثيرا ما يستعمل الفعل الماضي للدلالة على الدعاء، يقول السكاكي: «والجملات المحسنة لاستعمال الخبر في موضع الطلب تكثر، تارة تكون قصد التفاؤل بالوقوع، كما إذا قيل لك في مقام الدعاء أعاذك الله من الشبهة، وعصمك من الحيرة، ووفقك للتقوى، ليتفاءل بلفظ الماضي على عدها من الأمور الحاصلة التي حقها الإخبار عنها بأفعال ماضية.»<sup>(2)</sup> إن مقام الدعاء يقتضي استعمال فعل الأمر المباشر(افعل)، غير أن ورود الجملة بهذا الشكل جعلها أبلغ تأثيرا، وأكثر

1- الجمهرة، ج1، ص 57.

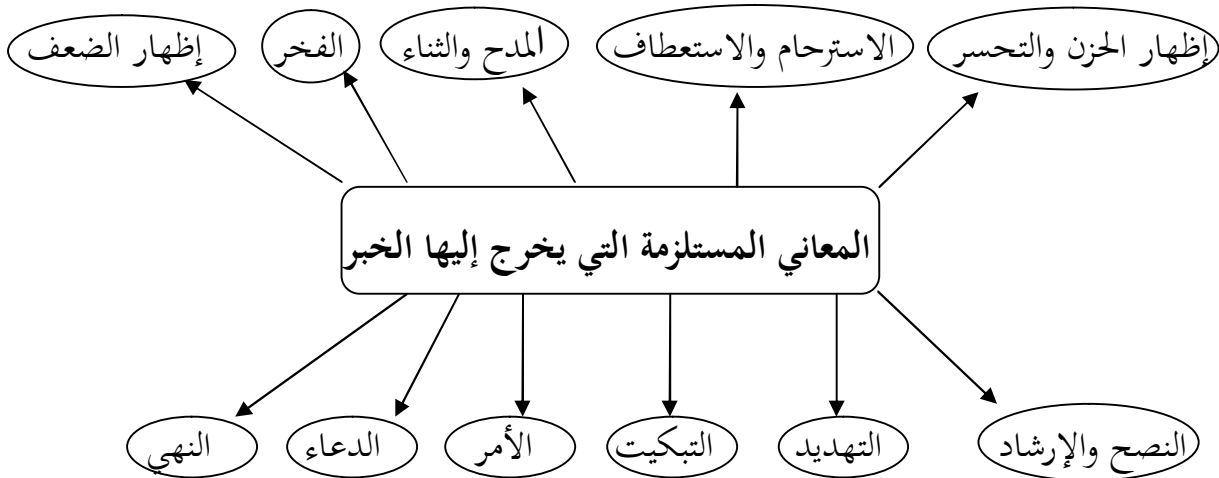
2 - السكاكي: مفتاح العلوم، ص 432.

وقعا، لأن الفعل الماضي يدل على حصول الفعل وعدم الشك في وقوعه. إن « استخدام الجملة الخبرية التي فعلها ماض في موضع الجملة الإنشائية الدعائية حمل معنى زائدا إلى المتلقي تمثل في الدعاء أولا، وفي تحقق هذا الدعاء ضمنا على سبيل التفاضل ثانيا. »<sup>(1)</sup>

- قال عدي بن حاتم يخاطب الحسن بن علي: « أصاب الله بك المرشد، وجنبتك المكاره، ووفقتك لما تحمد وروده وصدوره »<sup>(2)</sup>

إن عديا في هذا الخطاب يدعو الله تعالى أن يوفق عبده الحسن إلى الرشد، وأن يجنبه المكاره، غير أنه لم يأت بفعل الأمر المباشر (افعل)، بل عدل إلى استعمال الأسلوب الخبري، تأدبا مع الله تعالى من جهة، ومن جهة أخرى ليتفاهل بوقوع الأمر، فكأنه جعل من الدعاء حقيقة حاصلة.

وهكذا، تتعدد الأغراض بتعدد المقامات<sup>(3)</sup>، ويمكن توضيح ذلك في الخطاطة الآتية:



1 - محمد زكي صلاح أبو حميدة: البلاغة والأسلوبية عند السكاكي، ص 202.

2- الجمهرة، ج2، ص 3.

3- هذه ليست كل الأغراض، فقد يضاف إليها: الحث على العمل وتحريك الهمة، التهديد، التحذير، التوبيخ، الهجاء...

### 1-3- خروج الخبر على خلاف مقتضى الظاهر:

تأكيد الخبر من عدمه تابع لحالة المخاطب، فعندما يكون المخاطب خالي الذهن أو متردداً أو منكراً جاء الخبر ابتدائياً، أو طلبياً، أو إنكارياً على الترتيب، ومجيء الكلام على هذا النمط مجيء على مقتضى الظاهر من الحال، غير أن الخبر يخرج أحياناً عن هذا الظاهر، فقد يكون المخاطب مثلاً خالي الذهن إلا أن الخبر يلقى إليه مؤكداً، أو يكون المخاطب منكراً ويلقى الخبر إليه غير مؤكداً. ولا شك أن هناك أسباباً أو اعتبارات لاحظها المتكلم فخرج على خلاف الظاهر.

إذن يخرج الخبر على خلاف مقتضى الظاهر لاعتبارات يلحظها المتكلم، ويأتي هذا الخروج على عدة صور<sup>(1)</sup>:

#### 1-3-1- تنزيل خالي الذهن منزلة السائل المتردد: ويحدث هذا إذا تقدم في الكلام ما يشير إلى

حكم الخبر.

مثال:

قال تعالى: ﴿وَلَا تُخْطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ﴾ [هود] فمع أن سيدنا نوحاً

عليه السلام خالي الذهن إلا أن الخبر ألقى إليه مؤكداً، فلما نهي نوح عن الشفاعة في قومه دارت بعض الأسئلة في ذهنه من قبيل نوع العذاب الذي سيحل بهم، فأجابه الله تعالى عن هذه الأسئلة التي لم يسألها بلسانه وإنما دارت في خلده بأنهم مغرقون، فالذي حدث أنه نزل خالي الذهن منزلة المتردد.

- خطب رسول الله ﷺ في تزويج فاطمة فقال: «... ثم إن الله تعالى جعل المصاهرة نسبا لاحقاً، وأمراً مفترضاً، وشج بها الأرحام، وألزمها الأنام... ثم إن ربي أمرني أن أزوج فاطمة من علي بن أبي طالب، وقد زوجتها إياه على أربعمئة مثقال فضة، إن رضي بذلك علي.»<sup>(2)</sup>

1 - ينظر عبد المتعال الصعيدي: بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، مكتبة الآداب، القاهرة، دط، 1999، ج1، ص 36 وما بعدها.

<sup>2</sup> - الجمهرة، ج3، ص 360 - 361.

المتكلم في هذا الخطاب هو النبي ﷺ، والشهود هم الصحب الكرام، ثم لما كان المقام مقام زواج، وقد سماه الله تعالى الميثاق الغليظ، ومحل الزواج هنا فاطمة بنت النبي، ومع أن النبي مصدق فيما يقول، فقد ألقى الخبر مؤكداً، ليعطيه حجية أكبر، ويقطع السبيل أمام أي شبهة، والشاهد في الخطاب: إن ربي أمرني...، وقد زوجتها إياه...

وقد استعمل (إن للتأكيد) و(قد التي سبقت الفعل الماضي فأفادت التحقيق والتأكيد)، وبذلك فقد أنزل نحالي الذهن منزلة المتردد.

1-3-2- تنزيل غير المنكر منزلة المنكر: ويحدث هذا إذا ظهرت علامات الإنكار على المخاطب.

مثال: قال الله تعالى:

﴿إِنَّكُمْ بَعَدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ﴾ [المؤمنون] فالخبر هنا جاء مؤكداً بمؤكدين، مع أن المخاطبين غير منكرين الحكم الذي تضمنته الآية، فكان مقتضى الظاهر أن يلقي إليهم الخبر غير مؤكداً، ومرد ذلك ظهور علامات الإنكار عليهم، وهي غفلتهم عن الموت، وعدم استعدادهم له، لذلك أنزلوا منزلة المنكرين.

-لما صالح الحسن بن علي معاوية قال: «ألا وإن ما تكروهون في الجماعة خير لكم مما تحبون في الفرقة. ألا وإننا ناظر لكم خيراً من نظركم لأنفسكم، فلا تخالفوا أمري، ولا تردوا علي رأبي.»<sup>(1)</sup>

إن المتكلم هنا (الحسن بن علي) - بما له من مكانة - مصدق فيما يقول، ولا يخالج المخاطبين أي شك في قوله أو صدقه. غير أن هذا الكلام جاء بعد أن استنفر القوم لقتال معاوية، ثم هو يصددهم

<sup>1</sup>- الجمهرة، ج2، ص4.



بالصلح معه، لذلك لاحظ عليهم علامات التردد والشك، فأنزلهم منزلة المنكر، فألقى إليهم الكلام مؤكداً، مستعملاً في ذلك:

- ألا للتنبيه.

- إن للتوكيد.

- الجملة الاسمية.

**1-3-3- تنزيل المنكر منزلة غير المنكر:** ويحدث هذا إذا كان أمام المخاطب الأدلة والشواهد التي لو تأملها لرجع عن إنكاره.

**مثال 1:** قال الله تعالى:

﴿ وَاللَّهُ كُفِّرُ إِلَهُ وَاحِدٌ ۖ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴾ [البقرة]. يخاطب الله تعالى هنا المشركين، ولا شك أنهم ينكرون أشد الإنكار قضية التوحيد، ومع ذلك فالله تعالى يخاطبهم مخاطبة غير المنكر فجاء الخبر غير مؤكد تماماً، والسر في ذلك أن الله تعالى يقول للكافر: فكر وتدبر واعقل وانظر إلى الشواهد والأدلة التي بين يديك، فلو تأملتها لرجعت عن إنكارك.

**مثال 2:**

(التدخين مضر بالصحة.) تكتب هذه العبارة على علب السجائر، ويلاحظ أنها عبارة عن خبر ابتدائي، غير أن أغلب المدخنين ينكرون ضرر التدخين، ومع ذلك فلا حاجة إلى تأكيد الخبر لأن الكثيرين قد ماتوا بسببه، فيعامل المدخن هنا معاملة غير المنكر لأن الأدلة والشواهد أمامه كثيرة.

-خطب داود بن علي في أهل مكة، وكان أول موسم ملكه بنو العباس، فقال: « أيها الناس: الآن أقشعت حنادس الدنيا، وانكشف غطاؤها، وأشرقت أرضها وسماؤها، وطلعت الشمس من

مطلعها، وبنغ القمر من مزغ، وأخذ القوس باريها، وعاد السهم إلى النزعة، ورجع الحق إلى نصابه، في أهل بيت نبيكم، أهل الرأفة والرحمة بكم، والعطف عليكم»<sup>(1)</sup>

جاء هذا الخطاب بعد أن صار الحكم والسيادة لبني العباس، وحيث إنهم يرون أنفسهم الأحق بالخلافة، وأن الحق رجع إلى نصابه، وأن ملكهم صار حقيقة واقعة، ولأن الناس عاشوا زمنا طويلا تحت حكم بني أمية، وقد تظهر عليهم علامات الإنكار وعدم التصديق، جاء الخطاب بأسلوب خبري ابتدائي، ولم يحتج قائله إلى تأكيده، وبذلك فقد أنزل المنكر منزلة غير المنكر.

## 2- الإنشاء:

الإنشاء هو الكلام الذي لا يحتمل الصدق أو الكذب، ذلك أنه ليس له واقع خارجي يطابقه أو لا يطابقه، ولذلك لا يحكم عليه بالصدق أو الكذب.

وللإنشاء تعريفات كثيرة عند القدماء، منها تعريف الجرجاني أن الإنشاء «قد يقال على الكلام الذي ليس لنسبته خارج تطابقه أو لا تطابقه، وقد يقال على فعل المتكلم أعني إلقاء الكلام الإنشائي»<sup>(2)</sup>

أما السكاكي فاستعمل مصطلح الطلب قسيما للخبر، فالطلب عنده هو ما «يستدعي مطلوبا لا محالة، ويستدعي فيما هو مطلوبه ألا يكون حاصلا وقت الطلب»<sup>(3)</sup>

إذن، فالإنشاء كلام يقوله المتكلم ابتداء دون أن يكون له واقع خارجي يستدعي المطابقة من عدمها، ففيه يسبق الكلام النتيجة التي يحدثها.

1- الجمهرة، ج3، ص 3 - 4.

2- الشرف الجرجاني: معجم التعريفات، ص 35.

3- السكاكي: مفتاح العلوم، ص 414.

يقسم البلاغيون الإنشاء إلى نوعين؛ طلبي وغير طلبي، وكان القدامى أكثر عناية بالنوع الأول، فقد وقفوا عنده كثيرا ودرسوا مباحثه، أما غير الطلبي فلم ينل حظه بالدراسة والتحليل كسابقه، ولعل مرد الأمر إلى أن الإنشاء الطلبي يتيح للمتكلم أن يلون خطابه كيفما شاء، ويسمح له بالتعامل مع المخاطب وفق مقتضى الحال حتى يحقق ما يريد، أما الإنشاء غير الطلبي « فلا يبحث فيه البلاغيون، لأنه لا تتعلق فيه مباحث بيانية، ولأن أكثر صيغه هي في الأصل أخبار.»<sup>(1)</sup> لذلك أحجم عنه البلاغيون لقلة التأثير به، ونظرا لقلة الفوائد البلاغية في صيغه وأساليبه أخرجهم بعضهم من حيز البلاغة.<sup>(2)</sup>

«إن الأساليب الإنشائية تساق غالبا في اللغة الإبداعية لتتولد منها معان إضافية ذات صبغة تأثيرية بالدرجة الأولى، وتوليدها لهذه المعاني ينقلها من الجانب النفعي للغة إلى الجانب الإبداعي»<sup>(3)</sup> لذلك فإن المتكلم يجد راحته في التعامل مع مختلف المقامات، والتعبير عن مختلف الانطباعات العاطفية، وذلك بما تتيحه له الأساليب الإنشائية من ألوان في الاستعمال.

وفيما يلي سيتم دراسة الإنشاء بنوعيه، مع التركيز على المعاني المستلزمة التي يخرج إليها كل نوع، ورصد علاقة كل ذلك بالتلميح موضوع البحث.

## 2-1- الإنشاء الطلبي:

هو الذي « يستدعي مطلوبا غير حاصل وقت الطلب، لامتناع تحصيل الحاصل.»<sup>(4)</sup> وقد قسمه السكاكي إلى قسمين كبيرين: «نوع لا يستدعي في مطلوبه إمكان الحصول... ونوع يستدعي فيه

1- فضل حسن عباس: البلاغة فنونها وأفنانها، ص 148.

2- يوسف أبو العدوس: البلاغة والأسلوبية، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 1999، ص57.

3- محمد زكي صلاح أبو حميدة: البلاغة والأسلوبية عند السكاكي، ص 179.

4- عبد المتعال الصعيدي: بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح، ج2، ص 28.

إمكان الحصول.»<sup>(1)</sup> ثم قسم ممكن الحصول إلى قسمين آخرين:

- قسم يكون لطلب حصول في الذهن، ويتمثل في الاستفهام.
- قسم يكون لطلب حصول في الخارج، ويشمل الأمر والنهي والنداء.<sup>(2)</sup>

ويمكن توضيح ذلك في الجدول الآتي:

الطلب			
ممكن الحصول		ممتنع الحصول	
في الخارج		في الذهن	
تثبيت	انتفاء الفعل	الاستفهام	التمني
الإقبال	الفعل		
النداء	الأمر		
	النهي		

## 2-1-2- الأمر:

يعرف الأمر في المدونة البلاغية على أنه « صيغة تستدعي الفعل، أو قول ينبئ عن استدعاء الفعل من جهة الغير على جهة الاستعلاء.»<sup>(3)</sup> لكن العلوي لم يحصر صيغا محددة كما فعل بقية

1- السكاكي: مفتاح العلوم، ص 414.

2- زاد عليها تمام حسان العرض والتحضيض والترجي والدعاء. ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، 1994 ص 244.

3- العلوي: الطراز، ج3، ص 281 - 282.

البلاغيين، حيث حددوا للأمر أربع صيغ هي: فعل الأمر، والمضارع المقرون بلام الأمر، واسم فعل الأمر، والمصدر النائب عن فعل الأمر، وعلل استبعاده لفظ "افعل" و"لتفعل" بقوله: «لتدخل جميع الأقوال الدالة على استدعاء الفعل في نحو الفُرسية والتركية والرومية، فإنها كلها دالة على الاستدعاء من غير صيغة افعل، و«لتفعل»<sup>(1)</sup> وعليه فكل لفظة أو عبارة أفادت معنى الأمر فهي من صيغته، حتى وإن كانت خبراً، وقد سبقت الإشارة إلى أن الأمر من المعاني المستلزمة التي يخرج إليها الخبر.

وحتى يكون الأمر حقيقياً لا بد من توفر شرطي الاستعلاء والإلزام، بمعنى أن يمتلك المتكلم الصفة التي تؤهله لإصدار الأمر، بالإضافة إلى أن يكون المأمور بإمكانه تنفيذ الأمر. «أما إذا تخلفا كلاهما أو أحدهما فإن الأمر حينئذ يخرج عن معناه الحقيقي ويكون أمراً بلاغياً»<sup>(2)</sup>

مثال عن الأمر الحقيقي:

فعل الأمر: ﴿ أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ... ﴾ [الإسراء].

اسم فعل الأمر: ﴿ عَلَيكُمْ أَنْفُسُكُمْ... ﴾ [المائدة] معناه: احفظوا أنفسكم من المعاصي.

المضارع المقرون بلام الأمر: ﴿ ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلِيُوفُوا نُدُورَهُمْ وَلِيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ

الْعَتِيقِ ﴾ [الحج].

المصدر النائب عن فعل الأمر: ﴿ فَضَرَبَ الرِّقَابِ... ﴾ [محمد] أي: فاضربوا رقابهم.

ومن أمثلة الأمر الحقيقي في المدونة قول رسول الله ﷺ في خطبة حجة الوداع: «أيها الناس إن لكم معالم، فانتهوا إلى معالمكم، وإن لكم نهاية فانتهوا إلى نهايتكم، فإن العبد بين مخافتين؛...

1- العلوي: الطراز، ج3، ص 282.

2- عبده عبد العزيز: البلاغة الاصطلاحية، ص 151.

فليأخذ العبد من نفسه لنفسه، ومن دنياه لآخرته، ومن الشبيبة قبل الكبر، ومن الحياة قبل الممات،...»<sup>(1)</sup>

الشاهد من الخطبة قول النبي ﷺ:

فانتهوا إلى معالمكم - فانتهوا إلى نهايتكم - فليأخذ العبد من نفسه لنفسه.

وهو أمر حقيقي، جاء بصيغة الأمر المباشر، ثم بصيغة الفعل المضارع المتصل بلام الأمر، وهو حقيقي لأنه صادر عن النبي ﷺ، وهو وحي واجب التنفيذ، أما المخاطب فهم المؤمنون الذين يعد من شروط إيمانهم قبول الأمر، واستعدادهم لتنفيذه دون جدال أو نقاش.

إذا توفرت الشروط السابقة كان الأمر حقيقياً، وإلا خرج إلى معان بلاغية يهتدى إليها عن طريق سياق الكلام وقرائن الأحوال، وقد أشار السكاكي إلى بعضها قائلاً عن جملة الأمر: «إن استعملت على سبيل التضرع كقولنا: اللهم اغفر وارحم، ولدت الدعاء، وإن استعملت على سبيل التلطف كقول كل أحد لمن يساويه في المرتبة: افعَل، بدون الاستعلاء، ولدت السؤال والالتماس كيف عبرت عنه، وإن استعملت في مقام الإذن كقولك: جالس الحسن أو ابن سيرين، لمن يستأذن في ذلك بلسانه، أو بلسان حاله، ولدت الإباحة، وإن استعملت في مقام تسخيط المأمور به ولدت التهديد...»<sup>(2)</sup>

ومن المعاني المستلزمة التي يخرج إليها الأمر ما يلي:

أ- الدعاء:

يتحقق الدعاء إذا كان الأمر ممن هو في منزلة أدنى من المأمور بحيث لا تسمح له بطلب تنفيذ الأمر، كقول العبد للخالق: ﴿ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ۖ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ۖ ﴾ وَأَحْلِلْ عُقْدَةَ مِّن

1- الجمهرة، ج1، ص 55.

2- السكاكي: مفتاح العلوم، ص 428.

لِسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا قَوْلِي ﴿٢٨﴾ [طه]، فالأفعال (اشرح، يسر، احلل) لم تصدر من موسى عليه السلام إلى الله تعالى على سبيل الأمر الحقيقي، وإنما على سبيل التضرع والدعاء.

ومنه قول المتنبي في حق سيف الدولة: [طويل]

أخا الجود أعط الناس ما أنت مالك ولا تعطين الناس ما أنا قائل

كما يقول أيضا في السياق نفسه: [طويل]

أزل حسد الحساد عني بكتبهم فأنت الذي صيرتهم لي حسدا

قدم وفد على النبي ﷺ وفيه طهفة بن أبي زهير النهدي، فتكلم وشكا إلى النبي الجذب والقحط وسوء الحال، فقال النبي ﷺ: « اللهم بارك لهم في محضها ومخضها ومذقها، وابعث راعيها في الدثر، بيانع الثمر، وافجر له الشمد، وبارك له في المال والولد.»<sup>(1)</sup>

ورد في الخطاب أفعال الأمر الآتية: بارك - ابعث - افجر. وهي صادرة من النبي ﷺ إلى الله تعالى، أي من المخلوق إلى الخالق، ومنه يخرج الأمر عن كونه حقيقيا، ويؤول على أنه مجازي، والغرض منه الدعاء.

ب- الالتماس: ويكون إذا وجه المتكلم الأمر إلى مساو له في الرتبة، وكان الأمر على سبيل التلطف.

كقول امرئ القيس: [طويل]

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فحومل

وقول أبي فراس: [خفيف]

قل لأحبابنا الجفاة رويدا درجوننا على احتمال الملل

<sup>1</sup> - الجمهرة، ج1، ص 108.

إن المتكلم إذا أبدى التماسه فهذا دليل على حرصه على مشاركة المخاطب له، وبما أن الأمر هنا لا يملك سلطة على المأمور فإن الأمر يخرج إلى الالتماس والتلطف.

- تفاعل أشرف العرب يوماً عند كسرى، فقال شاعر كندة: (1)

إذا قستَ أبيات الرجال بيتنا وجدت لنا فضلاً على من يفاخر

فمن قال كلاً أو أتانا بخطة ينافرنا فيها فنحن نخاطر

تعالوا قفوا كي يعلم الناس أيننا له الفضل فيما أورثته الأكابر

الشاهد في الأبيات قول الشاعر (تعالوا قفوا)، وهو كلام موجه من الشاعر إلى غيره من أشرف العرب وشعرائهم، وهو أمر لا على سبيل الحقيقة، لأنه موجه إلى من هم في مكانته ومنزلته، ومنه يخرج الأمر إلى الالتماس.

ج- التمني: يتحقق التمني إذا وجه المتكلم الأمر إلى ما لا يعقل.

ومنه قول عنتره: [كامل]

يا دار عبلة بالجواء تكلمي وعمي صباحاً دار عبلة واسلمي

ومنه قول ابن زيدون: [طويل]

ويا نسيم الصبا بلغ تحيتنا من لو على البعد حيا كان يجيبنا

لما اشتد القتال بين علي ومعاوية، اختلف أهل العراق في موادة القوم أو قتالهم، وأدلى كلُّ

برأيه في مجلس علي، فقال عمير بن عطار:

<sup>1</sup> - الجمهرة، ج1، ص 12 - 13.



«يا أمير المؤمنين: إن طلحة والزبير وعائشة كانوا أحب الناس إلى معاوية، وكانت البصرة أقرب إلينا من الشام، وكان القوم الذين وثبوا عليك من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، خيراً من الذين وثبوا عليك من أصحاب معاوية اليوم، فوالله ما منعنا ذلك من قتل المحارب، وعيب الواقف، فقاتل القوم، إنا معك.»<sup>(1)</sup>

الشاهد في الخطاب قول عمير (فقاتل القوم)، وهو أمر لا يتضح غرضه إلا بتأمل السياق الذي ورد فيه. وبالعودة إلى المدونة، نجد أن أنصار علي قد اختلفوا حول ما إذا يواصلون القتال أم يجنحون للسلم، فجزء منهم رأوا أن الحرب أنهكتهم، والموادعة فيها راحة للطرفين وحقن للدماء، أما الجزء الآخر فرأوا أن يواصلوا القتال طالما أنهم على الحق. وفي هذا السياق جاء كلام عمير بن عطار، فقد رأى أن القوم قد وهنوا، وأنهم قد يلزمون الإمام علي بالصلح، كما رأى أن علياً قد بدأ يلين نتيجة الضغط من القوم، فكان خطابه هذا، والشاهد فيه كما سبق (فقاتل القوم)، وهو أمر يحمل على التمني، لأن تحصيله يكاد يكون مستحيلاً.

د- النصح والإرشاد: ومنه قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَدَايَنُتُمْ بَدَيْنِ إِلَىٰ أَجَلٍ

مُسَمًّى فَأَكْتُبُوهُ... ﴿٢٤٢﴾ [البقرة].

وكقول أبي العتاهية: [كامل]

واخفض جناحك إن منحت إمارة وارغب بنفسك عن ردى اللذات

أو قول الإمام الشافعي في الأبيات المشهورة: [طويل]

عليك بتقوى الله إن كنت غافلاً يأتيك بالأرزاق من حيث لا تدري

<sup>1</sup> - الجمهرة، ج1، ص 205.

- أوصى أبو بكر خالد بن الوليد فقال: «سر على بركة الله، فإذا دخلت أرض العدو، فكن بعيداً من الحملة، فإني لا آمن عليك الجولة، واستظهر بالزاد، وسر بالأدلاء، ولا تقاتل بمجروح، فإن بعضه ليس منه، واحترس من البيات، فإن في العرب غرة، وأقلل من الكلام، فإن مالك ما وعي عنك، واقبل من الناس علانيتهم، وكلهم إلى الله في سريرتهم، وأستودعك الله الذي لا تضيع ودائعه»<sup>(1)</sup>

اشتمل الخطاب على الأوامر الآتية:

سر - كن - استظهر - احترس - أقلل - اقبل - كل.

صدرت هذه الأوامر من أبي بكر وهو الخليفة صاحب السبق والخبرة، إلى خالد أمير الجيش، وقد توفر فيها شرطاً الاستعلاء والإرادة، مما يوحي أول الأمر بأنها أوامر حقيقية، غير أن القرينة التي تصرفها عن حرفيتها هي حال المخاطب، فخالد أخذ هذه الأوامر لا على سبيل الإلزام، لأن تنفيذها من عدمه راجع إليه، وهنا يؤول الخطاب على أنه نصح وإرشاد.

هـ- التعجيز: وذلك بأمر المخاطب بما يعجز عنه، وبما ليس في وسعه، إظهاراً لضعفه.

ومنه قوله تعالى: ﴿يَنْمَعَشِرَ الْجَنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَتَفُدُّوْا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُدُّوْا لَا تَتَفُدُّوْنَ إِلَّا بِسُلْطَنِ ۖ﴾ [الرحمن]، أو قوله تعالى: ﴿فَقَالَ أَنْبِؤْنِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۖ﴾ [البقرة]

ومنه قول الشاعر: [طويل]

أروني بخيلا طال عمرا ببخله وهاتوا كريما مات من كثرة البذل

<sup>1</sup>- الجمهرة، ج1، ص75.

- قال زيد بن صوحان:

« يا عبد الله بن قيس، رد الفرات عن أدراجه، ارده من حيث يجيء، حتى يعود كما بدأ، فإن قدرت على ذلك، فستقدر على ما تريد، فدع عنك ما لست مدركه. »<sup>(1)</sup>

جاء هذا الخطاب في معرض الرد على أبي موسى الأشعري لما دعا الناس إلى اجتناب الفتنة وملازمة بيوتهم، ولما رأى زيد أن أبا موسى الأشعري لن يستطيع تخذيل الناس، ولا ردهم عن نصرته الإمام علي، قال له: (رد الفرات عن أدراجه، ارده من حيث يجيء). وواضح أن الأمر هنا غير حقيقي، وما يصرفه عن الحقيقة أمران؛ قرينة لغوية، حيث قال: فإن قدرت على ذلك، فستقدر على ما تريد، والكلام فيه تعجيز ظاهر، أما الأمر الثاني فهو الواقع، حيث إن الأمر ينصب على ما لا يستطيع تحصيله (رد الفرات).

و- التهديد: وذلك إذا كان ما أمر به المخاطب غير مرضي عنه. كقوله تعالى: ﴿ أَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ

بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٦٦﴾ [فصلت].

وكقول الشاعر أبي تمام: [وافر]

إذا لم تخش عاقبة الليالي ولم تستحي فاصنع ما تشاء

<sup>1</sup> - الجمهرة، ج1، ص 132.

- تفاخر طريف بن العاصي والحارث بن ذبيان عند بعض مقاول حمير<sup>(1)</sup>، وتحولت المفاخرة إلى سباب ونزاع، فقال طريف يرد على استهزاء الحارث به: «مهلاً يا حارث، لا تعرض لطحمة استناني، وذرب سناني، وغرب شبابي، وميسم سبابي، فتكون كالأظل الموطوء، والعجب الموجوء.»<sup>(2)</sup>

الشاهد في الخطاب قول طريف: (مهلاً يا حارث)، وهو أمر باستعمال اسم فعل الأمر (مهلاً) أي تمهل. والمتأمل في سياق الخطاب يرى أنه جاء في معرض حوار بدأ بالمفاخرة، ثم اتخذ منحى المنافرة، وصار كل طرف يهدد صاحبه، وكاد الرجلان يقتتلان لولا تدخل الملك.

ز- الإباحة: ومعناها حرية القيام بالفعل أو تركه، وتكون إذا توهم المخاطب أن المأمور به محذور عليه، فيكون الأمر هنا إباحة له بالفعل، ولا حرج عليه إن ترك الفعل.

ومنه قوله تعالى: ﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ﴾<sup>ط</sup> ... [البقرة].

- شمل مجلس عند كسرى النعمان بن المنذر ومعه وفود الهند والروم والصين، فتفاخروا كل ببلده، وافتخر النعمان بالعرب، غير أن كسرى ساءه ذلك، فذكر محاسن تلك الأمم، وبالمقابل ذكر كل ما يعرفه من مساوئ العرب، فقال النعمان: «أصلح الله الملك، حق لأمة الملك منها أن يسمو فضلها، ويعظم خطبها، وتعلو درجتها، إلا أن عندي جوابا في كل ما نطق به الملك، في غير رد عليه، ولا تكذيب له، فإن أمنني من غضبه نطقت به، قال كسرى: قل فأنت آمن.»<sup>(3)</sup>

1- من هو دون الملك الأعظم.

2- الجمهرة، ج1، ص 6.

3- الجمهرة، ج1، ص 16.

الشاهد في الخطاب قول كسرى (قل فأنت آمن)، وهو أمر غير حقيقي، بل فيه إذن بالكلام، لأن السياق يوحي بأن النعمان لا يستطيع أن يتكلم دون أن يأخذ الإذن من الملك، خاصة وأن الكلام سيكون فيه ما يرفع من شأن العرب، ويحط من شأن الأمم الأخرى، لذلك طلب النعمان الأمان.

ح- التحقير: ومعناه قريب من الاستهزاء والإهانة. كقوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالَ لَهُم

مُوسَى الْقَوَا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ ﴿٨﴾ [يونس]

ومنه قول جرير يحقر الفرزدق وقومه:

خذوا كحلا ومجمره وعطرا      فلستم يا فرزدق بالرجال

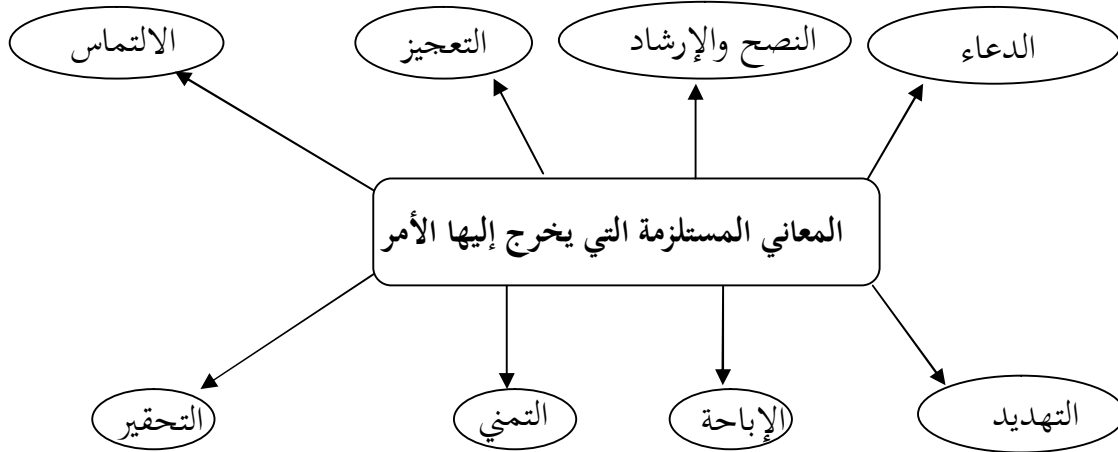
وشموا ريح عيبتكم فلستم      بأصحاب العناق ولا النزال

-وفدت أروى بنت الحارث بن عبد المطلب على معاوية وهي عجوز كبيرة، فلما تكلمت أغلظت لمعاوية القول، فقال لها عمرو بن العاص: « كفى أيتها العجوز الضالّة، وأقصري من قولك، وغضبي من طرفك. قالت: ومن أنت، لا أمّ لك؟ قال: عمرو بن العاص، قالت: يا ابن اللخناء النابغة تتكلم، وأمك كانت أشهر امرأة تغني بمكة، وآخذهن لأجرة! أربع على ظلعك، واعن بشأن نفسك؛ فوالله ما أنت من قريش في اللباب من حسيها، ولا كريم منصبها.»<sup>(1)</sup>

اشتمل الخطاب على جملة من الأوامر هي (كفى - أقصري - غضبي - أربع - اعن)، وقد وجه عمرو بن العاص كلامه إلى أروى بنت الحارث في شكل أمر، لكن بالنظر إلى حال المخاطب، وهي هنا عجوز كبيرة، إضافة إلى أنها أساءت إلى أمير المؤمنين، عندئذ يحمل الأمر على التحقير والتقليل من الشأن. كما أن أروى لما عرفت محدثها، وكانت تعرف أصله ونسبه، وفهمت ما في كلامه من تحقير، ردت عليه بأقذع مما قال، وكان كلامها كله تحقيرا.

<sup>1</sup> - الجمهرة، ج2، ص 363 - 364.

ويمكن توضيح المعاني المستلزمة التي يخرج إليها الأمر في الخطاطة الآتية، وقد يخرج إلى معان أخرى تستفاد من السياق والقرائن.



### 2-1-2- النهي:

عرفه التفتازاني بقوله: «هو طلب الكف عن الفعل استعلاء»<sup>(1)</sup> ويقول القزويني: «وله حرف واحد وهو "لا" الجازمة في نحو قولك: لا تفعل. وهو كالأمر في الاستعلاء»<sup>(2)</sup> وتشبيه النهي بالأمر قال به المبرد(ت 285) من قبل: «اعلم أن الطلب من النهي بمنزلة من الأمر يجري على لفظه كما جرى على لفظ الأمر.»<sup>(3)</sup> والفرق بينه وبين الأمر أن النهي طلب ترك، أما الأمر فطلب فعل.

1- التفتازاني: المطول شرح تلخيص مفتاح العلوم، تحقيق: عبد الحميد هندراوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط3، 2013، ص 427.

2- عبد المتعال الصعيدي: بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح، مكتبة الآداب، ط2، دت، ج2، ص 56.

3- المبرد: المقتضب، تحقيق: محمد عبد الخالق عزيمة، القاهرة، ط3، 1994، ج2، ص 133.

وحتى يكون النهي حقيقيا لا بد من توفر عنصري الاستعلاء والإلزام، وذلك بأن يصدر عن يملك السلطة، وأن يكون بإمكان المخاطب الانتهاء عن الفعل. كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَرُوا بِاللِّقَبِّ...﴾ [الحجرات]

وقوله: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ...﴾ [الأنعام] ويخرج النهي إلى معان مستلزمة كثيرة منها<sup>(1)</sup>:

أ-الدعاء: يتحقق إذا كان النهي من أدنى إلى أعلى، ومنه قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِيصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ...﴾

ومنه قوله الشاعر كعب بن زهير للنبي (ص): [طويل]

لا تأخذني بأقوال الوشاة ولم أذنب وقد كثرت في الأقاويل

-شاور المهدي أهل بيته في حرب خراسان، فقال ابنه موسى: «أيها المهدي: لا تسكن إلى حلاوة ما يجري من القول على ألسنتهم، وأنت ترى الدماء تسيل من خلل فعلهم»<sup>(2)</sup>

الشاهد في الخطاب قول المتكلم (لا تسكن)، وهو نهي يفتقد شرط الاستعلاء فضلا عن شرط الإلزام، لأن الخطاب صادر من الأدنى منزلة إلى الأعلى منزلة، فالتكلم هنا هو موسى بن المهدي

1 - ينظرعبدالعزیز: البلاغة الاصطلاحية، ص 157 وما بعدها.

<sup>2</sup>- الجمهرة، ج3، ص 59.

(الابن، وأحد الرعية)، أما المخاطب فهو (الأب والخليفة)، ولأن النهي هنا فقد ما يجعله حقيقياً، ونظراً لمكانة طرفي الخطاب من بعضهما بعضاً، يحمل النهي على الدعاء.

ب- النصح والإرشاد: إذا صدر النهي من أعلى إلى أدنى دون إلزام، أو كان من ذوي الخبرة.

من ذلك قوله تعالى: ﴿لَا تَسْأَلُوا عَنَ أَشْيَاءَ إِن تَبَدَّ لَكُمْ تَسْؤُكُمْ...﴾ [المائدة]

وكقول الشاعر أبي العلاء: [وافر]

ولا تجلس إلى أهل الدنيا فإن خلائق السفهاء تعدي

وقول الطغرائي: [كامل]

لا تطمحن إلى المراتب قبل أن تتكامل الأدوات والأسباب

- جاء في خطبة للنبي ﷺ: «أحبوا من أحب الله، وأحبوا الله من كل قلوبكم، ولا تملوا كلام

الله وذكره، ولا تقسوا عليه قلوبكم، اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً...»<sup>(1)</sup>

اشتمل الخطاب على النهي الآتي: ( لا تملوا - لا تشركوا )، ولما كان المتكلم هو النبي ﷺ،

والمخاطب هم الصحب الكرام، فإن المخاطب لا يملك إلا أن يحمل الكلام على أنه نصح وتوجيه من النبي الكريم، ذلك لأن النبي ما جاء إلا ناصحاً مرشداً.

ج- التهكم: وذلك إذا رأى المتكلم سوء تصرف من المخاطب، فقابل ذلك بنقد لاذع بقصد الإهانة.

ومنه قوله تعالى: ﴿أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ...﴾ [النحل]، فقد استعجل الكفار عذاب

الله تعالى مستهزئين، فقبول ذلك التهكم بمثله.

ومنه قول الحطيئة في حق الزبرقان: [بسيط]

<sup>1</sup> - الجمهرة، ج1، ص 53 - 54.



دع المكارم لا ترحل لبغيتهما واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي

وقول الشاعر: [بسيط]

لا تطلب الجمد إن الجمد سلمه صعب وعش مستريحا ناعم البال

لما تفاخر طريف بن العاصي والحارث بن ذبيان، واشتدت المنافرة بينهما، قال طريف: « مهلاً يا حارث، لا تعرض لطحمة استناني، وذرب سناني، وغرب شبابي، وميسم سبابي، فتكون كالأظل الموطوء، والعجب الموجوء.»<sup>(1)</sup>

جاء هذا الخطاب في معرض الرد على الحارث، إذ سبه وقلل من شأنه، فطريف يقول إنه إذا نشط فهو السيل الهادر، ولسانه حاد كسيفه، لذلك جاء النهي (لا تعرض)، الذي ظاهره نصح، وباطنه تهكم واحتقار.

د- التهديد: ويتحقق إذا كان بهدف التخويف والتحذير. ومنه قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران] ففي الآية تحذير من الردة إلى الكفر بعد الإيمان.

- قال خالد بن عبد الله القسري:

«... أيها الناس: فعليكم بالطاعة، ولزوم الجماعة، وإياكم والشبهات؛... فسلموا وأطيعوا، ولا تقولوا كَيْتَ وَكَيْتَ،... فإياكم أن تنزلوا أحداً ممن تعلمون أنه زائف عن الجماعة، فإني لا أجد أحداً منهم في منزل أحد منكم إلا هدمت منزله، فانظروا من تنزلون في منازلكم.»<sup>(2)</sup>

<sup>1</sup>- الجمهرة، ج1، ص 6.

<sup>2</sup>- نفسه، ج2، ص 306.

يتضح من الخطاب أن المتكلم يدعو إلى الطاعة ولزوم الجماعة، ويرتب على مخالفة ذلك الصلْب في الحرم، وقد اشتمل الخطاب على النهي في قوله ( ولا تقولوا كَيْتَ وَكَيْتَ )، وهي عبارة لا تنصب على قول أو فعل معينين، بل تشمل كل ما من شأنه أن يفرق الجماعة، أو يثير الفتنة، وبإعمال قرينة السياق، يفهم المخاطب أن العبارة تحمل تهديدا واضحا، ذلك أن المتكلم (خالد بن عبد الله) بلغه أن هناك من يحاول شق عصا الطاعة، ومفارقة الجماعة ثم إن المخاطب يُعمل قرينة أخرى حتى يؤول الخطاب على أنه تهديد، وهي قرينة لغوية في الخطاب نفسه، فقد قال: (فإياكم أن تنزلوا أحداً ... إلا هدمت منزله).

هـ - التوبيخ: ومنه قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْمُونَ ﴾ [البقرة].

وقول الشاعر: [كامل]

لا تنه عن خلق وتأتي مثله عار عليك إذا فعلت عظيم

-كتب الإمام علي إلى عبد الله بن عباس أن يُشخص إليه بعض أهل البصرة، فاستجاب له نفر استقلهم ابن عباس، فقام فيهم خطيباً:

« يا أهل البصرة: قد جاءني كتاب أمير المؤمنين يأمرني بإشخاصكم، ... ألا فانفروا، ولا يجعل امرؤ على نفسه سبيلاً فيني موقع بكل من وجدته تخلف عن دعوته، عاصياً لإمامه، حزناً يعقب ندماً، وقد أمرت أبا الأسود بحشدكم، فلا يلم امرؤ جعل السبيل على نفسه إلا نفسه. »<sup>(1)</sup>

إذا بدر من الشخص فعل أو قول يخالف ما يتوقع منه، أو ما هو مطلوب منه، فإنه يخاطب بكلام شديد اللهجة، يحمل الإنكار والتوبيخ والتفريع، وهو ما فعله ابن عباس مع القوم، إذ كان يرجو

<sup>1</sup> - الجمهرة، ج1، ص 230 - 231.

أن يستجيبوا له ولدعوة الإمام علي، لكنهم خالفوا ظنه، فما كان منه إلا أن يوجههم ويهددهم، والشاهد على النهي في الخطاب قوله: (ولا يجعل امرؤ...، فلا يلم امرؤ...). والذي يجعل المخاطب يؤول الخطاب على أنه توبيخ ما يلي:

قرينة السياق: دعاهم.. فعصوا.

قرينة معرفية: فعلهم هذا يستحق التوبيخ.

و- التمني: وذلك إذا كان موجها لغير العاقل، أو كان المخاطب في منزلة أعلى.

كقول الخنساء: [متقارب]

أعيني جودا ولا تجمدا ألا تبكيان لصخر الندى

- سجن الحجاج يزيد بن المهلب، ولما فرّ تَعَوَّذَ بسليمان بن عبد الملك، فطلب له الأمان من أخيه الوليد بن عبد الملك، وبعث معه بابنه أيوب، فلما دخل عليه قال أيوب:

« يا أمير المؤمنين نفسي فداؤك، لا تخفر ذمة أبي، وأنت أحق من منعها، ولا تقطع منا رجاء من رجا السلامة في جوارنا، لمكاننا منك، ولا تذلل من رجا العز في الانقطاع إلينا لعزنا بك. »<sup>(1)</sup>

ورد في الخطاب مجموعة من النواهي هي: ( لا تخفر - لا تقطع - لا تذلل )، ولأن الكلام موجه من الأدنى منزلة إلى الأعلى منزلة، فإن الظاهر أن يحمل الخطاب على الدعاء، غير أن مؤول الخطاب إذا ما فُعل قرينة السياق سيتضح له معنى آخر؛ ذلك أن يزيد لما فر من سجن الحجاج، كتب الحجاج يخبر الوليد بخيانة آل المهلب، فما كان من يزيد إلا أن يستجير بسليمان بن عبد الملك، فاستشفع سليمان أخاه الوليد، وحتى يخرجه بعث بابنه أيوب. إذن، فالذي يتتبع سياق الخطاب والظروف المحيطة به يرى

<sup>1</sup> - الجمهرة، ج2، ص 331.

أن عفو الملك عن يزيد كان بعيد المنال إن لم يكن مستحيلاً، ولذلك يحمل النهي في الخطاب على التمني.

### 2-1-3- الاستفهام:

مبحث الاستفهام من أبرز المباحث الفلسفية والتداولية المعاصرة، وهو في أصل الوضع طلب المعلومة أو الخبر، غير أنه «يختلف عن باقي أنواع الطلب في أن حركة المعنى فيه تنتقل من الخارج لتنتقل في الذهن، في حين أن الأنواع الأخرى تنتقل الحركة فيها من الذهن لتتحقق في الخارج»<sup>(1)</sup>

جاء في تعريف الاستفهام: «الهمزة والسين والتاء تفيد معنى الطلب في هذه الكلمة، والمطلوب هو الفهم. والفهم يعني حصول صورة المراد فهمه في النفس وإقامة هيئته في العقل»<sup>(2)</sup> والاستفهام عند سيبويه يراد به أمر لم يستقر عند السائل<sup>(3)</sup>، فهو إذن للبحث عن المجهول لدى المتكلم.

ويتحقق الاستفهام بواسطة كلمات كثيرة، كلها أسماء، عدا كلمتين هما: هل والهمزة، فهما حرفان.<sup>(4)</sup> ويمكن توضيح هذه الأدوات في المخطط الآتي:<sup>(5)</sup>

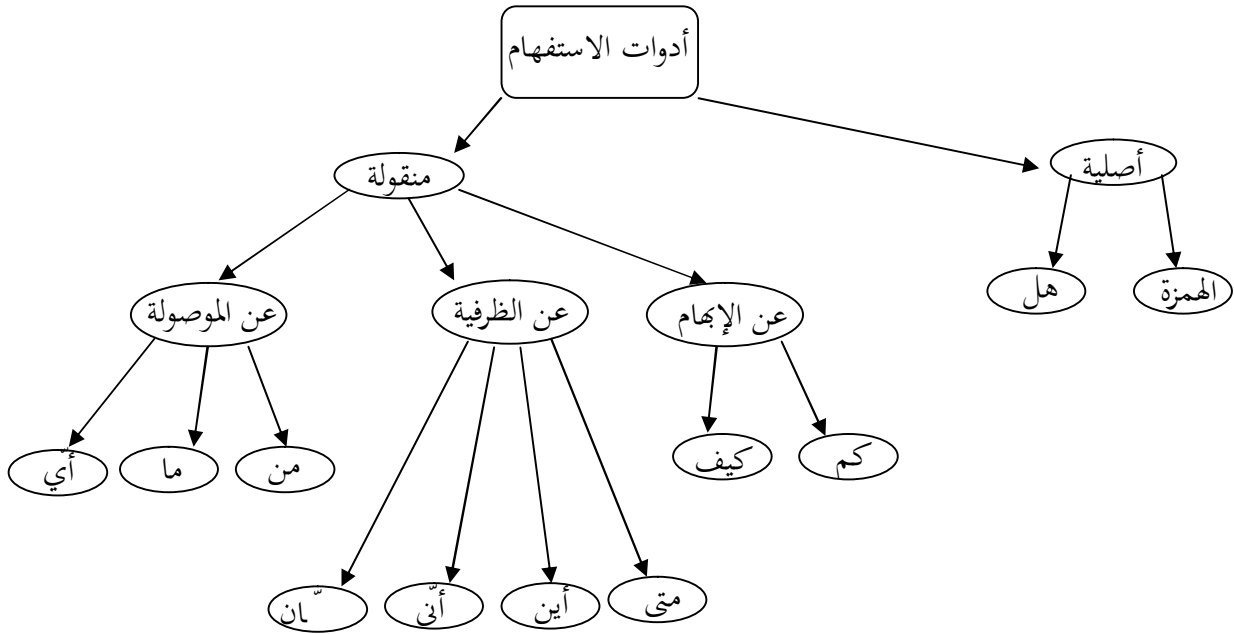
1- محمد زكي صلاح أبو حميدة: البلاغة والأسلوبية عند السكاكي، ص 184.

2- محمد محمد أبو موسى: دلالات التراكيب دراسة بلاغية، مكتبة وهبة، مصر، ط2، 1987، ص 203.

3- سيبويه: الكتاب، ج1، ص 99.

4- عبده الراجحي: التطبيق النحوي، ص 63.

5- تمام حسان: الخلاصة النحوية، عالم الكتب، ط1، 2000، ص 142.



إذا دلت هذه الأدوات على معنى طلب الإفهام والإعلام كان الاستفهام حقيقياً، غير أنه كثيراً ما تخرج هذه الأدوات عن دلالاتها الأصلية، لتنفيذ دلالات مقامية حسب قصد المتكلم، بحيث يتيح له تنوعاً أسلوبياً يتناسب مع حال المخاطب، ويستدل على هذه المعاني بالقرائن المختلفة. وفيما يلي عرض لبعض هذه المعاني المستلزمة غير المباشرة للاستفهام: (1)

أ- **النفي**: ومنه قوله تعالى: ﴿ قَالُوا أَنْتُمْ لَكُمْ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَالُونَ ﴾ [الشعراء]، أي: لا نؤمن، والنفي هنا مشوب بالإنكار. وكقوله تعالى أيضاً: ﴿ أَفَعَيَيْنَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ ... ﴾ [ق].

وقول البحثري: [طويل]

هل الدهر إلا غمرة وأنجلاؤها وشيكا وإلا ضيقة وانفراجها

1- ينظر: عبده عبد العزيز: البلاغة الاصطلاحية، 167 وما بعدها. وينظر: عبد الرحمن حسن الميداني: البلاغة العربية، ج1، ص 271 وما بعدها.

أو قول أبي تمام: [طويل]

هل اجتمعت أحياء عدنان كلها بملتحم إلا وأنت أميرها

- مرض الحجاج ففرح أهل العراق بموته، فصعد المنبر فقال: «إن طائفة من أهل العراق، أهل الشقاق والنفاق، نزع الشيطان بينهم فقالوا: مات الحجاج، ومات الحجاج فمه؟ وهل يرجو الحجاج الخير إلا بعد الموت؟»<sup>(1)</sup>

ورد في الخطاب الاستفهام الآتي: ( وهل يرجو الحجاج الخير إلا بعد الموت؟ )، وقد أراد به الحجاج نفي حبه البقاء في الدنيا، ونفي خوفه من الموت، والسياق يدل على ذلك، كما أكد الحجاج نفيه هذا بأن من رضي الله له بالتخليد هو إبليس.

ب-التقرير: وهو « حملك المخاطب على التقرير والاعتراف بأمر قد استقر عنده ثبوته أو نفيه»<sup>(2)</sup> فهو إثبات المستفهم عنه، وكثيرا ما يختص بالوقوع بعد النفي. ومنه قوله تعالى: ﴿... أَلَمْ أَقُلْ لَّكَ إِنَّكَ لَن

تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾ [الكهف] وقوله: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ... ﴿٦٨﴾ [الزمر]

يقول جرير: [وافر]

ألستم خير من ركب المطايا وأندى العالمين بطون راح

ويقول لييد: [طويل]

أليس ورائي إن تراخت منيتي لزوم العصا تحنى عليها الأصابع

- قال النبي ﷺ في حجة الوداع:

1- الجمهرة، ج2، ص 286.

2- ابن هشام: المغني، ج1، ص 95.

«...أيها الناس: إن الشيطان قد يئس أن يعبد في أرضكم هذه، ولكنه قد رضي أن يطاع فيما سوى ذلك مما تحقرون من أعمالكم،... ألا هل بلغت؟ اللهم اشهد.»<sup>(1)</sup>

إن المتكلم هنا هو النبي ﷺ، والمعرفة الخلفية للمخاطب تقول بأنه مصدق فيما يقول ويفعل، وأنه جاء مبلغاً عن ربه، وأنه قد بلغ الرسالة وأدى الأمانة، ومنه فالنبي ﷺ يريد بالاستفهام أن يقرأوا بما دعاهم إليه، وبما وجههم.

ج-التشويق: ومنه قوله تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا هَلْ أَذُكُمَّرَ عَلَىٰ تَحِيْرَةٍ تُنْجِيكُمْ مِّنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ﴿١٦﴾﴾ [الصف]، وقوله تعالى: ﴿قُلْ أَوْبَيْتُكُمْ بِخَيْرٍ مِّنْ ذَٰلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ... ﴿١٥﴾﴾ [آل عمران].

- قال الأحنف بن قيس: «ألا أدلكم على المحمّدة بلا مرزئة؟ الخلق السجّيح، والكفّ عن القبيح، ألا أخبركم بأدوأ الداء؟ الخلق الدنيّ، واللسان البذي.»<sup>(2)</sup>

واضح أن المتكلم لا ينتظر جواباً من المخاطب عن الاستفهام الوارد في الخطاب، ومنه فالاستفهام غير حقيقي، وحتى نقف على المقصود منه، لا بد من النظر في حال المتكلم وحال المخاطب؛ فالمتكلم هو الأحنف بن قيس، وهو حكيم قومه، لا ينطق إلا عن حكمة وتبصر، وهكذا عهدته قومه، فإذا نطق اشربت الأعناق، وخفتت الأصوات، لتلقي الدرر التي سينطق بها، ومنه يتضح أن غرض المتكلم من الاستفهام هو التشويق.

ومن التشويق أيضاً قول النبي ﷺ يوم فتح مكة:

«يا معشر قريش "أو يا أهل مكة" ما ترون أني فاعل بكم؟ قالوا خيراً، أخ كريم، وابن أخ كريم، قال: اذهبوا فأنتم الطلقاء.»<sup>(3)</sup>

<sup>1</sup> - الجمهرة، ج1، ص 58.

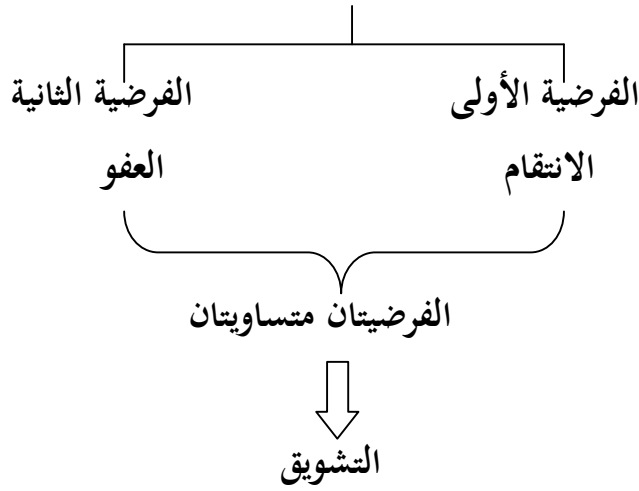
<sup>2</sup> - نفسه، ج2، ص 341.

<sup>3</sup> - نفسه، ج1، ص 52.

فقد ورد في الخطاب استفهام النبي ﷺ: (ما ترون أني فاعل بكم؟) وحتى يستطيع مؤول الخطاب فهم المقصود فإنه يستعين بعدة قرائن:

قرينة السياق: جاء الخطاب في فتح مكة، والمتكلم هو النبي ﷺ، أما المخاطب فهم أهل مكة.  
 قرينة معرفية: من عادة المنتصر في الحرب أن يأسر خصومه، أو يوقع عليهم العقاب، وأهل مكة يعرفون جيدا أنهم عادوا النبي سنين طويلة، وأنهم فعلوا ما يوجب عليهم العقاب.  
 قرينة معرفية أخرى: يعرف أهل مكة أن النبي ﷺ من أكرم الناس، والانتقام ليس من أخلاقه، لذلك ذكره بلحمة القربى (أخ كريم، وابن أخ كريم).  
 ومع ذلك فجرمهم في حق النبي أكبر من عفو، ولا يتضح لهم ما سيفعله بهم، لذلك يحمل الاستفهام على التشويق. ويمكن توضيح ذلك في الخطاطة الآتية:

ما ترون أني فاعل بكم؟



د-التعجب: يكون الاستفهام تعجبيا « حين يكون صادرا من متعجب فعلا. ويسمى استفهاما تعجبيا حين يكون الغرض من إيراده إثارة العجب عند من يخاطب به أو يتلقاه»<sup>(1)</sup> ومنه قوله تعالى: ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أََمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ

1 - عبد الرحمن حسن الميداني: البلاغة العربية، ص 278.



تُرَجَّعُونَ ﴿٢٨﴾ [البقرة]. والاستفهام هنا تعجيبى لأنه صادر من الله تعالى، وهو مشوب بالتوبيخ والتأنيب.

ومنه قول أبي الطيب وقد أصابته الحمى:

أبنت الدهرِ عندي كلُّ بنتٍ  
فكيف وصلتِ أنتِ من الزحامِ

- قال أعرابي عند بعض الملوك:

« إن جهلاً أن يقول المادح بخلاف ما يعرف من الممدوح، وإني والله ما رأيت أعشق للمكارم في زمان اللؤم منك، وأنشد: [كامل]

مالي أرى أبوابهم مهجورة؟  
حابوك أم هابوك أم شاموا الندى  
وكأن بابك مجمع الأسواق  
بيديك فاجتمعوا من الآفاق  
إني رأيتك للمكارم عاشقاً  
والمكرّمات قليلة العشاق»<sup>(1)</sup>

إن السياق سياق مدح، فالأعرابي يمدح الملك، ويرى بأنه عاشق للمكرّمات في زمان اللؤم، ويقارنه بغيره، فالملك بابه مزدحم كأنه سوق، وقد تفرد عن غيره بهذا، وذلك ما جعل الأعرابي يندهش ويتعجب: مالي أرى أبوابهم مهجورة؟

أبوابهم مهجورة في مقابل ← بابك مجمع الأسواق ← اندهاش وتعجب.

هـ- الإنكار: « يسمى استفهاماً إنكارياً، ويراد منه النفي، مع الإنكار على المثبت كيف أثبت ما هو ظاهر النفي، وكان الواجب عليه أن ينفي، أو مع الإنكار على المخاطب قضيته، وهي باطلة في تصور موجه الاستفهام»<sup>(2)</sup>

1- الجمهرة، ج3، ص 304.

2 - عبد الرحمن حسن الميداني: البلاغة العربية، ص 271.

كقوله تعالى ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ ... ﴾ [آل عمران]، وقوله أيضا: ﴿ أَفَأَصْفَنكُمْ رَبُّكُم بِالْبَيْنِ وَأَتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنْتًا ... ﴾ [الإسراء]

وكقول المتنبي: [طويل]

أتلتمس الأعداء بعد الذي رأيت قيام دليل أو وضوح بيان

وكقول العجاج بن ربيعة: [رجز]

أطربا وأنت قنسري والدهر بالإنسان دواري

- قال عثمان بن عفان لما نقم الناس عليه:

« إن لكل شيء آفة، وإن لكل نعمة عاهة، في هذا الدين عيابون ظنانون، يظهرون لكم ما تحبون، ويسرون ما تكرهون،... هل تفقدون من حقوقكم شيئا؟ فما لي لا أفعل في الحق ما أشاء؟ إذن فلم كنت إماما؟ »<sup>(1)</sup>

إن قصد عثمان رضي الله عنه من الاستفهام (هل تفقدون من حقوقكم شيئا؟) هو أن يحمل من نعموا عليه على الإقرار بتمتعهم بكل حقوقهم، وبعد الإقرار بذلك، هو ينكر عليهم نعمتهم عليه بقوله: فما لي لا أفعل في الحق ما أشاء؟ إذن فلم كنت إماما؟ أي مادمت إماما، ومادمت على الحق، فنقمتكم باطلة، ولا تستند إلى أي عذر، ويحمل الاستفهام الإنكاري هنا دلالة أخرى هي التقييح والتوبيخ.

و- الاستبعاد: كقوله تعالى: ﴿ أَنِّي لَهُمُ الذِّكْرَىٰ وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ ﴾ ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَجْنُونٌ ﴾ [الدخان]

1- الجمعة، ج1، ص 102.

ومنه قول أبي تمام: [كامل]

من لي بإنسان إذا أغضبتَه      وجهلت كان الحلم رَدَّ جوابه

وقول شوقي:

من لنضوٍ يتَنَزَّى ألما      بَرَّحَ الشوق به في الغلس

حن للبان وناجى العلما      أين شرق الأرض من أندلس

- لما خطب الإمام علي يحرّض الناس على المسير إلى صفين لقتال أهل الشام، تكلم جمع من أصحابه، منهم من يثبطه على المسير، ومنهم من يحثه، فقال عبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعي:

« يا أمير المؤمنين: إن القوم لو كانوا الله يريدون، والله يعملون، ما خالفونا، ولكن القوم إنما يقاتلوننا فراراً من الأسوة، ... وعلى إحنٍ في نفوسهم، وعداوة يجدونها في صدورهم، لوقائع أوقعتها يا أمير المؤمنين بهم قديمة، قتلت فيها آباءهم وأعاونهم، ثم التفت إلى الناس فقال: كيف يبائع معاوية علياً، وقد قتل أخاه حنظلة، وخاله الوليد، وجده عتبة، في موقف واحد، والله ما أظنهم يفعلون، ...»<sup>(1)</sup>

يستفهم المتكلم في الخطاب عن إمكانية مبايعة معاوية علياً، ويربط ذلك بقتل أخيه حنظلة، وخاله الوليد، وجده عتبة، من قبل عليّ في موقف واحد. وبتفعيل مبدأ التعاون نجد أن المتكلم يوظف ما يلي حتى يبين عن قصده:

قرينة معرفية: فكل الأطراف تعرف جيداً ما حصل في غزوة بدر، من قتل حنظلة والوليد وعتبة، وهم أهل بيت معاوية. ومع أنهم كانوا أهل كفر، إلا أن المتكلم يوحى إلى أن القوم لم ينسوا ثأرهم، والطمع في الصلح معهم بعيد المنال.

<sup>1</sup> - الجمهرة، ج1، ص 148.

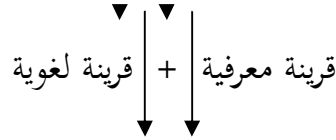
قرينة لغوية: أكد المتكلم رأيه، واستعمل القسم لذلك: **والله ما أظنهم يفعلون.**

**النتيجة:** إن مؤول الخطاب، واستنادا إلى القرائن السابقة، يدرك قصد المتكلم من أن الاستفهام إنما كان غرضه الاستبعاد.

ويمكن إجراء التحليل كما يلي:

**كيف يبائع معاوية عليا وقد قتل أخاه حنظلة، وخاله الوليد، وجده عتبة، في موقف واحد؟**

سؤال عن أمر مجهول (معنى حرفي)



**الاستبعاد (معنى مستلزم)**

وهناك أغراض أخرى يخرج إليها الاستفهام بمعونة القرائن ومنها: الوعيد - التهكم - التحقير - التسوية - الأمر...

**2-1-4- النداء:** هو من الأساليب الإنشائية الطلبية<sup>(1)</sup>، ويعرف بأنه « هو طلب المتكلم إقبال المخاطب عليه، بحرف من حروف النداء »<sup>(2)</sup>، أو هو طلب الإقبال حقيقة أو حكما.<sup>(3)</sup> أي توجيه الطلب إلى شخص أو حيوان أو جماد. كقولك لابنك: يا بني، أو قوله تعالى: ﴿يَنْجِبَالُ أَوْبِي﴾

1- وقد عدده بعض المحدثين من قبيل الإنشاء غير الطلبي، أو التركيب الإفصاحي. ينظر: سناء حميد البياتي: قواعد النحو العربي في ضوء نظرية النظم، دار وائل للنشر، الأردن، ط1، 2003، ص 433-434.

2- علي جميل سلوم وحسن محمد نور الدين: الدليل إلى البلاغة وعروض الخليل، دار العلوم العربية، بيروت، ط1، 1990، ص 52.

3- ينظر: عبده عبد العزيز: البلاغة الاصطلاحية، ص 181.

مَعَهُ وَالطَّيْرُ... ﴿ ﴿ [سبأ] وحروف النداء ثمانية: يا - الهمزة - أي - آي - أيا - هيا - وا -  
آ. (1)

والنداء إذا كان يحمل معنى الإقبال وتنبية المخاطب فهو النداء الحقيقي، أي نداء القريب بأدواته،  
ونداء البعيد بأدواته، أما النداء البلاغي فله صورتان<sup>(2)</sup>؛ نداء القريب بأداة البعيد والعكس، وفي ذلك  
دلالة على علو منزلة المنادى أو الخطاطها.

كقول ابن الرومي: [كامل]

يا رب إن عظمت ذنوبي كثرة فلقد علمت بأن عفوك أعظم

وقول الفرزدق: [طويل]

أولئك آبائي فجئني بمثلهم إذا جمعنا يا جرير الجامع

أما الصورة الثانية فليس لها علاقة بالقرب أو البعد، وليس فيها شيء من معنى الإقبال، وإنما يكون  
للنداء فيها غرض آخر، لا يستفاد إلا بمعونة القرائن، ومن هذه الأغراض:

أ-التحسر: كقوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَنْحَسِرْتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا  
وَهُمْ تَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ ۗ أَلَا سَاءَ مَا يَزُرُونَ ﴿ ﴿ [الأنعام].

ومنه قول ابن الرومي: [خفيف]

يا شبابي وأين مني شبابي آذنتي حباله بانقضاب

1- للتفصيل في معاني هذه الأدوات وضوابط استعمالها، ينظر: فاضل صالح السامرائي: معاني النحو، جامعة بغداد، دط، 1990، ج4، ص 692 وما بعدها.

2- ينظر: : عبده عبد العزيز: البلاغة الاصطلاحية، ص 182.

وقول الآخر في رثاء معن بن زائدة: [طويل]

فيا قبر معن كيف وارىت جوده      وقد كان منه البر والبحر مترعا  
- دخلت أم البراء بنت صفوان على معاوية، فذكرها بنصرتها الإمام علياً، ورثائها إياه:  
« قال: كيف كان قولك حين قتل؟ قالت: أنسيته، قال بعض جلسائه: هو والله حين  
تقول: [كامل]

يا للرجال لعظم هول مصيبة      فدحت فليس مصابها بالحائل  
الشمس كاسفة لفقد إمامنا      خير الخلائق والإمام العادل  
يا خير من ركب المطي ومن مشى      فوق التراب لمحتف أو ناعل  
حاشا النبي لقد هددت قواءنا      فالحق أصبح خاضعا للباطل»<sup>(1)</sup>

إن السياق الذي قيلت فيه الأبيات سياق رثاء، وهو عادة ما يصاحب بالألم والحسرة على فراق الأحبة، وخاصة إذا كان المرثي ذا مكانة وشأن مثل الإمام علي، وقد وظفت الشاعرة معجماً لغوياً يتناسب وإظهار الحسرة، من قبيل: مصيبة-كاسفة-فقد-الباطل، كما أن النداء للميت لا يدل إلا على التحسر. ومنه يفعل المخاطب مجموعة قرائن ليصل إلى معنى التحسر الذي في الخطاب:

السياق: رثاء الإمام علي من قبل أحد أنصاره.

قرينة لغوية: المعجم اللغوي + النداء.

قرينة حالية: فحال الشاعرة هنا يدل على انكسارها وضعفها.

ب- التعجب: ومنه قوله تعالى: ﴿... يَبْشُرِي هَذَا غُلْمٌ...﴾ ﴿١٦﴾ [يوسف]

1- الجمهرة، ج2، ص 367.

وكقول طرفة: [رجز]

يا لك من قبرة بمعمر خلا لك الجو فيضي واصفري

وقول الشاعر: [طويل]

فيا لك من ليل كأن نجومه بكل مغار الفتل شدت بيدبل

- دخلت أم سنان بنت خيثمة على معاوية تكلمه في حفيد لها حبسه مروان بن الحكم، غير أن معاوية وبعض جلسائه ذكروها بمعاداتها لهم، وانتصارها لعلي:

« قالت: يا أمير المؤمنين ... والله ما أورثك الشنآن في قلوب المسلمين إلا هؤلاء، فادحض مقالته، وأبعد منزلتهم، فإنك إن فعلت ذلك تزدد من الله قرباً، ومن المؤمنين حباً، قال: وإنك لتقولين ذلك؟ قالت: يا سبحان الله، والله ما مثلك من مدح بباطل، ولا اعتذر إليه بكذب.»<sup>(1)</sup>

وجهت أم سنان نصيحة لمعاوية - بعد أن اعتذرت منه - بأن يبعد عنه بطانة السوء التي تبغضه للمسلمين، لكنه واجهها باستفهام يحمل في طياته الشك، وعدم التصديق، فتعجبت من ذلك. فعبارة سبحان الله في أصل الوضع هي للتعجب، وإذا دخل عليها النداء، خرج عن أصله (أي التنبيه) إلى غرض بلاغي هو التعجب.

ج- التهكم: ومنه قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴾ [الحجر].

وقول الشاعر دعبل يسخر من زوجته: [كامل]

يا من أشبهها بحمي نافض قطاعة للقلب ذات زفير

<sup>1</sup>- الجمهرة، ج2، ص 360 - 361.

- غضب قتيبة بن مسلم على الناس إذ دعاهم إلى خلع سليمان بن عبد الملك، فلم يجيبوه، فقال:

«لا أعزَّ الله من نصرتم، والله لو اجتمعتم على عنز ما كسرتم قرنهما، يا أهل السافلة، ولا أقول أهل العالية. يا أوباش الصدقة، ... يا معشر بكر بن وائل، يا أهل النفخ والكذب والبخل... يا أصحاب مسيلمة. يا بني ذميم، ولا أقول تميم، يا أهل الخور والقصف والغدر... يا أصحاب سجاح، يا معشر عبد القيس القساة، تبدلتم بأبر النخل أعنة الخيل، يا معشر الأزد، تبدلتم بقلوس السفن أعنة الخيل والحصن، إن هذا لبدعة في الإسلام.»<sup>(1)</sup>

إن الخطاب صادر عن أمير رفض الناس طاعته، لذلك فهو غاضب جدا، فقد وظف معجما لغويا يتناسب مع حاله، بحيث وصفهم بكل نقيصة، ولم يترك صفة دنيئة لمخاطبيه إلا وألصقها بهم، لذلك ليس من الصعب حمل النداء الوارد في الخطاب على التهكم، بل يضاف إليه التعنيف والتحقير.

و- الإغراء: ومنه قول المتنبي: [بسيط]

يا أعدل الناس إلا في معاملتي      فيك الخصام وأنت الخصم والحكم

فالشاعر هنا يثبت عدل الممدوح لكل الناس ويستثني نفسه، ليرغبه في أن يشملته بعفوه ويكافئه.

- استقدم معاوية أم الخير بنت الحريش، وقد كانت في صف علي تناصره، وتؤلب ضد، فلما دخلت قالت: «السلام عليك ورحمة الله وبركاته! فقال لها: وعليك السلام يا أم الخير، بحق ما دعوتني بهذا الاسم؟ قالت: مه يا أمير المؤمنين، فإن بديهة السلطان مدحضة لما يجب علمه، ولكل أجل كتاب»<sup>(2)</sup>

<sup>1</sup>- الجمهرة، ج2، ص 294.

<sup>2</sup>- نفسه، ج1، ص 193.



إن مؤول الخطاب يواجه فيه النداء الآتي: ( يا أمير المؤمنين )، فقد سلمت عليه بالإمارة، وحتى يفهم المخاطب غرض النداء عليه أن يعمل من القرائن ما يلي:

- قرينة معرفية: فالمعرفة الخلفية للطرفين تنص على أن أم الخير كانت ممن يناصر معاوية العداء، ويرى أنه اغتصب الإمارة، ومنه فهي لا تعترف له فيها بالحق.

- قرينة السياق: فالسياق ينفي حرفية النداء.

- قرينة لغوية: بحق ما دعوتني بهذا الاسم؟ قد يفهم هذا الاستفهام من معاوية على حرفيته، أي أنه يحتبر صدقها من عدمه في السلام عليه بالإمارة، وقد يفهم منه التعجب أو التشكيك.

- قرينة حالية: معاوية الآن هو أمير المؤمنين، وهو صاحب الملك، وأم الخير تعرف أنها لن تغير الواقع، وأن معاوية مجازيها بما اقترفت في حقه.

- النتيجة: يصل مؤول الخطاب - بإعمال القرائن السابقة - إلى أن أم الخير إنما أرادت أن تغري معاوية بالعفو عما سلف منها، ومنه يكون غرض النداء هو الإغراء.

ه- التعظيم والتفخيم: ومنه قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا

الضُرُّ وَجِئْنَا بِبِضْعَةٍ مُّزَجَلَةٍ ... ﴾ [يوسف]

ومنه قول أبي فراس: [متقارب]

أيا سيدا عمي جوده بفضلك نلت السنا والسناء

- لما قبض النبي ﷺ اجتمع الأنصار لتولية سعد بن عبادة الخلافة، وكان ذلك في سقيفة بني ساعدة، فقال يحثهم على أن يكون لهم الأمر دون الناس:

« يا معشر الأنصار، لكم سابقة في الدين، وفضيلة في الإسلام، ليست لقبيلة من العرب... »<sup>(1)</sup>

1- الجمعة، ج1، ص 193.

إن المتكلم هنا سعد بن عبادة يريد تذكير أهل المدينة بالاسم الذي سماهم به الله تعالى ونبيه (الأنصار)، وهو اسم عظيم كان يفخر به الأنصار، والكلام الذي يلي النداء يعد قرينة لغوية تأخذ بمؤول الخطاب إلى أن يفهم النداء على أنه **للتعظيم**.

و- الاختصاص: ومنه قوله تعالى: ﴿ قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحِمْتُ اللَّهُ وَبَرَكَتُهُ عَلَيْكُمْ

أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ ﴿٧٢﴾ [هود]

وقول الشاعر بشامة النهشلي: [بسيط]

إنا بني نهشل لا ندعي لأب عنه ولا هو بالأبناء يشرينا

- قال خالد بن معمر حامل راية ربيعة، لما انهزم ناس من قومه في مواجهة أهل الشام:

« يا معشر ربيعة: إن الله عز وجل قد أتى بكل رجل منكم من منبته،... فإياكم أن تتشاءم بكم العرب والمسلمون اليوم...»<sup>(1)</sup>

كان من عادة العرب في الحروب أن يقاتل الفرد ضمن قبيلته، يحميها ويستمد منها القوة، وكانت كل قبيلة تحشى أن يؤتى الجيش من قبلها، فلما انهزم قوم من ربيعة، نادى خالد بن معمر: (يا معشر ربيعة)، وكان يمكن أن ينادي عليهم بصفة المسلمين أو القوم أو الرجال وغيرها، لكنه نادى ربيعة دون غيرهم من المسلمين ليثير فيهم النخوة والحمية، واستنادا إلى هذه القرينة المعرفية وإلى السياق يُؤول النداء على أنه للاختصاص.

ز- التلطف والتعجب: يتحقق إذا نودي المنأى بوصف هيئته من لباس، أو طريقة جلوس، ومن هذا

القبيل قوله تعالى ﴿ يَتَأَيُّهَا الْمَزْمَلُ ﴾ [المزمل]. وقوله سبحانه: ﴿ يَبْنِي أَرْكَبَ مَعَنَا ... ﴾ [هود].

1- الجمهرة، ج1، ص 186.

ومنه قول امرئ القيس: [طويل]

أفاطم مهلاً بعض هذا التدلل وإن كنت قد أزمعت صرمني فأجملي

- أرسل الإمام علي القعقاع بن عمرو إلى أهل البصرة، ليلقى طلحة والزبير، ويدعوهما إلى الألفة والجماعة، فسلم أولاً على السيدة عائشة رضي الله عنها، وقال: «أي أمّه، ما أشخصك وما أقدمك هذه البلدة؟ قالت: أي بني، إصلاح بين الناس...»<sup>(1)</sup>

- رغم الفتنة الحاصلة بين الطرفين والافتتال، إلا أن الأدب والاحترام وتقدير الآخر وحفظ منزلته صفات كانت تطبع العلاقة بينهما، فلما لقي القعقاع السيدة عائشة، سلم عليها، ولم ينس - رغم كل شيء - أنها زوج النبي، وأم المؤمنين، فنادها: (أي أمّه)، إكراماً لها، وتلطفاً وتحبباً إليها، وإشارة منه إلى أنه ما جاء إلا مسالماً راغباً في الصلح، ومن جهتها هي، نادته: (أي بني)، فلم تنس مكانتها، مشيرة إلى أن ما يحدث بينهما ليس شخصياً، وعليه يمكن حمل النداء على أنه للتلفف والتعجب.

**2-1-5- التمني:** هو طلب الشيء المحبوب، دون أن يكون لك طمع أو ترقب في حصوله، وقد يكون ممكناً، وقد يكون مستحيلاً<sup>(2)</sup>، والفرق بينه وبين الترجي يكمن في أن التمني هو طلب الشيء، أما الترجي فهو ترقب حصول الشيء.<sup>(3)</sup>

ويأتي التمني حقيقياً بأداة واحدة هي (ليت)، يقول السكاكي: (اعلم أن الكلمة الموضوعه للتمني هي ليت وحدها).<sup>(4)</sup> ولا تدل (ليت) إلا على التمني، وذلك لارتباطها به ارتباطاً وثيقاً، يقول محمد محمد أبو موسى: «وإذا كنا نجد أدوات الاستفهام والنهي والنداء وغيرها تخرج من معانيها الأصلية

1- الجمهرة، ج1، ص 134.

2 - ينظر: فضل حسن عباس: البلاغة فنونها وأفانها، ص 156.

3 - نفسه، نفس الصفحة.

4 - السكاكي: مفتاح العلوم، ص 418.

وتستعمل في معانٍ أخرى، فإننا لا نجد الأمر كذلك في التمني، وإنما يتكلم البلاغيون فيه عن إفادة التمني بغير أدواته الأساسية التي هي "ليت" ولم يتكلموا عن إفادة "ليت" معاني غير التمني، ولعل هذه لعراققتها في التمني وأنها لم تتخلص منه، ولم تجر في غير هذا المعنى القلبي الحميم.»<sup>(1)</sup>

ومن التمني قوله تعالى: ﴿يَلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونَ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [الزخرف] [القصص]. وقوله: ﴿يَلَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ﴾ [الزخرف]

ومنه قول أبي العتاهية: [وافر]

ألا ليت الشباب يعود يوماً فأخبره بما فعل المشيب

وقول ابن الدمينية: [بسيط]

يا ليت شعري والإنسان ذو أمل والنفس أذكر شيء لا يواتيها  
هل ترجعن نوى للحي جامعة فيهم أميمة قد فاءت قواصيها

وقد يُتمنى بأدواتٍ أخرى هي: هل - لعل - لو - هلاً - ألا - لولا - لوما، غير أن دلالتها على التمني هي دلالة محوِّلة، بمعنى أن هذه الأدوات تستعمل في غير معناها الأصلي بحيث تفيد التمني. وقد يخرج التمني إلى معانٍ أخرى منها:

أ- التحضيض: إذا استعملت ليت (أو ما ينوب عنها) للقريب المتوقع.

- بعث الإمام علي كرم الله بجماعة من أنصاره إلى معاوية فقال: «اتتوا هذا الرجل، فادعوه إلى الله، وإلى الطاعة والجماعة، فقال له شيب بن ربعي: يا أمير المؤمنين: ألا تطمعه في سلطان توليه إياه، ومنزلة يكون له بها أثره عندك إن هو بايعك؟»<sup>(1)</sup>

<sup>1</sup> - محمد محمد أبو موسى: دلالات التراكيب دراسة بلاغية، ص 200.

تمنى شبت بن ربي من الإمام علي أن يعد معاوية بتوليته بعض السلطان - إن هو بايعه - حقنا لدماء المسلمين، فقال: ( ألا تطمعه في سلطان )، وجاء التمني هنا بالأداة (ألا) التي تفيد التحضيض.

ب- الندم والتحسر: التمني متعلق بالمستقبل فإذا تخلف هذا العنصر صار الأمر ندما (إذا اتصل بالمتكلم) وتندبما (إذا اتصل بالمخاطب).

- استطاع الإمام علي عليه السلام رأي أصحابه، فقال ردا على أحدهم: « اللهم نور قلبه بالتقى، واهده إلى صراطك المستقيم، ليت أن في جندي مائة مثلك. »<sup>(2)</sup>

جاء هذا الخطاب ردا من الإمام علي على أحد أصحابه، وذلك لما لمس منه من صدق في النصرة، ثم إن الإماهليّ ما يتحسر لأن جنده يكاد يخلو ممن هو صدقه، وجاء التحسر في شكل تمنّ بالأداة (ليت).

تجدر الإشارة في نهاية هذا المبحث إلى أنه ليست هناك قاعدة مضبوطة تحدد خروج خطاب ما إلى غرض محدد دون سواه، فما يراه أحدهم تسوية، يراه الآخر تهديدا، ويراه ثالث تعجيزا وهكذا، وقد يخرج الخطاب الواحد إلى أكثر من غرض، فالأغراض غير محصورة ولا متناهية، فالأمر إذن مرجعه إلى الذوق، وإلى فهم السياق والقرائن.

**2-2- الإنشاء غير الطلبي:** وهو على عكس الإنشاء الطلبي، أي هو ما لا يستلزم مطلوبا غير حاصل وقت الطلب، فلا يطلب به حصول شيء أو عدم حصوله. وأنواعه هي: المدح والذم، والتعجب، والرجاء، والقسم، وصيغ العقود.<sup>(3)</sup>

1- الجمهرة، ج1، ص 154.

2- نفسه، ص 150.

3 - هناك خلاف في تصنيف بعض الأنواع؛ فبعضهم يدخل صيغ المقارنة ضمن الإنشاء غير الطلبي، وبعضهم يدخل الرجاء والقسم ضمن الإنشاء الطلبي.

2-2-1- التعجب: هو انفعال يحدث في النفس، جاء في الإتقان للسيوطي: «قال ابن الضائع: استعظام صفة خرج بها المتعجب منه عن نظائره. وقال الزمخشري: معنى التعجب تعظيم الأمر في قلوب السامعين، لأن التعجب لا يكون إلا من شيء خارج عن نظائره وأشكاله. وقال الرماني: المطلوب في التعجب الإبهام؛ لأن من شأن الناس أن يتعجبوا مما لا يعرف سببه، فكلما استبهم السبب كان التعجب أحسن.»<sup>(1)</sup> فواضح مما سبق أن التعجب يصحبه الجهل وخفاء السبب الداعي إلى الانفعال. وقد ورد التعجب في القرآن الكريم بصيغ متعددة، غير أن العلماء يصرفونه إلى معنى التعجيب، قال السيوطي: «قال المحققون: إذا ورد التعجب من الله صرف إلى المخاطب... وإنما لا يوصف تعالى بالتعجب، لأنه استعظام يصحبه الجهل، وهو تعالى منزه عن ذلك، ولهذا تعبر جماعة بالتعجيب بدله، أي: إنه تعجيب من الله للمخاطبين»<sup>(2)</sup>

والتعجب نوعان؛ قياسي وسماعي؛ والقياسي هو ما يخضع لأحكام نحوية تضبطه، وتبين كيفية صياغته، أما السماعي فليس كذلك، ويتحقق بصيغ مختلفة.

أ- التعجب القياسي: له الصيغتان "ما أفعله" و"أفعل به"، ومثال الأولى قوله تعالى: ﴿فَمَا

أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ﴾ [البقرة].

ومنه قول الإمام الشافعي: [طويل]

وما أكثر الإخوان حين تعلمهم ولكنهم في النائبات قليل

ومثال الثانية قوله تعالى: ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونا...﴾ [مريم].

1- السيوطي: الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، تعليق: مصطفى شيخ أمين، مؤسسة الرسالة، ط1، 2008، ص 571-572.

2- نفسه، ص 572.

وقول حسان بن ثابت: [بسيط]

أكرم بقوم رسول الله قائدهم إذا تفرقت الأهواء والشيع

ومثال صيغة "ما أفعله" من المدونة ما يلي:

- اجتمع الخوارج يأتمرون فيما بينهم، أي منزل أنسب لقتال عدوهم، فقال لهم معاذ بن جوين: «بل سيروا بنا فلننزل بانقيا، فما أسرع ما يأتيكم عدوكم، فإذا كان ذلك استقبلنا القوم بوجوهنا، وجعلنا البيوت في ظهورها، فقاتلناهم من وجه واحد.»<sup>(1)</sup>

فقد تعجب المتكلم من سرعة قدوم العدو، فقال: (ما أسرع ما يأتيكم عدوكم).

ومثال صيغة "أفعل به" من المدونة ما يلي:

خطب المنصور يوم الجمعة فقال: «أيها الناس، اتقوا الله، فقام إليه رجل، فقال: أذكرك من ذكرتنا به يا أمير المؤمنين، فقطع الخطبة ثم قال: سمعاً سمعاً لمن فهم عن الله...، وأنت أيها القائل، فوالله ما أردت بها وجه الله، ولكنك حاولت أن يقال: قام فقال، فعوقب فصبر، وأهون بها!»<sup>(2)</sup>

والشاهد في الخطاب قول المنصور: (وأهون بها)، وهنا يتعجب المنصور إما من نية الرجل (قام فقال، فعوقب فصبر)، أو من تدخله ومقاطعته أثناء الخطبة، إذ السياق يحتمل الأمرين. وعبارة (وأهون بها) مأخوذة من الهوان، وتقال عند استقباح شيء واستقذاره.

<sup>1</sup>- الجمهرة، ج2، ص 428.

<sup>2</sup>- نفسه، ج3، ص 27 - 28.

ب- التعجب السماعي:

قد يتوصل إلى التعجب بغير الصيغتين القياسيتين، وهناك صيغ سماعية متعددة لا تحديد لها ولا ضابط، والأمر فيها متروك لذوق القارئ ومقدرته اللغوية على استنطاق القرائن المختلفة. ومن هذه الوسائل: (1)

- النداء: ويفيد التعجب بإدخال لام الجر على المتعجب منه مع ياء النداء. نحو: يا للسماء - يا للهول، وقد تحذف اللام ويعوض بها ألف مد في آخر المتعجب منه. نحو: يا عجباً.

التعجب = يا + ل + اسم.

التعجب = يا + اسم + ل.

- الاستفهام: وقد مر كيف يخرج الاستفهام عن أصل الوضع ليفيد التعجب، فيصبح بذلك مجرد تركيب إفصاحي عن انفعالات النفس.

- كفى + الباء: نحو: ﴿ قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ۚ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴾

﴿ [الإسراء] ﴾

- أي: نحو: مررت برجل أيما رجل.

- لله دره: مثل: لله دره قارئاً، أي: لله لبنه، بمعنى أن الله سقاه لبنا خاصاً فصار قارئاً يتعجب منه. وقريب منه: لله أبوه، والله أنت.

- حاشا: نحو: ﴿ حَشَّ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا ۖ إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴾ [يوسف]، وهي كلمة

تستعمل للتنزيه.

1- فاضل السامرائي: معاني النحو، ج4، ص 663 وما بعدها.



- لام القسم: وتكون في الأمور العظام نحو: لله لا يؤخر الأجل.  
- بعض المصادر نحو: سبحان الله - معاذ الله - ويل - ويح.

ويمكن التمثيل من المدونة لأحد أساليب التعجب السابقة بما يلي:

تخاصم عبد الله بن عباس يوماً مع معاوية وأصحابه، فرد معاوية على ابن عباس لما أفحمهم جميعاً قائلاً: « لله درك يا ابن عباس، ما تكشف الأيام منك إلا عن سيف صقيل، ورأى أصيل. »<sup>(1)</sup>

الشاهد في الخطاب قول معاوية: (لله درك يا ابن عباس)، فسياق الخطاب يشير إلى أن ابن عباس وهو يرد على كل من حضر، قد أبان عن منطق أدهش معاوية، فتعجب منه مستعملاً هذه الصيغة غير القياسية.

**2-2-2- المدح والذم:** تعبير ينشئه المتكلم بحيث يفصح عن شعوره بالرضا أو الاشمئزاز تجاه شخص أو شيء معين يسمى المخصوص بالمدح أو الذم، ومنه فهو تركيب إفصاحي يدخل في الإنشاء غير الطلبي.

وقد اختلف النحاة في تصنيف جملة المدح أو الذم؛ هل هي فعلية أم اسمية، وذلك تبعاً لإعراب المخصوص.<sup>(2)</sup> وأشهر الصيغ الموضوعية لإنشاء المدح أو الذم هي: نعم - بئس - حبذا - لا حبذا.<sup>(3)</sup> وقد ألحقوا بهذه الصيغ (ساء) للذم، وبعض الأفعال الأخرى المحولة على صيغة (هؤُل) وضمونها

1- الجمهرة، ج2، ص 101.

2- إذا كان المخصوص بالمدح أو الذم مبتدأ مؤخرًا فالجملة الفعلية قبله خبر مقدم، وبذلك فالجملة اسمية. أما إذا كان المخصوص خبراً لمبتدأ محذوف، أو بدلاً من الفاعل فالجملة فعلية. ينظر: عبده الراجحي: التطبيق النحوي، ص 310.

3- هناك خلاف بين النحاة في اسمية (نعم وبئس) أم فعليتهما. ينظر: أبو البركات ابن الأنباري: الإنصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين، تحقيق: جودة مبروك ومراجعة رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، 2002، ص 86.

معنى التعجب فصارت لازمة جامدة.<sup>(1)</sup>

ومن أمثلة (نعم) قوله تعالى: ﴿ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِّعَمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾ [ص]، وقوله: ﴿ نِعَمَ الثَّوَابِ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴾ [الكهف].

وقول زهير بن أبي سلمى: [بسيط]

نعم امرؤ هرم لم تعر نائبة إلا وكان لمرتاع لها وزرا

ومن أمثلة (نعم) في المدونة ما يلي:

أعرض المأمون عن وفد قدم من الكوفة، فتكلم أحدهم ومدحه، وأحسن المقال، فقال المأمون:

« يا عمرو: نعم الخطيب خطيبهم، اقض حوائجهم. »<sup>(2)</sup>

والشاهد في الخطاب قوله: (نعم الخطيب خطيبهم)، فهو مدح للخطيب، نظرا لما أظهره من الحصافة، وحسن المنطق.

ومن أمثلة (بئس) قوله تعالى: ﴿ بئسَ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيْمَانِ ... ﴾ [الحجرات]،

وقوله: ﴿ بئسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ﴾ [الكهف].

وقول الشاعر: [رمل]

بئس قوم الله قوم طرقوا فقروا جارهم لحما وحر

ومن أمثلة (بئس) في المدونة ما يلي:

1- ينظر: الرضي: شرح الكافية، ج4، ص 255.

2- الجمهرة، ج3، ص 130.

استشار معاوية يوماً جلساءه في شأن الزرقاء بنت عدي، فأشار أحدهم بقتلها، فقال معاوية:

« بئس الرأي، أيحسن بمثلي أن يقتل امرأة! »<sup>(1)</sup>

والشاهد في الخطاب قوله: (بئس الرأي)، وهو ذم للرأي الذي سمعه، واستهجان له، إذ ضرب المرأة فضلا عن قتلها مما تنفر منه العرب وتتحاشاه، وتعدده سبباً تلاحق فاعلها، وقد حذف المخصوص بالذم من الخطاب لدلالة السياق عليه.

أما (حبذا ولا حبذا) فيجمعهما قول الشاعر: [متقارب]

ألا حبذا عاذري في الهوى      ولا حبذا العاذل الجاهل

ومثال (ساء) قوله تعالى: ﴿ سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنْفُسُهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ ﴾ [الأعراف].

وقد يخرج المدح والذم إلى غرض بلاغي هو تأكيد القسم، نحو قوله تعالى: ﴿ وَتَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يُسْرِعُونَ فِي الْأَثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعمَلُونَ ﴾ [الأنعام] لَوْلَا يَنْهَاهُمْ الرَّبِّيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْأَثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾ [الأنعام].  
المادة 64-65.

2-2-3- الترجي: هو «ترقب حصول الشيء سواء كان محبوبا ويقال له: طمع...، أو

مكروها... ويقال له: إشفاق»<sup>(2)</sup> وهو طلب أمر محبوب يرجى حصوله، ويعبر فيه بلعل وعسى.<sup>(3)</sup>

1- الجمهرة، ج1، ص 196.

2- الدسوقي: حاشية الدسوقي على مختصر السعد، تحقيق: عبد الحميد هندواي، المكتبة العصرية، ط1، 2007، ج2، ص 319.

3- ينظر: علي الجارم ومصطفى أمين: البلاغة الواضحة، دارالمعارف، دط، 1999، ص 207.

ومثال (لعل) قوله تعالى: ﴿لَعَلَّ اللَّهَ تُحَدِّثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا﴾ [الطلاق].<sup>(1)</sup>

وقول الشاعر قيس بن الملوح: [طويل]

أسرب القطا هل من معير جناحه لعلني إلى من قد هويت أطيير

ومثال (عسى) قوله تعالى: ﴿فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا

أَسْرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَدِيمِينَ﴾ [المائدة]

وقول الشاعر: [طويل]

عسى فرج يأتي به الله إنه له كل يوم في خليقته أمر

ويمكن التمثيل لـ (لعل وعسى) من المدونة بما يلي:

قال معاوية لابن عباس:

«... لا يزال يبلغني عنكم ما تبرك له الإبل، وذنوبكم إلينا أكثر من ذنوبنا إليكم، خذلتهم عثمان بالمدينة، وقتلتهم أنصاره يوم الجمل، وحاربتهموني بصفين... فحتى متى أغضي الجفون علي القذى، وأسحب الذبول على الأذى، وأقول لعل الله وعسى! ما تقول يا ابن عباس؟»<sup>(2)</sup>

1- من باب الاحتراز الديني ألا ننسب الترقب والتوقع إلى الله تعالى وإلى نبيه الكريم، وإنما ينسب ذلك إلى المخاطبين، «قال سيبويه: أن الرجاء والإشفاق يتعلق بالمخاطبين، فقوله تعالى "لعل" أو "عسى" إنما هو حمل لنا على أن نرجو في موضع الرجاء، وأن نشفق في موضع الإشفاق. وبهذا نحفظ للكلمتين معناهما اللغوي المطرد، ونبعد عن الزلل الديني الذي يواجهنا». عبد السلام هارون: الأساليب الإنشائية في النحو العربي، مكتبة الخانجي، مصر، ط2، 1979، ص 52.

<sup>2</sup>- الجمهرة، ج2، ص 86.

جاء الخطاب في سياق الرد على ابن عباس، فقد بلغ معاويةَ عنه بعض ما غمّه، الأمر الذي جعله يغضب ويتوعد، غير أنه معروف بحلمه، فقال: (لعل الله وعسى)، أي لعل ابن عباس يتوقف عما يبدر منه من تحقير لمعاوية.

وقد يخرج الترجي إلى غرض بلاغي متى استعملت فيه الأداة (ليت)، وهي الأداة الأصلية للتمني، وذلك لإظهار الممكن القريب في صورة الممكن البعيد أو في صورة المستحيل، تعبيرا عن ضعف الأمل فيه، ودلالة على اليأس منه. كقول الشاعر: [بسيط]

إن كان يجمعنا حب لغرته      فليت أنا بقدر الحب نقسم

**2-2-4- القسم:** « ومعناه الحلف واليمين... وهو إما أن يكون بجملة فعلية، نحو: أقسم بالله، أو بجملة اسمية، نحو: يمين الله لأفعلن كذا، أو بأدوات القسم الجارة لما بعدها»<sup>(1)</sup> ويأتي القسم لتمكين الشيء في النفس وتقويته، وهو من وسائل التوكيد المشهورة، بحيث يأتي به المتكلم لدفع إنكار المخاطب، أو إزالة شكه.

والقسم نوعان<sup>(2)</sup>: ظاهر (صريح) ومضمّر (غير صريح). فالظاهر يستدل عليه بحرف القسم، أو فعل القسم، أو بأي لفظ من ألفاظ القسم. نحو قوله تعالى: ﴿ وَتَأْتِيهِمْ لِقَائِهِمْ رَبٌّ بِرُحْمَةٍ وَأَعْيُنُهُمْ كَالَّذِينَ سُقِلُوا عِزًّا ﴾ [الأنبياء]، وقوله تعالى: ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ ... ﴾ [فاطر]

1- عبد السلام هارون: الأساليب الإنشائية في النحو العربي، ص 162.

2- فاضل السامرائي: معاني النحو، ج4، ص 538-539.

أما المضمّر فهو ما دلت عليه اللام<sup>(1)</sup>، نحو قوله تعالى: ﴿لَيْنَ أُخْرِجُوا لَا تَخْرُجُونَ مَعَهُمْ...﴾ [الحشر].

وأشهر أدوات القسم: الباء، الواو، التاء واللام.<sup>(2)</sup>

ومن شواهد القسم في المدونة ما يلي:

وفد ناس من قريش على هشام بن عبد الملك، وفيهم محمد بن أبي الجهم، فتكلم، وأحسن المقال، فأعجب هشام به قائلاً:

« تالله ما رأيت رجلاً أطف في سؤال، ولا أرفق في مقال من هذا، هكذا فليكن القرشي. »<sup>(3)</sup> والشاهد في الخطاب قوله: (تالله ما رأيت رجلاً..). فهو تأكيد لكلامه.

ويكاد العلماء يتفقون على أن الغرض من القسم هو تأكيد المقسم عليه وتقويته،<sup>(4)</sup> « فالقسم ضرب من الأساليب الإنشائية، لا مناص للخصم من الإقرار به، ولا وجه له في إنكاره، فإن شاء أن ينكر، انصب إنكاره على جواب القسم، لا على القسم نفسه، لأن الجواب خبر لا إنشاء. »<sup>(5)</sup>

1- هي اللام الموطقة لجواب القسم وهي مفتوحة، وهي تختلف عن لام القسم المختصة بلفظ الجلالة (الله) والتي لا تستعمل إلا في التعجب نحو: لله لتبعثن. فاضل السامرائي: معاني النحو، ج4، ص 541.

2- ينظر تفصيل ذلك في شرح الرضي على الكافية: ج4، ص 299 وما بعدها.

3- الجمهرة، ج2، ص 406.

4- انظر مثلاً: شرح الرضي على الكافية: ج4، ص 309. وانظر: ابن يعيش: شرح المفصل، ج4، ص 287.

5- سامي عطا حسن: أسلوب القسم الظاهر في القرآن الكريم، مدونة البلاغة العربية، الاثنين، 9 فبراير 2009، اطلع عليه بتاريخ: 2020/08/22

<http://omarkhattab.blogspot.com/2009/02/blog-post.html>

2-2-5- أَلْفَاظُ الْعُقُودِ: لم تَوَلَّ هذه الألفاظ حقها من العناية من قبل النحاة والبلاغيين، والمصدر الأساسي لبحثها هو كتب الفقه والأصول، وذلك لكثرة بحوث الفقهاء في المعاملات بين الناس من زواج وبيع... (1).

ومن أَلْفَاظِ الْعُقُودِ وَالْمَعَاهِدَاتِ مَا يَلِي (2):

- أَلْفَاظُ الزَّوْجِ: وهي صيغ يتبادلها الزوج أو من ينوب عنه، مع ولي الزوجة، بحيث يفهم منها أن عقد الزواج قد تم. نحو: زوجني ابنتك، أو موكلتك، فيرد الولي: زوّجتك (3) ابنتي أو موكلتي، فيرد الزوج: قبلت ورضيت. وكلمة (يتبادلها) تحمل معنى المشاركة، أي تستدعي وجود طرفين فاعلين، ولا ينعقد الزواج إلا بالإيجاب والقبول.

- أَلْفَاظُ الطَّلَاقِ: هي الألفاظ التي تصدر من الزوج وتوقع الطلاق، ويشترط فيها عند الجمهور شرطان هما: القصد (النية) والصرحة (4).

- القصد (النية): فمن قال لزوجته ناويا وقاصدا "أنت طالق" فقد وقع الطلاق.
- الصراحة والكناية: قد تكون أَلْفَاظُ الطَّلَاقِ صريحة نحو: "أنت طالق" و"طلقتك" وقد تكون كناية نحو: حبلك على غاربك، أو: اعتّني...

- أَلْفَاظُ الْبَيْعِ: هي أَلْفَاظُ مَتَعَارَفٍ عَلَيْهَا يَتَبَادَلُهَا الْبَائِعُ وَالْمَشْتَرِي يَتَمُّ مِنْ خِلَالِهَا إِنْشَاءُ عَقْدِ الْبَيْعِ، وَلَا بَدَأَ أَنْ تَكُونَ بِصِيغَةِ الْمَاضِي نَحْوُ: بَعْتِكَ كَذَا، أَمَا إِنْ كَانَتْ بِصِيغَةِ الْمَضَارِعِ نَحْوُ: أُبَيْعُكَ كَذَا، أَوْ: أَنَا

1- مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب، ص 166.

2- لمزيد من أَلْفَاظِ الْعُقُودِ، ينظر: عبد الرحمن حسن الميداني: البلاغة العربية أسسها علومها وفنونها، ج1، ص 224-225.

3- لا يشترط أن يكون اللفظ مشتقا من "الزواج" وإنما يتدخل العرف في ذلك، أي تستعمل الألفاظ التي يتعارف عليها المجتمع، وهي مختلفة من مجتمع إلى آخر.

4- ينظر: مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب، ص 167 - 168.

بائعك كذا، فهي لا تنشئ عقد البيع، وإنما هو في هذه الحالة وعد بالبيع. فإذا قال المشتري: "قبلت" أو "اشتريت" أو نحوها انعقد البيع.

ويلاحظ مما سبق أن عبارة مثل (زوّجتك) أو (قبلت ورضيت) أو (أنت طالق) أو (بعتك) وغيرها، ظاهرها الخبر، ولكن يقصد بها توقيع العقد أو الإنجاز بالتعبير التداولي الحديث، وقد روعي فيها غرض المتكلم وقصده، وهو مبدأ تداولي يحتكم إليه العلماء في الحكم على صحة العقود.

### المطلب الثاني: علم البيان

#### توطئة:

كانت كلمة البيان تطلق على مجمل علوم البلاغة، « فالواقع أن البلاغة العربية قد مرت بتاريخ طويل من التطور حتى انتهت إلى ما انتهت إليه، وكانت مباحث علومها مختلطا بعضها ببعض منذ نشأة الكلام عنها في كتب السابقين الأولين من علماء العربية، وكانوا يطلقون عليها "البيان".<sup>(1)</sup> ثم انفصلت هذه العلوم وتميزت، وصار البيان يمثل أحد علوم البلاغة الثلاثة المشهورة (المعاني - البيان - البديع). يعرف علم البيان بأنه «إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في وضوح الدلالة عليه»<sup>(2)</sup> كما يعرفه السكاكي بقوله: « معرفة إيراد المعنى الواحد في طرق مختلفة بالزيادة في وضوح الدلالة عليه وبالنقصان، ليحترز بذلك عن الخطأ في مطابقة الكلام لتمام المراد منه »<sup>(3)</sup>

فالواضح من التعريفين أن المعنى الواحد قد يعبر عنه بطرق مختلفة تتفاوت في الوضوح، وهاته الطرق تختلف باختلاف المقامات، فيختار المتكلم ما يناسب المعنى الذي يريد، فيلجأ إلى التشبيه تارة، وإلى

1- عبد العزيز عتيق: علم البيان، دار النهضة العربية، بيروت، دط، 1985، ص 7. وينظر أيضا: بدوي طبانة: البيان العربي، مطبعة الرسالة، ط2، 1958، ص 14.

2- عبد المتعال الصعيدي: بغية الإيضاح، ج3، ص2.

3- ابن الناظم: المصباح في المعاني والبيان والبديع، تحقيق حسني عبد الجليل، مكتبة الآداب، مصر، ط1، 1989، ص 103.



الكناية أخرى، وربما استدعى المقام أن يستعمل المجاز بأنواعه وهكذا، فعلم البيان يوفر للمتكلم مادة غزيرة تتيح له الخروج بالمعاني من حرفيتها إلى دلالات مستلزمة كثيرة، ذلك أن الحقيقة قاصرة - غالبا - عن إفهام المراد بما يناسب المقام. أما المخاطب فعليه أن يسعى إلى فهم مراد المتكلم وذلك بتوظيف القرائن المختلفة.

### 1-التشبيه:

#### 1-1- تعريفه:

نال التشبيه احتفاءً البلاغيين القدامى في بحوثهم ودراساتهم، حيث عدّوه من ثوابت البلاغة ومن أهم أبوابها. ولهذا كان « أكثر أنواع البلاغة أهمية بالنسبة إلى الناقد والبلاغي القديم.»<sup>(1)</sup> وربما كان مثار اهتمامهم به كثرته في كلام العرب، ويقر المبرد (ت 582هـ) هذه الكثرة قائلا: « والتشبيه جار كثيرا في الكلام، أعني كلام العرب، حتى لو قال قائل: هو أكثر كلامهم لم يبعد.»<sup>(2)</sup>

يرى قدامة بن جعفر أن التشبيه: « يقع بين شيئين بينهما اشتراك في معانٍ تعمهما ويوصفان بها، وافتراق في أشياء ينفرد كل واحد منهما بصفتها.»<sup>(3)</sup> ومنه فالتشابه يمس الصفات العامة، والانفراد يكون في الصفات الخاصة بكل طرف على حدة.

أما الجرجاني فيعرفه بطريقة فيها شيء من الدقة والإيجاز فيقول: « التشبيه أن يثبت لهذا معنى من معاني ذلك أو حكما من أحكامه.»<sup>(4)</sup>

وبما أن التشبيه يكون عند اشتراك شيئين في صفة أو أكثر، وأن هذا الاشتراك قد يقوى وقد

1- جابر عصفور: الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، ص 113.

2- المبرد: الكامل، تحقيق: أحمد الدالي، مؤسسة الرسالة، ط 3، 1997، مج 2، ص 996.

3- قدامة ابن جعفر: نقد الشعر، تحقيق: عبد المنعم خفاجي، دار الكتب العلمية، بيروت، دط، ص 124.

4- عبد القاهر الجرجاني: أسرار البلاغة في البيان، تحقيق: محمد رشيد رضا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1988، ص 68.

يضعف، فإن التشبيه تبعاً لذلك قد يقوى بدوره وقد يضعف، يقول ابن طباطبا العلوي في ذلك: « ربما امتزجت هذه المعاني [ضروب التشبيه] بعضها ببعض، فإذا اتفق في الشيء المشبه بالشيء [المشبه به] معنيان أو ثلاثة معان من هذه الأوصاف، قوي التشبيه وتأكد الصدق فيه، وحسن الشعر به.»<sup>(1)</sup> ومنه فكلما زادت درجة امتزاج صفات طرفي التشبيه، زادت قوة التشبيه وتأثيره.

وهناك تعريفات أخرى للتشبيه تكاد تتشابه فيما بينها، من ذلك ما نجده عند الرماني (ت 386هـ): «العقد على أن أحد الشئيين يسد مسد الآخر في حس أو عقل.»<sup>(2)</sup> كما عرف التشبيه في الصناعتين بأنه «الوصف بأن أحد الموصوفين ينوب مناب الآخر بأداة التشبيه.»<sup>(3)</sup> أما عند القيرواني (ت 456هـ) فهو «صفة الشيء بما قاربه وشاكله من جهة واحدة أو من جهات كثيرة، لا من جميع جهاته»<sup>(4)</sup>

وتكاد هذه التعريفات تتفق جميعها في التعبير عن حقيقة التشبيه، فكلها تشير إلى دلالات المشكلة والمساواة.

والتشبيه هو ادعاء أن المشبه قد دخل في حيز المشبه به وشاركه في بعض صفاته، وقد يصل الأمر إلى درجة اتحادهما، لذلك فهو قائم على المجاز، ويؤكد الجرجاني هذا الأمر بقوله: «وإذا سمع السامع قولك "زيد أسد"، و"هذا الرجل سيف صارم على الأعداء"، استحال أن يظن، وقد صرحت له بذكر

1 - ابن طباطبا العلوي: عيار الشعر، تحقيق: عباس عبد الساتر، دار الكتب العلمية، لبنان، ط2، 2005، ص23.

2 - علي الرماني: النكت في إعجاز القرآن الكريم، ضمن: ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تحقيق: محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام، دار المعارف، مصر، ط3، دت، ص80.

3 - أبو هلال العسكري: الصناعتين، ص214.

4 - ابن رشيق القيرواني: العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الطلائع، القاهرة، ط1، 2006، ج1، ص237.

زيد، أنك قصدت أسدا وسيفا، وأكثر ما يمكن أن يدعى تحيُّله في هذا أن يقع في نفسه من قولك "زيد أسد" حال الأسد في جرائته وإقدامه وبطشه.»<sup>(1)</sup>

ويختلف مستوى التشبيه باختلاف الأداة المستعملة، فقولك: "زيد مثل الأسد" أو "كالأسد" أو "كأن زيدا الأسد" ثم قولك "شبيه بالأسد"، كلها تشبيهات، لكنها تتفاوت في درجة القوة والتأثير، ومرد ذلك إلى اختلاف الأداة، فبالرغم من اشتراك أدوات التشبيه جميعا في وظيفة الربط بين طرفي التشبيه، إلا أنها تفترق في بعض الخواص، بحيث يتغير مستوى التشبيه تبعا لتغير الأداة المستخدمة فيه، وبالتالي يكتسب التشبيه عامة قيمة تداولية، كما تكتسب كل أداة قيمتها التداولية الخاصة، فالمتكلم ينتقي من أدوات التشبيه ما يتماشى مع مستوى التشبيه الذي يحقق له القصد والغاية، مراعيًا في ذلك حال السامع وقدرته على تحليل الصورة. فالتشبيه يؤكد قدرته على توضيح المعنى وتجسيده من خلال إبراز المعاني الذهنية في صورة محسوسة.

### 1-2- أركان التشبيه: للتشبيه أربعة أركان:<sup>(2)</sup>

- المشبه والمشبه به: وهما الطرفان الرئيسيان فيه، فلا يتصور أن يقوم التشبيه إلا بهما، وهما ركنان أيضا.
- وجه الشبه وأداة التشبيه: وهما ركنان ثانويان، أي يمكن أن يوجد التشبيه بوجود أحدهما دون الآخر، أو بغياهما معا.

أما الطرفان فقد يكونان حسيين أو عقليين أو مختلفين (حسي وعقلي)، وقد يكونان مفردين أو مركبين أو مختلفين (مفرد ومركب)، ويمكن التمثيل لذلك كالآتي:

- الطرفان حسيان: لها بشر مثل الحرير ومنطق رخيم الحواشي لا هراء ولا نزر

1- عبد القاهر الجرجاني: أسرار البلاغة في البيان، ص 280.

2- ينظر: علي جميل سلوم وحسن محمد نور الدين: الدليل إلى البلاغة وعروض الخليل، ص 104 وما بعدها.

- الطرفان عقليان: العشق كالموت يأتي لا مرد له ما فيه للعاشق المسكين تدبير
  - الطرفان مختلفان: إن حظي كدقيق فوق شوك نشروه
  - الطرفان مفردان: الرأي كالليل مسود جوانبه والليل لا ينجلي إلا بإصباح
  - الطرفان مركبان: كأن سهيلا والنجوم وراءه صفوف صلاة قام فيها إمامها
  - الطرفان مختلفان: وإن صخرًا لتأتم الهداة به كأنه علم في رأسه نار
- وهناك حالة أخرى يتم فيها تشبيه عدة أشياء مفردة بعدة أشياء مفردة، ويقسم التشبيه فيها إلى:

- ملفوف: جمع المشبه مع المشبه ، والمشبه به مع المشبه به.

نحو: [بسيط]

ثغر ونهد وخذ واختضاب يد كالطلع والورد والرمان والبلح

- مفروق: جمع كل مشبه مع ما شبه به.

نحو: [منسرح]

الخد ورد والصدغ غالية والريق خمر والثغر كالدرر

- تسوية: يتعدد فيه المشبه وحده.

نحو: [مجثث]

شعر الحبيب وحالي كلاهما كالليالي

- جمع: يتعدد فيه المشبه به وحده.

نحو: [مجزوء الكامل]

مرت بنا رآد الضحى تحكي الغزالة والغزالا

### 1-3- أدوات التشبيه:

أما أدوات التشبيه فهي الكلمات التي تدل على معنى المشابهة والمماثلة، وهي إما حرف أو اسم أو فعل. وأداة التشبيه ركن ثانوي فيه يمكن حذفها، ويسمى حينها **مؤكدًا**، أما إذا ذكرت فهو **مرسل**.

- الحرف: الكاف وكأن. نحو قوله تعالى: ﴿ كَبَسِطَ كَفِّهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَلِّغِهِ ۗ ... ﴾ [الرعد]  
وقول أبي نواس: [ وافر]

ومدت راحة كالماء منها إلى ماء معد في إناء

ومثال (كأن) قوله تعالى: ﴿ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴾ [الصفات]  
وقول امرئ القيس: [ طويل ]

نظرت إليها والنجوم كأنها مصايح رهبان تُشب لفقّال

- الاسم: ومنه: مثل، شبه، محاك، مضارع، مشابه...، ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ حُمِلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ تَحْمِلُ أَسْفَارًا... ﴾ [الجمعة]  
وقول الشاعر: [جزء الكامل]

العمر مثل الضيف أو كالطيف ليس له إقامة

- الفعل: ومنه: يشبه، يشابه، يماثل، يحكي، يحاكي، ومنه أيضا: حسب، ظن، خال، وجد...  
قال الشاعر: [بسيط]

أسماء مملكة في غير موضعها كالمهر يحكي انتفاخا صولة الأسد

وقول البحثري في وصف بركة المتوكل: [بسيط]

إذا النجوم تراءت في جوانبها ليلا حسبت سماء ركبت فيها

محفوفة برياض لا تزال ترى ريش الطواويس تحكيه ويحكيها

- أما وجه الشبه فهو ما يشترك فيه الطرفان من معان وصفات. وإذا ذكر سمي التشبيه مفصلاً، وإذا لم

يذكر سمي مجملاً. نحو قول ابن الرومي: [مجزوء الرمل]

يا شبيه البدر في الحســــــــن وفي بعد المنال

جد فقد تنفجر الصخــــــــرة بالماء الزلال

وقول الشاعر: [رمل]

إن هذا الشعر في الشعر ملك      سار فهو الشمس والدنيا فلك

إذن: بالنظر إلى ذكر الأداة أو وجه الشبه أو حذفهما، أو ذكر أحدهما وحذف الآخر، فإن التشبيه<sup>(1)</sup>:

- مرسل مفصل: ما ذكر فيه الأداة ووجه الشبه، وهو أدنى درجات التشبيه.
- مؤكد مفصل: ما ذكر فيه وجه الشبه دون الأداة.
- مرسل مجمل: ما ذكرت فيه الأداة دون وجه الشبه.
- مؤكد مجمل: ما حذف فيه الطرفان معاً، وهو ما يسمى (التشبيه البليغ).

يمكن توضيح ذلك في الجدول الآتي:

وجه الشبه	الأداة	التشبيه
	X	مؤكد
	✓	مرسل
✓		مفصل
X		مجمل

<sup>1</sup>- ينظر: عبد الرحمن حسن الميداني: البلاغة العربية، ج2، ص 173 - 174.

- قد يكون وجه الشبه متعددا، بحيث يشكل صورة مركبة، فيسمى حينها تشبيها تمثيليا. نحو قوله تعالى: ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ [البقرة].

وقول شوقي: [بسيط]

أسرى بك الله ليلا إذ ملائكه والرسل في المسجد الأقصى على قدم  
لما خطرت به التفوا بسيدهم كالشهب بالبدر أو كالجند بالعلم  
وإذا كان وجه الشبه متعددا، لكنه لا يشكل صورة مركبة فهو تشبيه غير تمثيلي.  
ومنه قول أبي بكر الخالدي: [مجزوء الرمل]

يا شبيه البدر حسنا وضياء ومنا  
أنت مثل الورد لونا ونسيما ودلالا

ويسمى التشبيه تحقيقيا إذا كان وجه الشبه موجودا حقيقة في الطرفين، نحو قوله تعالى: ﴿ وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالَّذِينَ عَلَى الْأَعْلَامِ ﴾ [الرحمن]، فالضخامة صفة حقيقية في الطرفين (المراكب والجبال). أما إذا كان وجه الشبه موجودا في طرف حقيقة وموجودا في الثاني على سبيل التخيل فيسمى حينها تشبيها تخيليا، نحو قول الشاعر: [طويل]

وأرض كأخلاق الرجال قطعتها وقد كحل الليل السماك فأبصرا

1-4- أنواع التشبيه: من أنواع التشبيه:

- البليغ: وهو ما حذف منه الأداة ووجه الشبه، نحو قوله تعالى: ﴿ وَأَزْوَاجُهُ رَأْمَهُمْ... ﴾ ﴿٦﴾ .  
[الأحزاب].

وقول المرقش الأكبر، [كامل]

النشر مسك والوجوه دنا نير وأطراف الأكف عنم

ويصنف هذا النوع في أعلى مراتب التشبيه، لأنه يساوي بين المشبه والمشبه به، ويجعلهما في مرتبة واحدة، غير أن هناك «تشبيهات بلغت الذروة من الفنية، ولم يقصر بها عنها وجود أداة فيها أو وجه شبه، أو أداة ووجه شبه معا»<sup>(1)</sup> وهناك «تشبيهات بليغة وهي من الركافة والرتابة بحيث لا يؤبه بها، بل لا يلتفت إليها.»<sup>(2)</sup> فالأمر إذن مرده إلى المتكلم، وإلى قدرته على صوغ كلام بليغ، ورسم صور بديعة تجعل المخاطب يستشعر الجمال الأدبي ويتذوقه.

-المقلوب: ويسمى العكسي أو المعكوس. وهو جعل المشبه مشبها به، بادعاء أن وجه الشبه فيه

أقوى وأظهر. ومنه قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا... ﴾ ﴿٢٧٤﴾ [البقرة].

ومنه قول البحترى: [خفيف]

ذهبت جدة الشتاء ووافنا شبيها بك الربيع الجديد

وقول الشاعر: [كامل]

وبدا الصباح كأن غرته وجه الخليفة حين يمتدح

1 - عبده عبد العزيز: البلاغة الاصطلاحية، ص 49.

2 - نفسه، نفس الصفحة.



وقد ساق ابن جني الكثير من النماذج من هذا النوع ضمن باب ( غلبة الفروع على الأصول).<sup>(1)</sup>

- **الضمني:** وفيه يلمح المتكلم بالتشبيه ويوحي به من غير أن يذكر أركانه صراحة، « يفعل ذلك نزوعاً إلى الابتكار، وإقامة للدليل على الحكم الذي أسنده إلى المشبه، ورغبة في إخفاء التشبيه، لأن التشبيه كلما دق وخفي كان أبلغ وأفعل في النفس.»<sup>(2)</sup>

ومنه قول أبي تمام: [كامل]

لا تنكري عطل الكريم من الغنى فالسيل حرب للمكان العالي

وقوله أيضاً: [بسيط]

ليس الحجاب بمقص عنك لي أملا إن السماء ترجى حين تحتجب

### 1-5- تداولية التشبيه (التشبيه والتلميح):

إن المتكلم يجد في التشبيه فرصة عظيمة للتعبير عن عواطفه ومشاعره، بما يتيح له من أنواع مختلفة، وصور كثيرة، يستطيع أن يصرف القول من خلالها، فيحملها شحنات دلالية كثيفة في عبارة موجزة. وهناك أسباب كثيرة تدفع بالمتكلم إلى سلوك طريق التشبيه، منها<sup>(3)</sup> بيان حال المشبه ومقداره زيادة ونقصانا، من خلال إلحاقه بالمشبه به، ومنها بيان إمكان وجود المشبه، ومنها أيضاً تقرير حال المشبه بثبوت حاله في نفس السامع وتقوية شأنه لديه. وقد يكون السبب تزيين المشبه وتخليجه بمقارنته بما هو أجمل منه وأملح، وقد يكون العكس، وذلك بتقبيح المشبه، بمقارنته بما هو أقبح منه وأشنع.

1- ابن جني: الخصائص، ج 1، ص 300.

2- علي الجارم ومصطفى أمين: البلاغة الواضحة، ص 46.

3- ينظر: عبده عبد العزيز: البلاغة الاصطلاحية، ص 55 وما بعدها. وينظر أيضاً: عبد العزيز عتيق: علم البيان، ص 105 وما بعدها.

وفيما يأتي عرض لبعض التشبيهات من المدونة وتحليلها بناء على ما سبق، بالنظر في الأسباب والأغراض المختلفة التي دعت المتكلم إلى نهج طريق التشبيه.

### مثال 1:

قال الحسن بن علي:

«... وإنما مثلك مثل البعوضة إذ قالت للنخلة: "استمسكي فإني طائرة عنك." فقالت النخلة: "وهل علمت بك واقعةً عليّ، فأعلم بك طائرة عني؟"»<sup>(1)</sup>

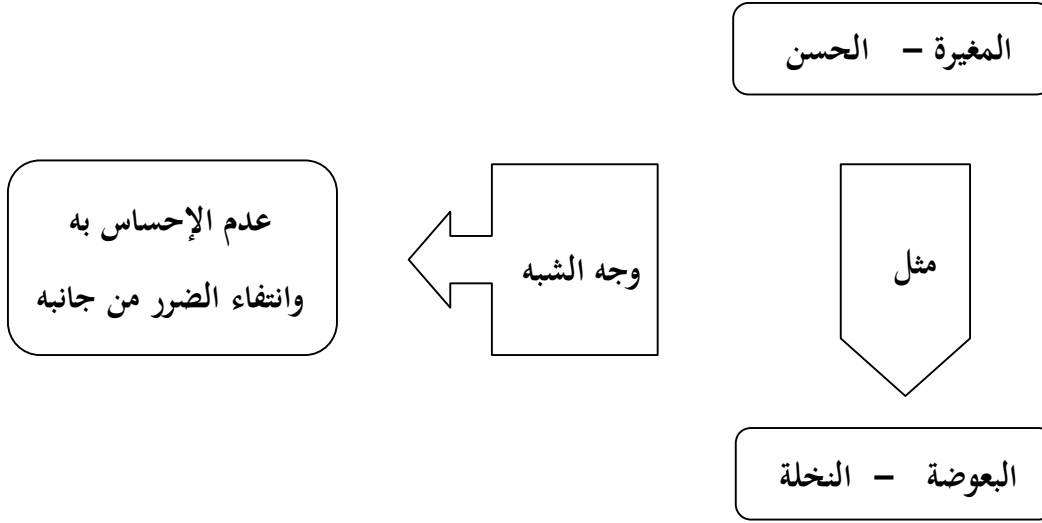
### سياق الخطاب:

جاء هذا الخطاب في سياق مخاصمة وهجاء بين الحسن بن علي، وقوم كانوا عند معاوية، منهم المغيرة بن شعبة، إذ سبوا الحسن وأباه عليا رضي الله عنهما، وطلب منه أن يرد عليهم.

**التحليل:** يتضح من خلال كلام الحسن أنه يستصغر شأن المغيرة إلى درجة أن أصبح كلامه لا يهم، وعداوته لا تغم، ولا يشعر بها، ولما أراد المتكلم الإمعان في الاستصغار، عدل عن الكلام المباشر، ولجأ إلى التصوير، فاستدعى مثلا عربيا يجمع بين طرفين؛ أحدهما صغير مهين، والآخر عظيم جليل، فيشبهه المتكلم نفسه بنخلة عظيمة حطت عليها بعوضة حقيرة، فلا هي علمت بها حين وقعت عليها، ولا هي شعرت بها حين طارت عنها، وجاء التشبيه هنا في صورة التشبيه التمثيلي، حيث أن وجه الشبه جاء صورة مركبة.

ويمكن توضيح العلاقة بين الصورتين في المخطط الآتي:

<sup>1</sup> - الجمهرة، ج 2، ص 24.



مثال 2:

« فهيئات قد أعيا القرون التي مضت  
وهل أحد إن هز يوما بكفه  
فإن يصلحوا يصلح لذاك جميعها  
مآثر قيس مجدها وفعالها  
إلى الشمس في مجرى النجوم ينالها  
وإن يفسدوا يفسد من الناس حالها »<sup>(1)</sup>

سياق الخطاب:

سأل كسرى يوما النعمان بن المنذر عن قبائل العرب، أيها أشرف، فقال: من كان فيها أربعة آباء متوالية رؤساء، ولم يجد ذلك إلا في أربع قبائل، منها آل حذيفة بن بدر الفزاري، فجمعهم ليتكلم كل واحد بمآثر قومه.

<sup>1</sup> - الجمهرة، ج 1، ص 12.

## التحليل:

تكلم حذيفة وادعى لقبيلته العز الكبير، والحسب القديم، وأن لهم الفضل على سائر القبائل،

وكذلك قال شاعرهم.

والشاهد في الخطاب قول الشاعر:

وهل أحد إن هـز يوماً بكفه إلى الشمس في مجرى النجوم ينالها

أراد الشاعر أن يبين ما لقبيلته (فزارة) من عز ومكانة، وأن هذا العز بعيد المنال عن غيرهم، فلمح لذلك، ولجأ إلى التصوير عن طريق التشبيه، غير أن التشبيه لا تظهر عناصره مباشرة، وإنما تستخلص من البيت، بل من المقطوعة كلها، فشبه قبيلته بالشمس التي لا ينالها من مد كفه إليها، فكذلك مجد قبيلته قد أعجب من يحاول مطاولته، وتوظيف لفظ الشمس قد خلق إجماعاً نفسياً لدى المخاطب بالاستحالة، فمن ذا يروم مطاولة الشمس، وإن حاول، فالشاعر يقرر له أنه لن يحصل من سعيه على طائل، وقد صرح بهذا المعنى في البيت السابق:

فهيئات قد أعيأ القرون التي مضت مآثر قيس مجدها وفعالها

يحاول المتكلم بهذا التشبيه الضمني إشراك المخاطب في تصور المعنى، لذلك أخفى عناصره، وكلما كانت عناصر التشبيه خفية كان ذلك أدعى لاستثارة المخاطب، واستفزاز قدراته الاستدلالية، وتلك غاية التشبيه الضمني.

### مثال 3:

مقال حاجب بن زرارة:

« قد علمت معد أنا فرع دعامتها، وقادة زحفها،... لأننا أكثر الناس عديداً، وأنجبهم طراً وليداً، وأنا أعطاهم للجزيل، وأحملهم للثقل، ثم قام شاعرهم، فقال:

لقد علمت أبناء خندف أنا      لنا العز قدماً في الخطوب الأوائل  
وأنا كرام أهل مجد وثروة      وعز قديم ليس بالمتضائل  
فكم فيهم من سيد وابن سيد      أغر نجيب ذي فعال ونائل  
فسائل أبيت اللعن عنا فإننا      دعائم هذا الناس عند الجلائل»<sup>(1)</sup>

### سياق الخطاب:

سبقت الإشارة إلى سياق هذا الخطاب في المثال السابق، وهذا مقال حاجب بن زرارة أمام كسرى، يبين فيه مآثر قومه.

### التحليل:

يتفاخر حاجب بن زرارة في الخطاب بكثرة قومه؛ بجودهم وشدة تحملهم. كما يفخر الشاعر بقومه؛ بكرمهم ومجدهم وثروتهم وعزهم، كما افتخر بكثرة السادات فيهم، ثم أراد أن يبين مكانة قومه بين الناس، بل أراد إبراز فضلهم عليهم فلجأ إلى التشبيه.

1- الجمهرة، ج1، ص 13 - 14.

والشاهد في الخطاب قول الشاعر:

### وسائل - أبيات اللعن - عنا فإننا دعائم هذا الناس عند الجلائل

يتكلم الشاعر بلسان قومه، فشبهم بالدعامة وجمعها (دعائم)، والدعامة في اللغة عماد البيت، وتعني أيضا الزعيم<sup>(1)</sup>، وجاء التشبيه هنا بليغا لأنه حذف منه الأداة ووجه الشبه، ومرد المبالغة هنا مساواته بين المشبه والمشبه به، فجعل من قومه دعامة لغيرهم من القبائل، فهم السادة الزعماء، وهم من يستند إليهم، ويستنجد بهم إذا حل مكروه.

يتحصل مما سبق أن التشبيه يساهم في بناء الصورة الفنية، كما يساهم في تجلية المعاني وإزاحة الغموض، ويعمل أيضا على الاتساع في المعنى وإثرائه.

### 2-المجاز:

ينقسم الكلام إلى قسمين: حقيقة ومجاز، ولكي يتضح مفهوم كل منهما نورد تعريف الجرجاني للمجاز حيثي قول: « كل كلمه أريد بها غير ما وقعت له في وضع واضعها، لملاحظة بين الثاني والأول، فهي مجاز - وإن شئت قلت كل كلمة جُزت بها ما وقعت له في وضع الواضع إلى ما لم توضع له، من غير أن تستأنف فيها وضعا، لملاحظة بين ما يُجوزُ بها إليه، وبين أصلها الذي وضعت له في وضع واضعها، فهي مجاز»<sup>(2)</sup>

يتضح من تعريف الجرجاني أن الحقيقة أصل في الاستعمال اللغوي، أما المجاز فخرج عن هذا الأصل، وانتقال بدلالة الكلمة من مساحة دلالية إلى مساحة أخرى لعلاقة بين الدالتين.

1- مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، ص 286.

2- الجرجاني: أسرار البلاغة، ص 304.

وهو المعنى نفسه الذي يذهب إليه ابن الأثير، حيث يرى أن الأصل أن يحمل المعنى على ظاهر لفظه، ولمن أراد أن يتأول كان لابد له من دليل، يقول: «واعلم أن الأصل في المعنى أن يحمل على ظاهر لفظه، ومن يذهب إلى التأويل يفتقر إلى دليل»<sup>(1)</sup>، أي أن الكلام يقصد لما يدل عليه حقيقة، أي ما تدل عليه الألفاظ، وما تعارف عليه الناس، ويستنتج من هذا أن المتكلم قد يعدل عن هذا الأصل، ويريد معنى آخر غيره، وعلى مؤول الخطاب أن يستدل عليه.

أما عن سبب عدول المتكلم عن الحقيقة إلى المجاز فيقول ابن جني: «ويعدل إليه عن الحقيقة لمعان ثلاثة، وهي: الاتساع والتوكيد والتشبيه، فإن عدم هذه الأوصاف كانت الحقيقة ألبتة»<sup>(2)</sup>

يستفاد من كلام ابن جني أن المجاز وسيلة لإثراء الدلالة بمعان جديدة، غير التي تستفاد من أصل الوضع، وهي معان مستلزمة عنه، مع وجود علاقة بين المعنيين، وقرينة تمنع إرادة المعنى الأصلي. كما أن كلام ابن جني ينفي شبهة أن يكون المجاز عبثاً، لا طائل منه، بل هو جار على سنن العرب، إذ «أن في اللغة حدوداً وقواعد وأنظمة، وضوابط تبيح الخروج باللفظ من معنى إلى آخر، وهذا الخروج لا علاقة له بأية مخالفة شاذة عن منطق ألفاظ اللغة ودلالاتها»<sup>(3)</sup>

يقسم البلاغيون المجاز إلى قسمين: مجاز عقلي ومجاز لغوي .

## 2-1- المجاز العقلي أو (المجاز الإسنادي) وعلاقاته:

يعرف السكاكي المجاز العقلي بقوله: «هو الكلام المفاد به خلاف ما عند المتكلم من الحكم فيه لضرب من التأويل إفادة للخلاف لا بوساطة وضع»<sup>(4)</sup>

1- ابن الأثير : المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تعليق أحمد الحوفي وبدوي طبانة، نخصة مصر، دط، دت، ج1، ص 62.

2- ابن جني: الخصائص، ج 2، ص 442.

3- هادي نهر: علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي، دار الأمل، الأردن، ط1، 2007، ص 228.

4- السكاكي: مفتاح العلوم، ص 503.

كما عرفه القزويني بقوله: « هو إسناد الفعل أو معناه إلى ملابس له غير ما هو بتأويل»<sup>(1)</sup>

والملايسة معناها الارتباط والتعلق، فالفعل قد يتعلق بالفاعل والمفعول به والمصدر والزمان والمكان والسبب. أما التأويل فيقصد به القرينة المانعة إرادة المعنى الأصلي.

وتستعمل المفردات في هذا النوع من المجاز استعمالها الأساسي، أي في أصل وضعها، فطرفا الإسناد قد يكونان مستعملين في معناهما اللغوي بحسب الوضع، لذلك فالمجاز يكون في الإسناد، فعندما يقول تعالى: ﴿فَمَا رَیْحَتْ تَجِرَّتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ [البقرة]، فلا يقصد بالريح غير الريح، ولا يقصد بالتجارة غير التجارة، غير أن إسناد الريح إلى التجارة هو المجاز.

أما عن علاقات المجاز العقلي فهي:<sup>(2)</sup>

### 2-1-1-المفعولية :

وتكون في ما بني للظعل وأسند إلى المفعول به الحقيقي، ومنه قوله تعالى: ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾ [الحاقة]، فلفظ ﴿رَاضِيَةٍ﴾ جاء على صيغة ( الفاعل ) بمعنى مفعول ( مرضية ) أي " فهو في عيشة مرضية "، وإسناد الرضا إلى العيشة مجاز عقلي وهو للمبالغة في الحياة المرضية.

ومنه قول الشاعر: [طويل]

لقد لمتنا يا أم غيلان في السرى      ونمت وما ليل المطي بنائم

1- الخطيب القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة، ج1، ص 82.

2- نفسه، ص 84 وما بعدها. وينظر أيضا: عبد العزيز عتيق: علم البيان، ص 147 وما بعدها.



حيث جاءت نائم على وزن (فاعل) بمعنى (فعليل)، وأسندت (نائم) إلى (ليل المطي) وهو إسناد مجازي غير حقيقي، لأن النوم لا يصدر من ليل المطي على الحقيقة، وإنما الليل ينام فيه، أي: يقع فيه الفعل، إذن الليل ليس بنائم وإنما هو منوم فيه، وعلى هذا فنائم مجاز عقلي علاقته المفعولية.

- لما نزل الإمام علي كرم الله وجهه بصّفين أرسل وفدا إلى معاوية، وفيه بشير بن عمرو، فلما دخل على معاوية قال:

« يا معاوية، إن الدنيا عنك زائلة، وإنك راجع إلى الآخرة... وإني أنشدك الله عز وجل أن تفرق جماعة هذه الأمة، وأن تسفك دماءها بينها»<sup>(1)</sup>

يحاول المتكلم في هذا الخطاب أن يثني معاوية عما هو مقدم عليه (تفريق الجماعة وسفك الدماء)، ونظرا لهول الأمر، لجأ إلى المبالغة، فأسند الزوال للدنيا (إن الدنيا عنك زائلة)، بينما الدنيا بيد الله تعالى يزيلها متى شاء، فهي مزالة بأمره، فأطلق المتكلم لفظ (زائلة) وأراد (مزالة)، وهذا من باب المجاز العقلي الذي علاقته المفعولية، وهو يقوم على إطلاق (فاعل) وإرادة (مفعول).

## 2-1-2-الفاعلية:

وذلك فيما بني للمفعول وأسند إلى الفاعل الحقيقي، أي يستعمل اسم المفعول مكان اسم الفاعل.

ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا

مَسْتُورًا ﴿١٥٥﴾ [الإسراء].

جاءت (مستور) بمعنى (ساتر) وهو تعبير باسم المفعول عن اسم الفاعل.

<sup>1</sup> - الجمهرة، ج1، ص 154.

- قال صعصعة بن صوحان (وكان الكلام في سياق الموادة): «...ثم رأيت بلاءنا بصفين، وقد كلت البصائر، وذهب الصبر، وبقي الحق موفورا، وأنت بالغ بهذا حاجتك، والأمر إليك ما أراك الله فمرنا به»<sup>(١)</sup>

والشاهد في الخطاب قوله (وبقي الحق موفورا) فقد أطلق المتكلم لفظ (موفور) وأراد (وافر)، وهذا من باب المجاز العقلي الذي علاقته الفاعلية.

### 2-1-3- المصدرية:

وذلك فيما بني للفاعل أو للمفعول وأسند إلى المصدر.

ومنه قوله تعالى: ﴿فَإِذَا نَفَخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةً وَاحِدَةً﴾ [الحاقة].

تم في الآية إسناد الفعل (نفخ) إلى المصدر (نفخة) ولم يسند إلى نائب الفاعل الحقيقي، فهو إذن مجاز عقلي علاقته المصدرية.

ومنه قول الشاعر أبي فراس الحمداني: [طويل]

سيدكرني قومي إذا جد جدُّهم  
وفي الليلة الظلماء يفتقد البدر

وأصل الكلام في هذا البيت: إذا جدوا جدُّهم، فالفاعل الحقيقي هو الضمير العائد على قوم الشاعر، غير أنه أسند الفعل (جد) إلى مصدره، حيث عدل عن هذا الأصل للمبالغة، والعلاقة هي المصدرية.

واستحالة صدور الفعل (جد) من (الجد) يعد قرينة على هذا العدول، وتدل على أن الكلام لا يراد به ظاهره.

- قال الإمام علي لما سمع بالإغارة على الأنبار:

1- الجمهرة، ج 1 ص 204.

« يا عجباً كل العجب! عجب يميت القلب، ويشغل الفهم، ويكثر الأحزان! من تضافر هؤلاء القوم على باطلهم، وفشلكم عن حقكم. »<sup>(1)</sup>

جاء هذا الخطاب في سياق توبيخ الإمام علي لأصحابه لما تركوا الجهاد، ولم يردوا العدوان، فهذا الشيء قد أثار في نفسه السخط والعجب معاً. والشاهد قوله: (عجب يميت القلب، ويشغل الفهم، ويكثر الأحزان)، فقد أسند للعجب ما لا يصدر منه حقيقة، فالذي يميت القلب حقيقة هو تضافر أصحاب معاوية على باطلهم، وتقايس أصحابه وفشلهم عن حقهم، فلما أراد المتكلم الإيجاز والمبالغة أسند إلى المصدر مباشرة من طريق المجاز العقلي الذي علاقه المصدرية.

#### 2-1-4- الزمانية:

وفيها يسند الفعل إلى الزمان ويبنى للفاعل، نحو قوله تعالى: ﴿ فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْمًا تَجْعَلُ

الْوَلَدَانَ شِيبًا ﴾ [المزمل]، حيث أسند الجعل إلى اليوم لكونه واقعاً فيه، أما المسند إليه الحقيقي فهو أحداث اليوم وأهواله.

ومنه قول الشاعر أبي البقاء الرندي: [بسيط]

هي الأمور كما شاهدتها دول من سره زمن ساءته أزمان

فقد أسند الفعل (سّر) إلى الزمن، وكذلك الفعل (ساءت)، وإسناد هذين الفعلين إلى الزمان هو إسناد إلى غير الفاعل الحقيقي، لأن الزمان لا يسر ولا يسيء، بل تفعل ذلك حوادثه وتقلباته، وإذن، فالإسناد إلى الزمان هنا مجاز عقلي علاقه الزمانية.

- استجدي أعرابي قوما فقال: «يا قوم: تتابعت علينا سنون جمادٍ شداد،... وطرحتني الأيام

إليكم غريب الدار، نائي المحل،... فرحم الله امرأ رحم اغترابي، وجعل المعروف جوابي»<sup>(1)</sup>

<sup>1</sup> - الجمهرة، ج1، ص 241.

اشتكى الأعرابي في هذا الخطاب من سوء الحال، ومما لحقهم من شظف العيش، وبرر قدومه على القوم بأن الأيام هي من قادته، والشاهد في الخطاب (طرحتي الأيام إليكم)، فقد أسند إلى الأيام لمشابقتها الفاعل الحقيقي، والأيام ظرف لوقوع الفعل، وبالتالي هو إسناد إلى الزمان من طريق المجاز العقلي الذي علاقته الزمانية.

### 2-1-5-المكانية:

وفيها يسند الفعل إلى المكان، وهو في الحقيقة مبني للفاعل، نحو قوله تعالى ﴿ قُلْ أُوْنِبْتُكُمْ بِخَيْرٍ مِّنْ ذَالِكُمْ ۚ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ... ﴾ [ آل عمران ].

تم في الآية إسناد الفعل (تجري) إلى الأنهار، وهي المجرى الواسع للماء، وإسناد الجري إليها مجاز لأنه إسناد إلى غير الفاعل الحقيقي الذي هو الماء، ومنه فالجواز هنا عقلي وعلاقتة المكانية.

ومنه قول الشاعر: [طويل]

ملكنا فكان العفو منا سجية فلما ملكتم سال بالدم أبطح

ورد المجاز العقلي في عبارة (سال بالدم أبطح)، لأن سيلان الدم أسند إلى أبطح، وهو مكان سيلان الدم، وليس هو ما يسيل، وإنما يسيل الدم الذي فيه، أي أنه أسند إلى غير فاعله الحقيقي، ومنه فالجواز عقلي وعلاقتة المكانية.

- وفد على النبي ﷺ وفد نجران، وهم من المسيحيين، وأرادوا محاججة النبي ﷺ في المسيح، فأراد مباہلتهم<sup>(2)</sup> فامتنعوا، فقال: « والذي نفسي بيده، إن الهلاك قد تدلى على أهل نجران ولو لاعنوا لمسحوا قرده وخنزير، ولاضطرم عليهم الوادي نارا،... »<sup>(1)</sup>

1- الجمهرة، ج3، ص 283 - 284.

2- المباہلة: الملاعة.

يبين النبي ﷺ في هذا الخطاب مصير أهل نجران إن هم قبلوا الملائنة، حيث إنهم سيمسخون قردة وخنزير، وسيحترقون في الوادي، والشاهد في الخطاب قوله (ولا اضطرم عليهم الوادي ناراً)، والمعروف أن الوادي مكان يجوي ما يصلح أن يكون وقوداً للنار، من شجر ونحوه، فالإسناد إلى الوادي هنا جاء على سبيل المجاز العقلي، إذ الاشتعال يكون لما في الوادي وليس للوادي، والعلاقة هنا مكانية.

### 2-1-6-السببية:

وفيها يسند الفعل أو ما في معناه إلى سببه، نحو قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَنْهَمَنُ ابْنِ لِي صَرَخًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ ﴾ [غافر].

هامان هو وزير فرعون، وقد أسند بناء الصرح إليه، وإذا عرفنا أن هامان قد أمر عماله ببناء الصرح، ولم يبنه بنفسه، عرفنا أنه كان السبب في ذلك، ومنه يتضح أنه مجاز عقلي علاقته السببية.

ومنه قول المتنبي: [كامل]

والهم يخترم الجسيم نخافة ويشيب ناصية الصبي ويهرم

أسند الشاعر الأفعال (يخترم، يشيب، يهرم) إلى الهم، وهو ليس الفاعل الحقيقي في كلها، لأن الهم لا يهلك الجسم، ولا يشيبه أو يهرمه، وإنما المرض ما يفعل ذلك، وعلى هذا فالإسناد هنا مجاز عقلي علاقته السببية.

- قال طريف بن العاصي يبرر سبب لجوء الحارث بن ذبيان وقومه إلى النمر بن عثمان:

«... ولقد أخرجهم الخوف عن أصلهم، وأجلاهم عن محلهم...»<sup>(2)</sup>

ذكر الحارث بن ذبيان أنه وقومه لحقوا بأمنع بطن من الأزد، غير أن طريف بن العاصي يرد عليه ويكذبه، ويذكر السبب الحقيقي لخروجهم وهو الخوف.

1- الجمهرة، ج2، هامش 2، ص 25 - 26.

2- الجمهرة، ج1، ص 6.

والشاهد في الخطاب قوله: « أخرجهم الخوف » حيث أسند الإخراج إلى الخوف، أي إلى غير فاعله الحقيقي، فالإخراج لا يصح عقلا أن يصدر عن الخوف، إذ الخوف لا يُخرج وإنما هو سبب فقط.

2-2-المجاز اللغوي: هو استعمال اللفظ في غير ما وضع له أصلا، وهو يشمل الاستعارة والمجاز المرسل.

ويتميز المجاز المرسل عن الاستعارة في كون العلاقة بين المستعار منه والمستعار له ليست علاقة تشبيه، بل تكون غير ذلك، بينما هي في الاستعارة مقيدة بالمشابهة. وفيما يلي عرض لأهم العلاقات التي يقوم عليها المجاز المرسل، بينما الاستعارة فسنخصص لها مبحثا مستقلا.

2-2-1- المجاز المرسل وعلاقاته: سمي مرسلا لعدم تقييده بعلاقة معينة، فالإرسال في اللغة الإطلاق. وله علاقات كثيرة، منها: (1)

أ-السببية: وذلك بإطلاق السبب وإرادة المسبب، أي أن يكون المعنى الأصلي للفظ المذكور سببا في المعنى المراد. نحو قوله تعالى: ﴿ أُولَئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ يُضَعِفُ لَهُمْ أَلْعَذَابُ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ ﴾ [هود].

أطلق لفظ (السمع) هنا مجازا، والمراد به القبول والعمل به، لأنه مسبب عن السمع.

ونحو قول أبي العتاهية: [طويل]:

<sup>1</sup> - ينظر: عبد العزيز عتيق: علم البيان، ص 158 وما بعدها. وينظر أيضا: أحمد هندواوي: المجاز المرسل في لسان العرب، التركي للكمبيوتر، ط1،

1994، ص 41 وما بعدها.

وليست أيادي الناس عندي غنيمة ورب يد عندي أشد من الأسر

جاء لفظ (أياد) بمعنى الإحسان والعطاء، وذلك لأن اليد -عادة- هي السبب في هذا الفضل.

- خطب أبو العباس السفاح لما بويع بالخلافة فقال: «...ثم وثب بنو حرب ومروان فابتزوها...، فأملى الله لهم حيناً حتى آسفوه، فلما آسفوه انتقم منهم بأيدينا، ورد علينا حقنا...» (1)

- استعرض المتكلم في خطابه تاريخ الخلافة منذ عهد النبي ﷺ إلى أن آلت إلى بني العباس مرورا ببني أمية، وكان غرضه من ذلك أن يبين كيف انتكست الخلافة في عهد بني أمية بعد أن قام بها أصحاب النبي ﷺ بعده خير قيام، حيث استأثر الأمويون بالخلافة، فظلموا وجاروا، وكان ذلك سببا في انتقام الله منهم، وذلك بأن محادولتهم وأورثها بني العباس. والشاهد في الخطاب (انتقم منهم بأيدينا) حيث يرى المتكلم أن الله تعالى قد سخّر بني العباس ليكونوا سببا في محو دولة الأمويين، فلفظ الأيدي هنا مجاز، والمراد أنهم هم السبب، إذ اليد عادة ما تكون هي السبب في البطش والانتقام.

ب-المسبية: وذلك بإطلاق المسبب وإرادة السبب، نحو قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ

أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ۗ ﴾ [النساء]

أطلق لفظ النار وأريد به سببه وهو أموال اليتامى، لأن أكل أموالهم بالحرام هو الذي يدخلهم النار.

ومنه قول الشاعر: [ كامل ]

معشوقة حيث بوردة وجنة وسقت بكاسٍ فم سلافا مسكرا

فقد أطلق الشاعر لفظ (مسكر) وأراد به سببه وهو الخمر.

<sup>1</sup>- الجمهرة، ج3، ص3.

- قال الحجاج يوماً بعد أن سمع تكبيراً في السوق: «يا أهل العراق، يا أهل الشقاق والنفاق، ومساوئ الأخلاق، وبني اللكيعة، وعبيد العصا، ... ألا إنها عجاجة تحتها قصف.»<sup>(1)</sup>  
خاطب الحجاج أهل العراق بما اشتهروا به من سوء الخلق، وهذا ما جعلهم عرضة لشدة الولاة عليهم. فقد أحدثوا من الفتن ما جعل الحجاج يشرع لنفسه استخدام العصا معهم، وهو بهذا اللفظ (العصا) قد اختصر المسافة، وأوجز التعبير، فتجاوز لفظ (الفتن) أو ما ينوب عنها إلى ذكر ما تسببه من عقاب وهو (العصا)، وهذا من باب المجاز المرسل الذي يقوم على إطلاق المسبب وإرادة السبب.  
ج-الجزئية: وذلك بإطلاق الجزء وإرادة الكل.

نحو قوله تعالى: ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَلِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن].

تم إطلاق الوجه والمراد به صاحب الوجه وهو ذات الله سبحانه، لأن الوجه أشرف ما يمكن أن يعبر عن صاحبه، لأنه جزء منه.

ومنه قول الشاعر: [وافر]

وكم علمته نظم القوافي فلما قال قافية هجاني

فقد أطلق لفظ (القافية) وأراد بها البيت أو أكثر من الشعر، فالقافية تطلق على الجزء الأخير من بيت الشعر، وهي جزء منه.

- أوصى معاوية ابنه يزيد قائلاً: «يا بني، إني قد كفيتك الشد والترحال، ووطأت لك الأمور، وذلت لك الأعداء، وأخضعت لك رقاب العرب، وجمعت لك ما لم يجمعه أحد»<sup>(2)</sup>

1- الجمهرة، ج2، ص 277.

2- الجمهرة، ج2، ص 177.



لقد أراد معاوية أن يبين كيف مهد لابنه الطريق من بعده، وكيف تُهر انقياد الرعية وخضوعها، فلجأ إلى تصوير المعاني، فقد صور المنقادين المستجيبين له من الرعية بالذي خضعت رقبته، وطأ رأسه، فهو مثل العبد الرقيق قد طوق عنقه بالأغلال.

لقد وظف معاوية المجاز المرسل الذي علاقته الجزئية، القائم على ذكر الجزء وإرادة الكل، فقد ذكر الجزء (الرقاب) وأراد الكل (العباد) فتجاوز بذلك العباد إلى الرقاب لما في الرقبة من مزية دون العبد كله، فالقيد في الرقبة أضمن ألا يتملص العبد، أو يحاول التفلّت، لما في تلك المحاولة من كسر للرقبة، وذهاب للنفس.

د-الكلية: وذلك بإطلاق الكل وإرادة الجزء.

نحو قوله تعالى: ﴿... جَعَلُوا أَصَبِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ...﴾ [نوح].

فقد أطلق لفظ الأصابع وأريد بها الأنامل التي هي جزء منها، مبالغة في الإصرار على عدم سماع الحق.

ومنه قول الشاعر: [وافر]

بلاد مات فتيتها لتحيا      وزالوا دون قومهم ليقوا

فقد أطلق الشاعر لفظ (الفتية) وأراد بعضهم، فلا يعقل أن يكون كل الفتية ماتوا، وغرضه هنا المبالغة.

-نقل بعض جلساء معاوية كلام أم الخير بنت حريش في شأن علي إذ قالت: «... وها هو ذا مفلق الهام، ومكسر الأصنام،... فلم يزل في ذلك حتى قتل مبارزي بدر، وأفنى أهل أحد، وهزم الأحزاب، وقتل الله به أهل خير، وفرق به جمع هوازن.»<sup>(1)</sup>

<sup>1</sup> -الجمهرة، ج1، ص 195.

لقد أرادت أم الخير أن تجمع الناس حول الإمام علي، وتردهم إليه، فذكرت من صفاته ما من شأنه أن يؤثر في الناس، فصورت مدى شجاعته، وسبقه إلى كل خير، كما بيّنت أسباب نقمة أعدائه عليه، فهو:

- قتل مبارزي بدر.

- أفنى أهل أحد.

- قتل أهل خيبر.

لقد أرادت أم الخير أن تبالح في تصوير أسباب النقمة فوظفت المجاز المرسل الذي علاقته الكلية، إذ أطلقت لفظ الكل ( مبارزي بدر - أهل أحد - أهل خيبر ) وأرادت البعض، ولا يخفى ما لهذه المبالغة في التصوير من أثر في الطرفين؛ فهي من جهة تدفع الأصحاب إلى الالتفاف حول رجل شجاع، يكون النصر أضمن بجانبه، ومن جهة أخرى تعطي مبررا للأعداء لمزيد من النقمة عليه.

هـ-اعتبار ما كان:

وذلك بتسميه الشيء باسم ما كان عليه في الماضي، وإرادة ما هو عليه في الحاضر. نحو قوله تعالى:

﴿وَأَتُوا الَّتِي تَمَىٰ أَمْوَالُهُمْ...﴾ [النساء].

المقصود باليتيم من مات أبوه وهو صغير، لكن الآية تأمر بإعطائه ماله وهو كبير قد بلغ سن الرشد، فمعنى الآية هو إعطاء المال للكبير الذي كان يتيماً، (فاليتمى) مجاز مرسل علاقته اعتبار ما كان.

ومنه قول الشاعر: [طويل]

رأى فيه طفلاً كلما كان جدهُ يرى في ابنه من نجيلته الحسنى

فقد أشار الشاعر بما كان عليه الرجل وهو حالة الطفل، فدلّ عليه بما كان.

- قال الإمام علي: « فلم يرعني إلا شقاق رجلين بايعاني، وخلاف معاوية، الذي لم يجعل الله عز وجل له سابقة في الدين، ولا سلف صدق في الإسلام، طليق بن طليق، حزب من هذه الأحزاب... »<sup>(1)</sup>

إن كلام الإمام علي في هذا الخطاب يخص خصمه (معاوية)، وهو -حاليا- صاحب سلطة وقوة، فلما أراد التقليل من شأنه، نعته بما كان عليه في السابق (طليق - حزب). وحتى يفهم المخاطب الكلام، ويؤوله التأويل الصحيح، عليه أن يوظف قرينة معرفية، حيث إن معاوية كان من الطلقاء الذين عفا عنهم النبي ﷺ بعد فتح مكة، وكان قبل ذلك من ضمن الأحزاب التي تألبت وتظاهرت على حرب المسلمين في غزوة الخندق.

و-اعتبار ما سيكون:

وذلك بتسميه الشيء باسم ما سيؤول إليه مستقبلا. نحو قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَيَّ الْأَرْضَ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرَهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴾ [نوح].

ورد المجاز في لفظ (فاجرا كفارا)، لأن المولود لا يصير كذلك إلا بعد أن يكبر ويتحكم فيه الفجور والكفر، لذلك فإطلاق (فاجرا كفارا) على المولود هو باعتبار ما سيكونه ويتحول إليه مستقبلا.

ومنه قول الفرزدق: [طويل]

قتلت قتيلا لم ير الناس مثله أقلبه ذا تومتين مسورا

فقد أراد الشاعر أنه قتل حيا يصير بعد قتله قتيلا، فذكر الصفة التي سيؤول إليها الرجل.

1- الجمهرة، ج1، ص 161.

- مرض الحجاج يوماً فأرحف بموته أهل العراق؛ فلما سمع ذلك قال: «...كأني والله بكل حيٍّ منكم ميتاً، وبكل رطب يابساً، ونقل في ثياب أكفانه... إن الذين يعقلون يعلمون ما أقول.»<sup>(1)</sup>

أراد الحجاج أن يؤكد عدم خوفه من الموت، لأنه حق على كل مؤمن، فجعل هذه الحقيقة ماثلة أمام العين، فكل حي ميت، وكل رطب يابس باعتبار ما سيؤول إليه، وهذا مجاز مرسل علاقته اعتبار ما سيكون، وفائدة هذا النوع من المجاز تأكيد وقوع الشيء.

ز-المحلية: وذلك إذا أطلق اسم المحل وأريد الحال فيه.

ومنه قوله تعالى في شأن أبي جهل: ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ﴾ [العلق]، أي أهل ناديه. والنادي هو مكان الاجتماع، يجتمع فيه الأنصار والعشيرة، فالمقصود من لفظ النادي هم من فيه. لذلك أطلق اسم المحل (المكان) وأريد الحال فيه، وهذا المجاز علاقته المحلية أو المكانية.

ومنه قول الشاعر: [طويل]

نبئت أن النار بعدك أوقدت      واستب بعدك يا كليب المجلس

فقد عبر الشاعر بالمجلس وهو يقصد أهل المجلس نفسه، إذ المجلس اسم للمكان الذي يجلس فيه، فقد ناب المحل عن الحال فيه.

- قام عمار بن ياسر يوم صفين، فقال: «وذلك لأنه (أي عثمان) مكنهم من الدنيا، فهم يأكلونها، ويرعونها، ولا يبألون لو انهدمت الجبال، والله ما أظنهم يطلبون بدم، ولكن القوم ذاقوا الدنيا، فاستحلوها واستمرؤوها.»<sup>(2)</sup>

1- الجمهرة، ج2، ص 287.

2- الجمهرة، ج1، ص 181.

في هذا الخطاب من عمار بن ياسر، يذكر تبريرا لمن طالبوا بدم عثمان، إذ الحقيقة أنهم لم يطالبوا بدمه حبا فيه، أو غيرة على الدين، إنما فعلوا ذلك، واتخذوه ذريعة للخروج على علي عليه السلام، وحقيقة الأمر أنه ( مكنهم من الدنيا)، فكانوا يتنعمون فيها، وهذا الأمر سيفقدونه إذا تولى علي الخلافة.

الشاهد في الخطاب قوله: **ذاقوا الدنيا- يأكلونها ويرعونها - استحلوها واستمرؤوها.**

فالقوم قد ذاقوا ما في الدنيا من نعيم مكنهم منه عثمان عليه السلام، فهم يأكلون منه ويرعون، وقد استحلوه واستمرؤوه، وبذلك يكون المتكلم قد أطلق اسم المحل (المكان = الدنيا) وأراد الحالّ فيه (النعيم) مبالغة منه في تصوير تنعم القوم بالدنيا، وتمكنهم منها.

**ح-الحالية:** وذلك إذا أطلق اسم الحال وأريد المحل.

نحو قوله تعالى: ﴿ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ وَصَيِّغٌ لِللَّائِكِينَ ﴾ [المؤمنون].

فالشجرة تُنبِت الثمار التي تعطي الدهن، أي أن الدهن موجود في الثمار وحالّ فيها، وهذا من إطلاق الحالّ وإرادة محله.

ومنه قول الشاعر: [طويل]

ألما على معن وقولا لقبره سقتك الغوادي مربعا ثم مربعا

ف(معن) هنا ميت، وإنما قصد الشاعر قبره الذي هو حالّ فيه، والقريفة في البيت لفظية وهي (القبر)، فقد أطلق الشاعر الحالّ، وأراد محله.

- قال عبد الله بن بديل الخزاعي لأصحابه: «... وأنتم والله على نور وبرهان، قاتلوا الطعام الجفأة، قاتلوهم ولا تخشوهم.»<sup>(1)</sup>

1- الجمهرة، ج1، ص 176.

يحاول المتكلم في هذا الخطاب أن يبين لأصحابه صواب الطريق الذي يسلكونه، وذلك بموالة علي ومعادة معاوية، غير أنه لم يذكر لفظ الطريق أو السبيل، بل ذكر ما سيحده من يسلك هذا السبيل، ويتعلق الأمر بـ(النور والبرهان)، فمن والى عليا فهو في طريق مليء بهما، وبذلك يكون المتكلم قد وظف مجاز المرسل الذي علاقته الحالية، فأطلق اسم الحال (النور والبرهان) وأراد المحل (الطريق).

ط- الآلية: وذلك أن يُذكر اسم ويراد به الأثر الذي يتكون عنه، وبذلك يستعمل اللفظ الدال على آلة الشيء مكان الشيء نفسه.

نحو قوله تعالى: ﴿وَأَجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾ [الشعراء].

فكلمة (لسان) مجاز، والمراد منه القول الصدق والذكر الحسن، فعلى اعتبار أن اللسان آلة الذكر، فقد ذُكر وأريد به الذكر مجازاً.

ومنه قول الشاعر: [وافر]

كفى بالمرء عيباً أن تراه له وجه وليس له لسان

فالمراد باللسان القدرة على البيان الفصيح، إذ هو الآلة المعدة لذلك.

-قدم زياد البصرة فخطب فخطبه البتراء، ومما قال فيها: «... إني رأيت آخر هذا الأمر لا يصلح إلا بما صلح به أوله... واني أقسم بالله لآخذن الولي بالمولى، والمقيم بالظاعن... فكفوا عني أيديكم وألسنتكم، أكفف عنكم يدي ولساني.»<sup>(1)</sup>

يحمل الخطاب شدة في القول ظاهرة، ذلك أن المتكلم يعرف البصرة جيداً، فقد كان الفسق فيها فاشياً ظاهراً، لذلك كان لزاماً إطفاء الفتنة وأدائها حتى لا تستشري، فكان لا بد من الشدة والحزم في القول والفعل.

<sup>1</sup>-الجمهرة، ج2، ص 258 - 259.

لقد هدد زياد القوم ونصحهم أن يكفوا عنه أي فعل أو قول يؤذيه، أو يثير غضبه، وبالمقابل يكف هو عنهم أذاه، فقد أعد لكل ذنب عقابا. والملاحظ أن المتكلم لم يذكر لا الفعل ولا القول، وإنما ذكر اليد واللسان، إذ المشهور أن اليد هي أداة الفعل وآلته، بينما آلة القول هي اللسان، فقد ذكر المتكلم الآلة وأراد أثرها وما ينتج عنها.

**ي-المجاورة:** وذلك إذا أطلق اللفظ وأريد مجاوره، وهي أشبهه بالملازمة.

نحو قوله تعالى: ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ ﴿٣٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿٣٣﴾ ﴾ [البلد].

تم في الآية إطلاق لفظ (الرقبة) وأريد به الغل الذي يحيط بها، فهو الذي يفك وليس الرقبة، وهذا من باب إطلاق اللفظ وإرادة مجاوره.

ومنه قول عنبرة بن شداد: [كامل]

فشككت بالرمح الأصم ثيابه ليس الكريم على القنا بمحرم

فقول الشاعر (شككت ثيابه) يريد منه أنه أصابه في جسده، في أي مكان يسبب له مقتلا، ولما

كانت الثياب مجاورة للجسم، فقد عبر بها عنه.

- قال الحسن رضي الله عنه يحث الناس على الجهاد: «...إنه لم يجتمع قوم قط على أمر واحد

إلا اشتد أمرهم، واستحكمت عقدهم، فاحتشدوا في قتل عدوكم معاوية وجنوده، ولا تخاذلوا،

فإن الخذلان يقطع نياط القلوب...»<sup>(1)</sup>

جاء الخطاب في سياق التحريض على قتال معاوية، فأراد المتكلم شحذ النفوس، والتحذير من

الخذلان وبيان أثره، فالخذلان قاصم للجماعة، مشتت لوحدها.

1- الجمهرة، ج1، ص153.

والشاهد في الخطاب قوله (الخدلان يقطع نياط القلوب) والنياط هي أربطة القلب التي يستمد منها حياته، فإذا قطعت النياط مات القلب، فقد أراد المتكلم أن يبين أثر الخدلان في موت القلب، فلم يذكره مباشرة وإنما عبر عنه بمجاوره (النياط)، وهذا من باب إطلاق اللفظ وإرادة مجاوره.

## 2-2-2- الاستعارة:

### أ- تعريفها:

عرفها الرماني بقوله: «الاستعارة تعليق العبارة على غير ما وضعت له في أصل اللغة على جهة النقل للإبانة.»<sup>(1)</sup>

أما الجرجاني فقد خالف البلاغيين في فهمهم للاستعارة على أنها نقل للفظ من أصل الوضع في اللغة إلى وضع آخر، فهو يرى أنها ليست «نقل اسم عن شيء إلى شيء، ولكنها ادعاء معنى الاسم لشيء.»<sup>(2)</sup> وهو بهذا يدافع عن تصوره البلاغي للاستعارة، حيث إن الألفاظ إذا استعملت مجازياً لا يتغير معناها إلى معنى آخر، وإنما تكتسب معاني وتصورات أخرى. يقول الجرجاني: «فقد تبين من غير وجه أن الاستعارة إنما هي ادعاء معنى الاسم للشيء لا نقل الاسم عن الشيء.»<sup>(3)</sup>

أما حديثاً فقد طغت مباحث الاستعارة على الدراسات الحديثة بوصفها «نظرية إنسانية كونية ليست مختصة بثقافة أمة من الأمم.»<sup>(4)</sup> وقيمتها التداولية تكمن في إثباتها معاني لا يعرفها السامع من اللفظ، بل يعرفها من معنى اللفظ، نحو ( رأيت أسداً)، فالدلالة كامنة في معنى الأسد لا في لفظه، وهذه أولى قيمها التداولية، إلى جانب أنها تقوم على مفهوم ادعاء المتكلم أن المعنى المذكور هو المقصود إثباته

1- الرماني: النكت في إعجاز القرآن، ص 85.

2- الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص 434.

3- نفسه، ص 437.

4- محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري، إستراتيجية التناس، المركز الثقافي العربي، ط3، 1992، ص 82.



في اللفظ المذكور لأنه منقول إليه؛ فهو يدعي أنه رأى أسداً، لا إنساناً يشبه الأسد، ويترك المخاطب يبحث عن أبعاد هذا الادعاء، ليدرك في الأخير أن ذلك كان بهدف تقوية المعنى المراد وتثبيته في النفس. إن المخاطب يواجهه في الاستعارة معنيان؛ معنى حرفي مباشر ناتج عن مجموع دلالات الألفاظ، وآخر مستلزم عليه الوصول إليه. والذي يعني البحث هنا هو كيفية الوقوف على آلية اشتغال الاستعارة، وكيفية وصول المخاطب إلى المعنى الذي أراده المتكلم.

لقد وضع غرايس مبدأ التعاون وضمّنه مجموعة من القواعد التي يجب أن تحترم وتتخذ ضوابط من أجل نجاح عملية التواصل، وتكون بذلك المعاني الحرفية للعبارة هي المقصودة، غير أن خرق هذه القواعد بعضها أو جميعها هو المحدد لانتقال المعنى الحرفي إلى معنى مستلزم، فقد تخرق هذه القواعد من أجل غايات تواصلية بلاغية، أبلغ، وأنفع، وأكثر أهمية، لا يتأتى تحصيلها في صورتها المرجوة إذا صرح بها، فيلجأ إلى التضمين أو الاستلزام أو المفهوم معتمداً بالأساس على الاستفادة من معطيات السياق، وعلى الخلفية الفكرية والمعرفية المشتركة بين المتخاطبين، فضلاً عن تشغيل المخاطب قدراته الاستدلالية، على اعتبار أن غالبية أفراد المجتمع اللغوي الواحد يشكلون جماعة متجانسة، لها معارف وخبرات مشتركة.

وقبل التمثيل للاستعارة تجدر الإشارة السريعة إلى تقسيمات البلاغيين لها.

### ب- أنواعها: (1)

الاستعارة في أبسط تعريف لها هي تشبيه بليغ حذف أحد طرفيه، وعليه تقسم الاستعارة إلى:

- استعارة تصريحية: هي ما صرح فيها بلفظ المشبه به. نحو قول الشاعر: [مجزوء الرمل]

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع

1- السكاكي: مفتاح العلوم، ص 482 وما بعدها.

فالمشبه به هو البدر أما المشبه فمحذوف وهو النبي صلى الله عليه وسلم، والجامع بينهما هو الإنارة والإشعاع، وهناك قرينة لفظية تجعل المخاطب يتجاوز المعنى الحقيقي غير المقصود هي (من ثنيات الوداع)، فالبدر الحقيقي لا يطلع من هناك.

- استعارة مكنية: يحذف فيها المشبه، ويترك أحد لوازمه ليدل عليه. نحو قول الشاعر: [كامل]

وإذا العناية لاحظتك عيونها      نم فالمخاوف كلهن أمان

فالمشبه هو "العناية"، أما المشبه به فمحذوف وهو "الإنسان"، والقرينة المانعة من إرادة المعنى الحقيقي قرينة لفظية وهي "لاحظتك عيونها".

أما بالنظر إلى اللفظ الذي تجرى فيه الاستعارة، أي موضع الاستعارة، فقد يكون اسماً جامداً، وقد يكون اسماً مشتقاً أو فعلاً أو حرفاً، وبناء على هذا، قسم البلاغيون الاستعارة إلى قسمين رئيسيين؛ استعارة أصلية وأخرى تبعية.

- استعارة أصلية: ما كان المستعار فيها جامداً. نحو قول المتنبي: [طويل]

حملت إليه من لساني حديقة      سقاها الحجا سقي الرياض السحائب

فقد شبه شعره بالحديقة، وهي لفظ جامد، ومنه فالاستعارة تصريحية أصلية.

- استعارة تبعية: ما كان اللفظ المستعار فيها فعلاً أو اسماً مشتقاً أو حرفاً، نحو قوله تعالى:

﴿ أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ۗ ... ﴿١﴾ [النحل]، فالفعل "أتى" لم يستخدم في زمنه الحقيقي لأن أمر

الله لم يقع بعد، ومعناه (سيأتي). ولإجراء الاستعارة لا يمكن القول أنه شبه (سيأتي) بـ (أتى) لأن التشبيه فيه وصف والفعل لا يوصف، لذلك فالاستعارة تجرى في المصدر ثم في الكلمة المستعارة، فإجراؤها في الفعل تابع لإجرائها في المصدر، فنقول: شبه الإتيان في المستقبل بالإتيان في الماضي بجامع تحقق الفعل لا محالة، ثم جعل المشبه من جنس المشبه به والقرينة عقلية، ثم اشتق من المشبه به الفعل (أتى) بمعنى (سيأتي) وبذلك فالاستعارة تصريحية تبعية.

وهناك نوع آخر من الاستعارة يكون فيه المستعار تركيباً كاملاً، وتسمى الاستعارة التمثيلية، وكثيراً ما تقع في الأمثال والحكم والأقوال المأثورة التي لها مورد ومضرب. نحو قول الشاعر: [وافر]

ومن يك ذا فم مر مريض يجد مرا به الماء الزلالا

فلمريض لا يستعذب شيئاً بسبب مرضه، وكذلك سقيم الذوق الأدبي، فهو لا يستحسن شعراً ولا غيره، لذلك شبه بالمريض. فالملاحظ أن المستعار جاء مركباً، أو صورة، وهي فقدان حاسة الذوق، فالكلام استعارة تصريحية تمثيلية، والقرينة حالية.

ويتكلم البلاغيون عن نوع آخر من الاستعارة، وذلك إذا ذكر ما يلائم أحد طرفيها، فالاستعارة المجردة هي التي يذكر معها ما يلائم المشبه، نحو قول البحتري: [وافر]

يؤدون التحية من بعيد إلى أسد من الإيوان باد

فقوله (من الإيوان باد) يناسب الممدوح وهو المشبه.

والاستعارة المرشحة هي التي يذكر معها ما يلائم المشبه به، نحو قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا

الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين﴾ [البقرة]، فقد شبه الاختيار

بالشراء، وذكر الربح وهو ما يناسب المشبه به. أما الاستعارة المطلقة فلا يقترن طرفها بشيء، نحو قوله

تعالى: ﴿الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ ...﴾ [البقرة].

### ج- تداولية الاستعارة (علاقة الاستعارة بالتلميح):

وفيما يلي عرض لنماذج من الاستعارة باختلاف أنواعها، مع تحليلها وبيان كيفية إجرائها، مع بيان كيفية اشتغالها التداولي.

مثال 1:

قال داود بن علي:

« أيها الناس: الآن أقشعت حنادس الدنيا، وانكشف غطاؤها، وأشرق أرضها وسماؤها، وطلعت الشمس من مطلعها، وبزغ القمر من مبرغه، وأخذ القوس باريها، وعاد السهم إلى النزعة ورجع الحق إلى نصابه»<sup>(1)</sup>

سياق الخطبة:

جاء هذا الخطاب في أول موسم ملكه بنو العباس، بعد أن كانت السيادة فيه لبني أمية، فالخطاب إذن يحاول الفصل بين قديم وجديد، كما يسعى إلى طمس الماضي بكل سوءه وسواده، في مقابل تبييض الحاضر وتحسين وجهه.

يحاول داود بن علي أن يدفع أي شبهة على توليهم الخلافة، وأن يقنع الناس باستحقاقهم إياها، لذلك استعان بالتصوير.

التحليل:

لقد صور داود بن علي مآل الخلافة إلى بني العباس بطرق كثيرة، فقال:

- أقشعت حنادس الدنيا.

- انكشف غطاؤها.

- أشرق أرضها وسماؤها.

- طلعت الشمس من مطلعها.

<sup>1</sup> - الجمهرة، ج3، ص 3 - 4.

- بزغ القمر من مزغّه.

- أخذ القوس باريها.

- عاد السهم إلى النزعة.

- رجع الحق إلى نصابه.

وهي استعارات تمثيلية يسعى من خلالها إلى التأثير في المتلقي وتغيير سلوكاته واعتقاداته، والاستعارة التمثيلية كثيرا ما تقع في الأمثال والحكم، لذلك ساق جملة من الأمثال يعرفها العرب، وتصور عودة الشيء إلى أصله بعد غياب، فالخلافة:

- هي الإشراق وطلوع الفجر، بعد الظلام الدامس الذي لفّ الناس دهرا.

- وهي الشمس تطلع من جديد، بعد أن احتجبت عن الناس.

- وهي القمر افتقد في الليالي، ثم يبرز من جديد.

- وهي القوس تنتزع ممن لا يجيد استعمالها، ليعطاها أهل المعرفة والحدق.

- وهي السهم يعود إلى الرامي ليصوبه من جديد.

- وهي - أخيرا - الحق يعود إلى صاحبه بعد أن سلبه ظلما وجورا.

إن المخاطب هنا وهو يسمع هذه العبارات الاستعارية، يشعر إزاءها بنوع من التنافر الدلالي، وقد نتج هذا التنافر عن خرق المتكلم قواعد المحادثة، فما مناسبة معانٍ نحو: طلوع الشمس، بزوغ القمر، أخذ القوس باريها، من مقام الخطاب الذي يقال فيه؟

إن المخاطب مطالب بتأويل هذا الكلام من خلال تفعيل جملة من الاستراتيجيات والمبادئ التأويلية، بحيث يصبح للكلام معنى مقبول.

المقدمات:

- طلوع الشمس و بزوغ القمر لا يكون إلا بعد غياب، كما أن القوس لا يرمي بها إلا باريها.
- المتكلم صادق، والمخاطب يعلم ذلك.
- المتكلم ليس ممن يلقون الكلام عبثاً، والمخاطب يعلم ذلك أيضاً.

اللوازم:

- الشمس كانت محتجة دهرًا طويلًا، وكذلك القمر، والقوس في يد من لا يحسن الرمي.

الاعتراض:

- الشمس والقمر يطلعان بشكل دوري وفق سنن الكون، ولا يوجد -حقيقة- جاهل بالرمي يحمل قوسًا.

التوجيه:

المتكلم لم يرد طلوع الشمس و بزوغ القمر حقيقة ولا أخذ القوس باريها، إنما أراد شيئًا آخر، هو فكرة العودة. فالمتكلم هنا يريد القول إن الخلافة قد عادت إلى من يصلحها وينفع الناس بها، ويبشر الناس باليمن والأمان، فشبه مآل الخلافة إلى أصحابها الأحقين بها بطلوع الشمس وبغيرها من التشبيهات، والقرينة هي المشابهة في تغير الحال.

إذن: المعنى الحرفي ← طلوع الشمس وما يصاحبه من نور وإشراق.

المعنى المستلزم ← عودة الخلافة وما يصاحبه من تغير الحال نحو الأحسن.

## مثال 2:

خطب أبو العباس السفاح فقال يبشر بعهد جديد مع بني العباس وذلك بعد مقتل آخر الخلفاء الأمويين: «... أما أمير المؤمنين فقد ائتمف بكم التوبة، واغتفر لكم الزلة... فليفرخ وعكم<sup>(1)</sup>، ولتطمئن به داركم.»<sup>(2)</sup>

## السياق:

إن السياق يشمل كلا من المتكلم (أبي العباس السفاح أول الخلفاء العباسيين)، والمخاطب (وهو القتيل مروان بن محمد)، ويشمل أيضا أهل الشام وآل حرب وآل مروان، ولا بد لمؤول الخطاب أن يعرف ما كان يجمع أو يفرق بين هؤلاء جميعاً، وكذا الظروف السياسية والاجتماعية التي أحاطت بالخطاب.

## التحليل:

لما قتل آخر خلفاء بني أمية انقطع بهم الأمل في عودة الخلافة من جديد، وها هم الآن يستقبلون عهداً جديداً لا يدرون ما يصنع بهم فيه. غير أن أمير المؤمنين أراد أن يزيل عنهم الخوف، وييشرهم بالأمان، فاغتفر لهم ما بدر منهم سابقاً، وتفضل عليهم.

الشاهد في الخطاب قوله: (فليفرخ وعكم).

إن مؤول الخطاب يتعامل مع هذا التعبير وفق الإجراءات الآتية:

## المقدمات:

- الإفراخ يكون للبيضة (خلفية معرفية).

<sup>1</sup>- الروع بالضم القلب، والروع بالفتح الفرع والخوف.

<sup>2</sup>- الجمهرة، ج3، ص8.

- أسند الإفراخ إلى القلب.

- المتكلم صادق.

اللوازم:

- إفراخ القلب.

الاعتراض:

- القلب لا يفرخ (خلفية معرفية).

التوجيه:

إن أبا العباس لم يرد إفراخ القلب حقيقة، وإنما طلب منهم أن يهدؤوا ويطمئنوا ويطرحوا ما في قلوبهم من خوف، فصور القلب على أنه بيضة يخرج الفرخ منها.

إجراء الاستعارة: لقد شبه المتكلم هنا القلب بالبيضة، بجامع الإخراج وطرح ما فيها، وجعل المشبه من جنس المشبه به، فحذف المشبه به، وترك لازما من لوازمه وهو كلمة (يفرخ)، وبذلك تكون الاستعارة مكنية أصلية.

كان يمكن للمتكلم أن يطلب من المخاطبين الهدوء وطرح الخوف بأسلوب مباشر، لكنه عدل عن ذلك إلى التلميح بواسطة الاستعارة، ولا شك أن الاستعارة هنا أضافت معنى آخر غير طرح الخوف، وهو طرح كل ما من شأنه أن يثير الضغينة تجاه الخلافة الجديدة، فالقلب هو مكنن الأضغان.



### مثال 3:

قال مرثد الخير<sup>(1)</sup>: «إن التخبط وامتطاء الهجاج، واستحقاب اللجاج، سيقفكما على شفا هوة، في توردها بوار الأصيلة، وانقطاع الوسيلة.»<sup>(2)</sup>

### السياق:

تنازع الشرف كل من ميثم بن مثوب، وسبيع بن الحارث، وحدث بينهما تشاحن حتى كاد يؤدي إلى شر بين الحيين، وجاء هذا الخطاب بمناسبة الإصلاح بينهما.

**التحليل:** حاول مرثد الخير - بما له من مكانة في قومه، وبما له من بعد نظر - أن يقرب بين الرجلين، بعد أن تنازعا الشرف فثارت بينهما الشحنة، فبين لهما ما قد يؤول إليه ما هما فيه من عناد وركوب رأس.

الشاهد في الخطاب قوله: سيقفكما على شفا هوة.

### إجراء الاستعارة:

يرى المتكلم أن الشر والسوء الذي قد ينتج عن هذا النزاع هو هوة تبتلع من يسقط فيها، فشبّه الشر بالهوة، بجامع الأذى والضرر، وجعل المشبه من جنس المشبه به، وحذف المشبه وصرح بالمشبه به على سبيل الاستعارة التصريحية الأصلية.

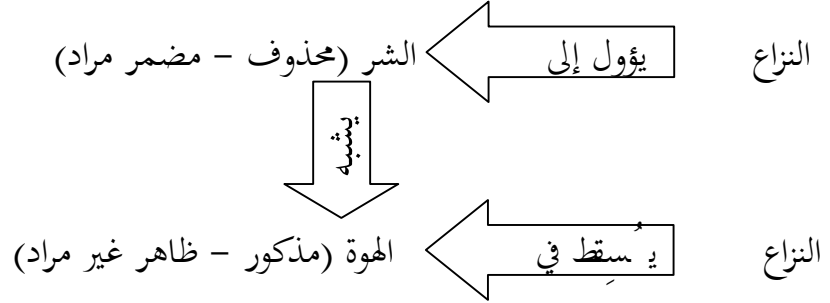
إن معنى الهوة هنا حسي حقيقي (ظاهر غير مراد)، وهي ترتبط في مخيلة مؤول الخطاب بالأذى والضرر، وهو المعنى المجازي (مضمّر مراد).<sup>(3)</sup>

1- من أئمة التابعين وفقهائهم بمصر.

2- الجمهرة، ج1، ص 2.

3- طه عبد الرحمن: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط 1، 1998، ص 310.

ويمكن توضيح هذا الإجراء كالاتي:



إن الاستعارة عملية جدا في تحريك همّة المخاطب للتعرف على قصد المتكلم، من خلال تفعيل قدراته الاستدلالية، والبحث في العلاقة التي تربط المشبه بالمشبه به، وذلك للوصول إلى قصد المتكلم، « فكل صفة تخلع على المشبه به سواء أكان مخدوفا ( في الاستعارة المكنية )، أم موجودا ( في الاستعارة التصريحية )، إنما هي منسحبة على المشبه، مما يقوي دعوى الاتحاد بين الطرفين، ودخول الطرف الأول في جنس الطرف الثاني، بحيث يصبح فردا من أفراد، وجزءا لا يتجزأ منه، فتتحقق البلاغة المرجوة، وتكتمل صورة المشبه في شكله الجديد، وتنفرج أسارير المعاني الثواني، وما وراء الصورة من إحاءات ورؤى.»<sup>(1)</sup>

### 3- الكناية:

#### 3-1- تعريفها:

**لغة:** سميت كناية لما فيها من معنى الستر، يقال: كنىت الشيء إذا سترته، ويقال: كنى، يكنى، إذا ستر مراده ولم يفصح عنه.

أما اصطلاحا فقد كثرت تعريفاتها، وقد نقل العلوي في الطراز جانبا منها، فهي عند الجرجاني: أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة، ويأتي بتاليه وجودا، فيومئ

1- أحمد عبد السيد الصاوي: مفهوم الاستعارة في بحوث اللغويين والنقاد والبلاغيين، منشأة المعارف، الإسكندرية، د ط، 1988، ص 146.

إليه، ويجعله دليلاً عليه.<sup>(1)</sup> وهي عند ابن سراج المالكي: ترك التصريح بالشيء إلى مساويه في اللزوم، ليُنتقل منه إلى الملزوم.<sup>(2)</sup> وهي عند بعض الأصوليين: اللفظ الذي يحتمل الدلالة على المعنى وعلى مخالفه.<sup>(3)</sup> وهي عند ابن الأثير: كل لفظ دل على معنى يجوز حمله على جانبي الحقيقة والمجاز بوصف جامع بين الحقيقة والمجاز.<sup>(4)</sup> أما تعريف السكاكي فهو نفسه تعريف ابن سراج المالكي السابق.<sup>(5)</sup>

والملاحظ أن مجمل ما تدور حوله التعريفات السابقة أن اللفظ الكنائي لفظ مشتمل على معنيين، يستعمل أحدهما ويراد الآخر. فالكناية في اصطلاح العلماء استعمال اللفظ في لازم معناه مع جواز إرادة الأصل، أي هي لفظ يطلق على استعمال المتكلم للكلمة في لازم معناها وليس في معناها الأصلي، ومثلوا لذلك بوصف الرجل بأنه طويل النجاد وكثير الرماد، فالتكلم بهذه الكلمة لا يريد المعنى الأصلي وإنما أراد المعنى اللازم، فوصفه بأنه كثير الرماد مرده إلى أنه جواد كريم، والرجل المضيف قديماً عادة ما يكون كثير الرماد، نظراً لكثرة إيقاده النار وطبخه لضيوفه، كذلك عندما قالوا طويل النجاد، أي طويل حمائل السيف، والمتكلم إنما أراد وصفه هو بالطول ولم يرد وصف نجاده، فأراد المعنى اللازم ولم يرد المعنى الأصلي.

لكن في أسلوب الكناية لا مانع من أن يقصد المتكلم المعنى الأصلي، فالمعنى الحقيقي للكلمة قد يكون مقصوداً أيضاً، فقد يكون الرجل طويل النجاد وكثير الرماد أيضاً، وبهذا تفرق الكناية عن المجاز، إذ المجاز لا يراد فيه المعنى الأصلي، وإنما المعنى المجازي الذي ينصب عليه دليلاً.

1- العلوي: الطراز، ج1، ص 366.

2- نفسه، ص 368.

3- نفسه، ص 371.

4- نفسه، ص 372.

5- السكاكي: مفتاح العلوم، ط1، ص 512.

وقد اختلفوا في الكناية، هل هي حقيقة أم مجاز أم غير ذلك؛ على أربعة مذاهب<sup>(1)</sup>:

**الأول:** أنها حقيقة، لأنها استعملت فيما وضعت له، وأريد بها الدلالة على غيره. قال به ابن عبد السلام، وهو الظاهر.

**الثاني:** أنها مجاز.

**الثالث:** لا هي حقيقة ولا هي مجاز، وإليه ذهب صاحب "التلخيص" لمنعه من المجاز أن يراد المعنى الحقيقي مع المجازي، وتجويزه ذلك فيها.

**الرابع:** أنها تنقسم إلى حقيقة ومجاز (اختاره تقي الدين السبكي)، فإن استعملت اللفظ في معناه مراداً منه لازم المعنى أيضاً فهو حقيقة، وإن لم يرد المعنى بل عُبر بالملزوم عن اللازم فهو مجاز، لاستعماله في غير ما وضع له، والحاصل: أن الحقيقة منها أن يستعمل اللفظ فيما وضع له، ليفيد غير ما وضع له، والمجاز منها: أن يريد به غير موضوعه استعمالاً وإفادة.

### 3-2- أنواعها:

جريا على عادة العلماء في تقسيم فنون البلاغة إلى أقسام، على غرار التشبيه والاستعارة - كما مر

سابقاً- فإنهم يقسمون الكناية إلى أقسام، وأشهر الأقسام ما كان باعتبار المكنى عنه، وذلك كالآتي:<sup>(2)</sup>

- **الكناية عن صفة:** هي التي يصرح فيها بالموصوف وبالنسبة إليه، ولا يصرح بالصفة المطلوب نسبتها وإثباتها، ولكن يذكر مكانها صفة تستلزمها.

كقول الشاعر: [طويل]

طويل نجاد السيف شهم كأنما      يصول إذا استخدمته بقبيل

1- السيوطي: الإتيان في علوم القرآن، ص 504. وينظر: علاء الدين المرودي: التخبير شرح التحرير في أصول الفقه، تحقيق: عبد الرحمن عبد الله الجبرين، مكتبة الرشد، الرياض، دط، دت، مج 1، ص 486.

2- أبو منصور الثعالبي: الكناية والتعريض، تحقيق: عائشة حسين فريد، دار قباء، دط، 1998، ص 22 وما بعدها.

فذكر الموصوف، ونسب طول النجاد إليه، لكنه كنى عن صفة طول القامة بذكر ملازمها وهو طول النجاد. ومن الكناية عن صفة ما هو قريب واضح يستنتج مباشرة، ومنها ما هو بعيد خفي يحتاج إلى إعمال الفكر.

- الكناية عن موصوف: حيث يستر الموصوف، ويذكر فيها صفة أو أوصافا تختص به.

ومنها قول الشاعر: [كامل]

الضارين بكل أبيض مخدم والطاعنين مجامع الأضغان

وهنا كنى الشاعر عن القلوب، إذ هي التي تحمل الأضغان.

- الكناية عن نسبة: وفيها يراد إثبات أمر لأمر أو نفيه عنه، كما يصرح فيها بالصفة والموصوف،

و لا يصرح بالنسبة الموجودة بينهما. كقول الشنفرى: [طويل]

بيت بمنجاة عن اللؤم بيتها إذا ما بيوت بالملامة حلت

وبما أن الليل هو مظنة الفجور، استعمل لفظ "بيت"، فأراد أن يبين عفافها وبعدها عن التهمة.

### 3-3- تداولية الكناية:

لا يعنينا في هذا البحث من أمر الكناية هل هي حقيقة أم مجاز، بقدر ما يعنينا الوقوف على كيفية الاشتغال التداولي لها، فمحصلة الأمر أن الكناية تدخل في عموم التعبير عن المراد بأسلوب غير مباشر، وفيها عدول عن التصريح إلى التلميح، وأن على المخاطب الوقوف على المعنى المقصود من العبارة التي تشتمل على كناية، وأن عليه تجاوز حرفية الملفوظ إلى مضمرة عن طريق التأويل، ويكون ذلك باتباع جملة من الاستدلالات بشكل متدرج، ويمكن توضيحها بتطبيقها على المثال الذي ذكره الجرجاني في تعريفه للكناية، يقول: « والمراد بالكناية ههنا أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني فلا يذكره باللفظ

الموضوع له في اللغة، ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه وردفه في الوجود فيومئ به إليه، ويجعله دليلا عليه، مثال ذلك قولهم: هو طويل النجاد، يريدون طويل القامة، وكثير رماد القدر، يعنون كثير القرى.<sup>(1)</sup> يمكن الوصول إلى معنى كثير رماد القدر بتطبيق الاستدلالات الآتية:

كثرة الرماد ← كثرة الطبخ ← كثرة الآكلين ← كثرة الضيوف ← فلان مضياف.

وبما أن من أهم الأمور في الكناية أن المعنى الأصلي قد يكون مقصودا هو الآخر، فإن عبارة كثير الرماد تطرح احتمالات أخرى غير معنى كرم الضيافة، ومنه فالمخاطب مطالب بالاستعانة بقرائن أخرى غير لغوية للوصول إلى المقصود. ولتحقيق ذلك يوضح محمد بن علي الجرجاني الأمر كالاتي: « قولنا فلان كثير الرماد، والمراد ملزوم كثرة الرماد، وهو كونه مضيافا، وليس كونه كثير الرماد ملزوما لكونه مضيافا، لجواز أن يكون ذا صنعة من الصناعات النارية، فالعقل بواسطة حكمه بأن الحكم بكثرة الرماد ليس مما يمدح به شخص أو يذم، ينتقل إلى ملزوماتها أو معروضاتها، فينفي واحدا منها بعد واحد حتى يطلع على كونه مضيافا، فيسكن عنده ويقبله، لكونه مما يمدح به.»<sup>(2)</sup>

يوضح الكلام السابق الخطة التي يتبعها المخاطب للاستدلال على المقصود من التعبير الكنائي، فالمخاطب تتساوى - بداية - عنده الاحتمالات، من ذلك أنه مضياف، أو أنه صاحب صنعة نارية، أو أي احتمال آخر، لكنه ينفىها واحدا تلو الآخر معتمدا في ذلك على السياق والخلفية المعرفية ليصل في النهاية إلى المقصود؛ فسياق المدح، والوجود المعروف عن الممدوح، كل ذلك يوجه كثرة الرماد إلى كثرة الضيوف، ما يعني أن الشخص مضياف.

وفيما يلي عرض لنماذج من الكناية، مع تحليلها وبيان قيمتها الفنية، وكيفية اشتغالها تداوليا.

1- الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص 66.

2- محمد بن علي الجرجاني: الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة، ص 216.

مثال 1:

وصف بعضُ البلغاء رجلاً فقال :

«إنه بسيط الكف، رحب الصدر، موطأ الأكناف... يستقبلك بطلاقة، ويحييك ببشر... غير ملاحظ لآكليه، بطين من العقل، خميص من الجهل...»<sup>(1)</sup>

ورد في الخطاب عدة كنايات نكتفي منها بقوله: **بسيط الكف**. وبسيط هنا فعيل بمعنى مفعول.

لقد صور المتكلم الرجل بمن مد يده وبسطها بسطاً بحيث أصبحت لا تمسك شيئاً يوضع فيها، سواء أكان قليلاً أم كثيراً، ولما كان العطاء باليد إنما يكون ببسطها، صار من المعروف في اللغة التعبير ببسط اليد عن العطاء، فهو كناية عن صفة الجود والكرم.

وقد يتوهم أن بسط الكف كناية عن الإسراف والتبذير، غير أن السياق ينفي ذلك، إذ هو سياق مدح، والإسراف ليس مما يمدح به.

إذن: المعنى الحرفي: بسيط الكف أي مفتوح الكف ممدودها.

المعنى المستلزم: صفة الجود والكرم.

لكن كيف يتوصل مؤول الخطاب إلى المعنى المستلزم؟

لا شك في أنه يوظف عدة قرائن لذلك، منها:

- السياق: سياق مدح وذكر فضل.
- الخلفية المعرفية: العطاء يكون باليد، وبسط الكف يعني كثرة العطاء.

<sup>1</sup>- الجمهرة، ج3، ص 249.

مثال 2:

ذكر أعرابي قوما فقال:

«لهم بيوت تدخل حبوا، إلى غير نمارق ولا وسائد، فصح الألسن برد السائل، جعاد الأكف عن النائل.»<sup>(1)</sup>

يكاد يكون هذا الخطاب كله كنايات، وعلى المخاطب أن يصل إلى مقصود المتكلم.

يوظف المخاطب جملة من الاستدلالات حتى يتجاوز حرفية الخطاب، وتكون على شكل متتاليات كالآتي:

بيوت تدخل حبوا ← صغر باب البيت ← طأطأة الرأس إلى درجة الزحف ← النفور من الدخول ← قلة الداخلين (الضيوف) ← البخل والشح.

لقد عبر المتكلم عن معنى البخل والشح بطريقة غير مباشرة، فعدل عن التصريح به إلى التلميح، مكنيا عنه بالدخول حبوا إلى البيت، وهي كناية بعيدة، إذ لن يصل المخاطب إلى المقصود إلا بإعمال الفكر، واستغلال مقدرته على التأويل.

والمعمول به في الكناية أن المعنى الأصلي قد يكون مقصودا هو الآخر، وعليه فعبارة (تدخل حبوا) قد يكون معناها الحرفي مقصودا أيضا، أو يقصد أي معنى آخر له علاقة بالحبو، ومنه فالمخاطب مطالب بالاستعانة بقرائن أخرى غير لغوية للوصول إلى المقصود، ومن هذه القرائن:

- السياق: سياق ذم.
- الخلفية المعرفية: القوم مشهور عنهم البخل.
- قرينة عقلية: ليس من العقل والمنطق أن تدخل البيوت حبوا، فهذا يتنافى مع ما وضعت له.

<sup>1</sup> - الجمهرة، ج 3، ص 307.



وبإعمال هذه القرائن يبدأ المخاطب في نفي الاحتمالات الممكنة، ليصل في الأخير إلى مقصود المتكلم:

بيوتهم تدخل حبوا يستلزم البخل والشح

إن الكناية بما فيها من بعد عن التصريح، تساعد على تجاوز بعض القيود التي يفرضها الدين أو العرف أو غيرهما، فيختار المتكلم اللفظ الأجل للتعبير عن القصد، كما أنها تبقى من الأساليب ذات التأثير المباشر في المخاطب، بما فيها من إيجاز، وهي في الأخير تعمل على إشراك المخاطب من خلال تحفيز وعيه وقدراته الاستدلالية للوصول إلى قصد المتكلم.

## المبحث الثالث: الوسائل الأصولية

## توطئة:

سبقت الإشارة في هذا البحث إلى أن الأصوليين قد عنوا بالدلالات المختلفة للخطاب من أجل استنباط الأحكام الشرعية، وبذلك كان لهم مفاهيمهم ومصطلحاتهم الخاصة بهم، كما تمت الإشارة إلى أن فكرة التلميح التي يعالجها البحث كانت حاضرة في أذهانهم، وأنه (أي التلميح) يشمل كلا من المنطوق غير الصريح، بأقسامه: الاقتضاء والتنبيه والإشارة، كما يشمل المفهوم بنوعيه؛ أي مفهوم الموافقة، ومفهوم المخالفة. كما أنه يشمل بعض أفعال الكلام التي تفرد بها الأصوليون عن غيرهم من البلاغيين.

ينبغي الإشارة إلى أن الأصوليين كان هدفهم استنباط الأحكام الشرعية، لذلك فقد تعاملوا مع خطابات شرعية، وطبقوا عليها مفاهيمهم الخاصة، بوسائلهم الخاصة، وسيكون من الصعوبة بمكان تطبيق هذه الوسائل على الخطاب البشري العادي، لتحقيق هدف مختلف. وفي هذا الجزء من البحث سنحاول رصد التلميح في الخطاب العربي، لكن بتطبيق وسائل الأصوليين سابقة الذكر.

## المطلب الأول: المنطوق غير الصريح

سبقت الإشارة إلى تعريف الأصوليين للمنطوق غير الصريح بأنه: «دلالة اللفظ على الحكم بطريق الالتزام لاستلزام اللفظ لذلك المعنى»<sup>(1)</sup> وقد قسمه الأصوليون إلى ثلاثة أقسام، وذلك بمراعاة قصد المتكلم.

فحينما ينجز المتكلم خطابا تلميحيا يكون المدلول عليه بالالتزام متأرجحا بين ثلاث دلالات؛ فإما أن يكون:

- مقصودا للمتكلم وتوقف عليه صدق الكلام أو صحته العقلية أو الشرعية، ويسمى الاقتضاء.

1- خالد رمضان حسن: معجم أصول الفقه، ص 303.

- أو مقصودا له، ولم يتوقف عليه صدق الكلام ولا صحته العقلية أو الشرعية، ويسمى الإيماء أو التنبيه.

- أو ليس مقصودا للمتكلم، ويسمى الإشارة.

وسنحاول فيما يلي التمثيل لهذه الدلالات أو لبعضها من كلام العرب.

### 1- الاقتضاء:

قد يضمّر المتكلم في خطابه معنى ما، وذلك بحذف بعض أجزاء الكلام، ولا بد للمخاطب أن يقدر هذا المضمّر حتى يصح الكلام عقلا وشرعا، مع مراعاة صدق المتكلم. ويمكن التمثيل لذلك بالخطاب الآتي للنبي ﷺ:

«... واعلموا أن الله - عز وجل - قد افترض عليكم الجمعة، في مقامي هذا... فمن تركها وله إمام، فلا جمع الله له شمله، ولا بارك له في أمره، ألا ولا حج له، ألا ولا صوم له، ألا ولا صدقة له، ألا ولا بر له...»<sup>(1)</sup>

والشاهد في خطاب النبي ﷺ قوله: (ألا ولا حج له، ألا ولا صوم له، ألا ولا صدقة له، ألا ولا بر له)، والنفي هنا لا ينصب على وجود الشيء، بل على صحته أو كماله، فالإنسان قد يحج ويصوم، ويكون له بر وصدقة، ولكنه إذا ضيع صلاة الجمعة، فكل أعماله السابقة تعد غير صحيحة، أو غير تامة. إذن على المخاطب أن يقدر معنى الصحة والتمام، حتى يستقيم الكلام.

وجاء في خطبة أخرى للنبي ﷺ قوله:

«... أيها الناس، إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم، إلى أن تلقوا ربكم، كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا. ألا هل بلغت؟ اللهم اشهد!»<sup>(2)</sup>

1- الجمهرة، ج1، ص 53.

2- نفسه، ج1، ص 57.

فالتحريم في هذا الخطاب لا ينصب على ذات الدم أو المال، بل على ما يقع عليه من اعتداء، فليس لأحد أن يتجرأ على دم المسلم أو على ماله بالقتل أو الاعتداء.

## 2- الإيماء (أو التبيه):

دلالة الإيماء هي دلالة اللفظ على معنى لازم مقصود للمتكلم، وهي اقتران اللفظ بحكم لا يدل إلا على التعليل، أي أن اللفظ يرتبط بمعنى لازم يكون هو سبب الحكم، وهذا المعنى مقصود للمتكلم، لكنه لا يصرح بذلك. ويمكن التمثيل لدلالة الإيماء بالخطاب الآتي:

لما حضرت معاوية الوفاة دعا من يبلغ ابنه يزيد ما يلي:

« يا بني، إني قد كفيتك الشد والترحال... وانظر أهل العراق، فإن سألوك أن تعزل عنهم كل يوم عاملاً فافعل، فإن عزل عامل أهون عليك من سل مائة ألف سيف، ثم لا ندري علام أنت عليه منهم؟ ثم انظر أهل الشام، فاجعلهم الشعار دون الدثار<sup>(1)</sup>، فإن رابك من عدوك ريب، فارمهم بهم، فإن أظفرك الله بهم، فاردد أهل الشام إلى بلادهم، ولا يقيموا في غير بلادهم، فيتأدبوا بغير أدبهم.»<sup>(2)</sup>

ينصح معاوية ابنه في هذا الخطاب أن يهتم بأهل العراق، وأن يلي طلباتهم، إلى درجة أن يعزل عنهم كل يوم عاملاً، إن هم طلبوا ذلك. لكن معاوية لم يصرح بالسبب الذي يترتب عنه العزل، بل لمح لذلك، وهو الذي (أي معاوية) خبر أهل العراق، ويعرف مزاجهم، ويعرف أنهم متقلبون لا يرضون بالحكام، وتقلبهم هذا وعدم قبولهم هو العلة في عزل الحكام.

والأمر نفسه بالنسبة لأهل الشام؛ فقد نصح معاوية ابنه بتقريبهم وجعلهم في مواجهة عدوهم،

ذلك أنهم أهل بأس وقوة، ويمكن الاعتماد عليهم، ثم نصح بإعادتهم إلى بلادهم حتى لا يتأدبوا

<sup>1</sup> - الشعار ثوب يلبس على شعر الجلد، والدثار ثوب يلبس فوق الشعار.

<sup>2</sup> - الجمهرة، ج2، ص 177.

بغير أدبهم، دلالة على حسن أخلاقهم.

### 3- الإشارة:

هي «دلالة اللفظ على لازم غير مقصود للمتكلم»<sup>(1)</sup> أي إن هذا المعنى لازم للفظ، لكن المتكلم لم يكن يقصد إليه، ومنه فهذا المعنى غير مباشر، وهو يحتاج من المخاطب إلى نظر وتأمل. ويمكن التمثيل لدلالة الإشارة بالخطاب الآتي:

أوصى عبد الملك بن مروان أخاه عبد العزيز حين ولاه مصر فقال:

«ابسط بشرك، وألن كنفك، وآثر الرفق في الأمور، فإنه أبلغ بك... وإذا انتهى إليك مشكل، فاستظهر عليه بالمشاورة، فإنها تفتح مغاليق الأمور...»<sup>(2)</sup>

والشاهد في الخطاب قوله: (وإذا انتهى إليك مشكل، فاستظهر عليه بالمشاورة). فظاهر العبارة هو الأمر بالشورى، وهذا هو المعنى المباشر، غير أن المشاورة تقتضي إيجاد من يستشار وتقريبه، وبذلك يكون المعنى: (قرب من تستشير، واختار لذلك من هو أهل)، وهذا المعنى لم يقصد إليه المتكلم، لكنه لازم للفظ.

### المطلب الثاني: المفهوم

- 1- مفهوم الموافقة: حيث يكون مدلول اللفظ في محل السكوت موافقا لمدلوله في محل النطق، أي هو ثبوت حكم المنطوق به للمسكوت عنه. وهو نوعان:
- فحوى الخطاب : بحيث يكون المسكوت عنه أولى بالحكم من المنطوق به.

1- خالد رمضان حسن: معجم أصول الفقه، ص304.

2- الجمهرة، ج2، ص:186-187.

مثل: ممنوع اللمس. فيستلزم: ممنوع ما هو أكثر من اللمس، حيث ( تلفظ المرسل بالحد الأدنى من درجات سلم المنع بعد أن نظم الأعمال الممنوعة في ذهنه وفقا لتدرجها المتعالي في القيمة، ليفضي منع الحد الأدنى إلى منع الحد/الحدود العليا، إذ يقوى المنع كلما ارتفع المنوع درجة)<sup>(1)</sup>

- لحن الخطاب: وفيه يكون المسكوت عنه مساويا في الحكم للمنطوق به.

مثل: يحرم شرب الدخان. فيستلزم: يجرم بيعه وشراؤه.

ومن أمثلة مفهوم الموافقة خطاب أبي جعفر المنصور لما قتل أبا مسلم الخراساني، حيث قال: «أيها الناس، لا تخرجوا من أنس الطاعة إلى وحشة المعصية، ولا تسروا غش الأئمة، فإنه لم يسر أحد قط منكرا إلا ظهرت في آثاره، وفتلت لسانه»<sup>(2)</sup>

جاء النهي في الخطاب عن غش الأئمة في السر، ونظرا إلى أن الوضع السياسي كان مضطربا، مما دفع بالخليفة إلى إشهار سيف العقاب في وجه كل من يرفع صوته ضد السلطة الحاكمة، فهو إذن ينهى من باب أولى عن غش الأئمة في الجهر، كما ينهى عن خيانتهم ومقاتلتهم، فعبر بالحد الأدنى (الغش في السر) ليستغرق بذلك كل ما هو أعلى من الغش.

## 2- مفهوم المخالفة:

عندما ينتج المتكلم خطابا، يجد المخاطب نفسه أمام خطابين؛ الأول ما قاله المتكلم، والثاني ما سكت عنه ولم يقله، فيعمل على تأويل الخطاب الأول باستعمال آليات التأويل المختلفة، وفي الوقت ذاته يؤول ما سكت عنه المتكلم بخلاف ما أول به الخطاب الأول، ويسمى هذا مفهوم المخالفة، فهو: « دلالة اللفظ على ثبوت حكم للمسكوت عنه، مخالف لما دل عليه المنطوق به»<sup>(3)</sup>

1- الشهري: إستراتيجيات الخطاب، ص 428.

2- الجمهرة، ج3، ص 26.

3- قطب مصطفى سانو: معجم مصطلحات أصول الفقه، ص 428.

ومفهوم المخالفة له قيود كثيرة منها: الصفة والشرط والغاية والزمان والمكان والحصر واللقب. وفيما يلي أمثلة عن بعض هذه القيود.

فأما الزمان فيكون بتقييد الحكم/الخطاب بزمن معين، بحيث يفهم خلافه خارج نطاق هذا الزمن، ومن أمثلته خطبة داود بن علي لما عادت الخلافة إلى بني العباس، إذ يقول:

« الحمد لله شكراً شكراً، الذي أهلك عدونا، وأصار إلينا ميراثنا من نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، أيها الناس: الآن أقشعت حنادس الدنيا، وانكشف غطاؤها. »<sup>(1)</sup>

فهو يقول: ( الآن أقشعت حنادس الدنيا )<sup>(2)</sup> أي: قبل ذلك (في عهد بني أمية) كان الناس يعيشون في ظلام، يوم كان الحق عند غير أهله. فكلمة (الآن) حد فاصل بين زمنين متخالفين.

وأما الحصر فيكون بالنفي مع إلا، أو يكون بإنما التي تفيد القصر، ومن أمثلته قول ابن عباس يرد على معاوية: « ... وأشهد أن الله لم يجعل محمداً من قريش إلا وقريش خير البرية، ولم يجعله في بني عبد المطلب إلا وهم خير بني هاشم. »<sup>(3)</sup>

فالمتكلم حصر الخيرية في قريش، ثم زاد فحصرها أكثر في بني عبد المطلب، لذلك اصطفى الله تعالى النبي ﷺ منهم. فالمخاطب يوظف مفهوم المخالفة ليفهم من الخطاب أن الخيرية تنحصر في قريش وفي بني عبد المطلب وتنتفي عن غيرهم.

1- الجمهرة، ج3، ص 3-4.

2- أقشعت: انكشفت. حنادس: الحِناس: الظلمة.

3- الجمهرة، ج2، ص 91.

وقد يستعمل المتكلم مفهوم الغاية فيربط الحكم/الخطاب بغاية ما، بحيث يفهم مخالفه إذا تحققت تلك الغاية، وعادة ما يستعمل "إلى" أو "حتى" ليدل على هذا المفهوم. ومن أمثلة قيد الغاية خطاب صعصعة بن صوحان:

« يا معشر عباد الله: إن الله -وله الحمد كثيراً- لما قسم الفضل بين المسلمين خصكم منه بأحسن القسم؛ فأجبتم إلى دين الله، الذي اختاره الله لنفسه، وارتضاه لملائكته ورسوله، ثم أقمتم عليه حتى قبض الله رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثم اختلف الناس بعده، فثبتت طائفة، وارتدت طائفة، وأدهنت طائفة، وتربصت طائفة، فلزمتم دين الله إيماناً به وبرسوله، وقاتلتم المرتدين، حتى قام الدين، وأهلك الله الظالمين، فلم يزل الله يزيدكم بذلك خيراً في كل شيء، وعلى كل حال، حتى اختلفت الأمة بينها، فقالت طائفة: نريد طلحة والزبير وعائشة، وقالت طائفة: نريد أهل المغرب»<sup>(1)</sup>

لقد استعمل المتكلم في خطابه الأداة "حتى" التي تفيد الغاية، فقال (ثم أقمتم عليه حتى قبض الله رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، وبتوظيف مفهوم الغاية، يدرك المخاطب أن ما بعد "حتى" يفيد انتفاء ما قبلها، بمعنى أنكم مازلتم على دين الله قائمين حتى قبض النبي ﷺ فبدلتم، ومازلتم على ذلك (حتى قام الدين)، فلما تحققت الغاية (قيام الدين) انتفى ما قبلها، وهكذا، يفهم المخاطب أن تحقق الغاية فيه تلميح إلى أن ما قبلها قد انتهى.

كما أن المتكلم قد يستعمل الشرط في خطابه، وذلك بأن يعلق الحكم/الخطاب على شرط، فإن تحقق الشرط، تحقق المشروط، والمخاطب من جهته سيفهم خلاف ذلك، أي أنه إذا لم يتحقق الشرط، لم يتحقق المشروط.

1- الجمعة، ج2، ص 421. ويقصد بالمغرب معاوية وأهل الشام، لأنهم غرب العراق.



ومثال قيد الشرط خطبة لعمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول فيها:

«... فإن عمر أصبح لا يثق بقوة ولا حيلة إن لم يتداركه الله عز وجل برحمته وعونه وتأيدته»<sup>(1)</sup>

فعمر رضي الله عنه يعلق حصول القوة والحيلة بتدارك الله عز وجل إياه برحمته وعونه وتأيدته، وبإعمال مفهوم المخالفة، يفهم المخاطب خلاف ظاهر الخطاب، أي أنه إن لم يتداركه الله برحمته، فلا حيلة ولا قوة.

إن المخاطب في كل ما سبق يوظف مقدرته اللغوية التي تتيح له تأويل أي خطاب، مع مراعاة مبدأ التعاون؛ ذلك أن المتكلم يهدف إلى إبراز قصده، بمراعاة مبدأ الإفادة، مع اقتصاره في كلامه على ما يراه ضروريا لتحقيق قصده، كما أنه يفترض أن المخاطب له من الآليات اللغوية وغير اللغوية ما يسعفه على التأويل الصحيح للخطاب.

خاتمة

### خاتمة:

تقتضي منهجية البحث العلمي أن يختم البحث بتسجيل بعض النتائج لما سبق تناوله في ثناياه، وهذه النتائج أسجلها على شكل نقاط:

- يمكن تسجيل ملاحظة أولى لها علاقة بالمدونة (جمهرة خطب العرب)، وليس لها علاقة بموضوع البحث (التلميح)؛ وهي أن المدونة كنز كبير، ومصدر هام لفهم الكثير من الأحداث التاريخية، وذلك بوضعها في سياقها التاريخي الحقيقي، ويمكن التمثيل لذلك بالأحداث المرتبطة بالفتنة التي حدثت بين الصحابة الكرام بعد مقتل سيدنا عثمان رضي الله عنه، فالمدونة تشرح الكثير من التفاصيل، ولذلك تعد مصدرا تاريخيا مهما، فضلا عن كونها مصدرا لغويا.

- شيوع التلميح في الخطاب العربي القديم، ويمكن أن تنسحب هذه الملاحظة على الخطاب البشري عموما، ذلك أن السياقات التي تشجع على التصريح قليلة مقارنة بالسياقات التي تدفع إلى التلميح. والذي يثبت ذلك ثراء المدونة بنماذج كثيرة عن التلميح، ويمكن القول إن الخطاب العربي القديم في مجمله خطاب تلمحي، إلا ما كان منه أمرا أو نهيًا مباشرًا، أو كلاما لا يقبل التأويل، وذلك راجع إلى كفاية المخاطب العربي، وقدرته على فهم لغته العربية، ووعيه بآليات التأويل المختلفة.

- تناول التراث العربي الكثير من القضايا التداولية، وكان العلماء العرب على وعي كبير بكثير من المفاهيم التي تعد الآن من صميم البحث التداولي، مثل السياق والأفعال الكلامية وغيرها، وإن اختلفت المصطلحات المستعملة، وتعد المباحث النحوية والبلاغية ميدانا خصبا لتطبيق الكثير من المفاهيم التداولية.

- يعتمد تأويل الخطاب عموما على فهم السياق الذي يرد فيه، أي مجموعة الظروف والملايسات التي تحيط به، دون إهمال السياق الداخلي (اللغوي)، وهذا الذي يجعل المنهج التداولي متميزا عن الاتجاه الشكلي الذي لا يعير اهتماما لأطراف عملية التواصل.

- يتدخل العرف اللغوي في توجيه بعض الخطابات وتأويلها، ويقف وراء تحديد القوة الإنجازية للخطاب، إن كانت حرفية أم مستلزمة.
- يمكن أن نرصد تميزا واضحا في الجانب التداولي لدى العلماء العرب (الأصوليين خاصة)، ذلك أنهم، إضافة إلى ما أخذوه من علماء البلاغة، قد فرّغوا أفعالا كلامية خاصة بهم، نبعت من استقراء النصوص الشرعية، كفعل الرواية والشهادة، كما وضعوا أفعالا كلامية أخرى انبثقت من الأمر والنهي؛ كالوجوب والتحريم والندب.
- صعوبة تطبيق بعض الوسائل الأصولية على الخطاب غير الشرعي، ذلك أن الأصوليين كان هدفهم استنباط الأحكام الشرعية من النصوص المقدسة، وهو ما لا يتوفر في الخطاب العادي، ولذلك كانت وسائلهم مناسبة لأهدافهم، وبالمقابل، هناك وسائل أصولية أخرى على غرار المنطوق والمفهوم يمكن أن تستثمر لتأويل الكثير من الخطابات العادية.
- إن التلميح بوصفه إستراتيجية لتوصيل الأفكار له جماليته، فهو صورة من صور البلاغة، إذ يراعي حال المخاطب دائما. ولا شك أن الإمام به وبوسائله ومقاصده يبقى أمرا متعددا في بحث واحد، والدراسات في هذا المجال ما زالت في بداياتها.
- وفي الأخير أسأل الله تعالى أن ينفع بهذا البحث من قرأه، وأن يتجاوز عنا الخطأ والنسيان، والله ولي التوفيق.

# المصادر والمراجع

### المصادر والمراجع:

- 1- القرآن الكريم برواية حفص.
  - إبراهيم فتحي:
- 2- معجم المصطلحات الأدبية، دار التعاضدية العمالية، تونس، 1988.
  - ابن الأثير (ضياء الدين):
- 3- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تعليق أحمد الحوفي وبدوي طبانة، نهضة مصر، دط، دت.
  - ابن الأنباري (أبو البركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد بن أبي سعيد ت577هـ):
- 4- الإنصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين، تحقيق: جودة مبروك ومراجعة رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، 2002.
  - ابن الحاجب (جمال الدين أبو عمرو عثمان بن عمر ت646هـ):
- 5- مختصر منتهى السؤل والأمل في علمي الأصول والجدل، تحقيق: نذير حمادو، دار ابن حزم، بيروت، ط1، 2006.
  - ابن السراج (أبو بكر محمد بن سهل ت316هـ):
- 6- الأصول في النحو، تحقيق: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط3، 1996.
  - ابن الناظم (بدر الدين بن مالك ت686هـ):
- 7- المصباح في المعاني والبيان والبديع، تحقيق: حسني عبد الجليل، مكتبة الآداب، مصر، ط1، 1989.
  - ابن جني (أبو الفتح عثمان ت392هـ):
- 8- الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، المكتبة العلمية، دط، دت.

- ابن حزم (أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد ت465هـ):
- 9-الإحكام في أصول الأحكام، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار الآفاق الجديدة، بيروت.
- ابن خلدون (ولي الدين عبد الرحمن بن محمد ت808هـ):
- 10- المقدمة، تحقيق: عبد الله محمد الدرويش، دار يعرب، ط1، 2004.
- ابن سينا (أبو علي الحسين بن عبد الله بن الحسن بن علي ت427هـ):
- 11- الشفاء، المنطق، العبارة، تحقيق: محمود الخضيرى، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، بيروت.
- ابن عقيل ( بهاء الدين بن عبد الله ت769هـ):
- 12- شرح ألفية ابن مالك، تحقيق: محي الدين عبد الحميد، دار التراث، القاهرة، ط20، 1980.
- ابن فارس(أبو الحسين أحمد ابن فارس بن زكريات395هـ):
- 13- الصحاحي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، تعليق: أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1997.
- 14- مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، بيروت، لبنان، د ط، 1979.
- ابن كثير(أبو الفداء إسماعيل بن عمر ت774هـ):
- 15- تفسير القرآن الكريم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1998.
- ابن منظور( جمال الدين محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل ت711هـ):
- 16- لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، ط3، 1994.
- ابن يعيش (موفق الدين أبو البقاء يعيش بن علي بن يعيش ت643هـ):
- 17- شرح المفصل، تقديم إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2001.
- أبو داود (سليمان بن الأشعث ت275هـ):
- 18- سنن أبي داود، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ومحمد كامل قروبلي، دار الرسالة العالمية، ط1.

• أحمد حساني:

19- فاعلية السياق في إنتاج النص، مجلة اللغة والأدب، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة الجزائر2، ع21، ماي 2014.

20- أحمد زكي صفوت: جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، مطبعة مصطفى الحلبي، ط1، 1923.

• أحمد المتوكل:

21- السياق موارده ومواده وأنماطه، ضمن كتاب (التداوليات وتحليل الخطاب)، تنسيق: حافظ إسماعيلي علوي ومنتصر أمين عبد الرحيم، دار كنوز المعرفة، ط1، 2014.

22- اللسانيات الوظيفية، المقارنة دراسة في التنميط والتطوير، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2012.

23- اللسانيات الوظيفية، مدخل نظري، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط2، 2010.

• أحمد مختار عمر:

24- علم الدلالة، عالم الكتب، ط5، 1988.

• أحمد عبد السيد الصاوي:

25- مفهوم الاستعارة في بحوث اللغويين والنقاد والبلاغيين، منشأة المعارف، الإسكندرية، د ط، 1988.

• أحمد شاهين:

26- النظرية التداولية، عالم الكتب الحديث، ط1، 2015.

• أحمد هندراوي:

27- المجاز المرسل في لسان العرب، التركي للكمبيوتر، ط1، 1994.



- الأزهر الزناد:
- 28- نسيج النص بحث في ما يكون به الملفوظ نصا، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1993.
- الأمدي (علي بن محمد ت 631 هـ):
- 29- الإحكام في أصول الأحكام، تعليق: عبد الرزاق عفيفي، دار الصميعي، السعودية، ط1، 2003.
- الأنصاري (عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله بن هشام ت 761 هـ):
- 30- مغني اللبيب عن كتب الأعراب، تحقيق: عبد اللطيف محمد الخطيب، الكويت، ط1، 2000.
- آن روبول وجاك موشلار:
- 31- التداولية اليوم، علم جديد للتواصل، ترجمة: سيف الدين دغفوس وآخرين، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، ط1، 2003.
- الأصفهاني (شمس الدين أبو الثناء محمود بن عبد الرحمن بن أحمد ت 749 هـ):
- 32- بيان المختصر، تحقيق: محمد مظهر بقا، دط، دت.
- الإسترابادي (محمد بن الحسن الرضي ت 686 هـ):
- 33- شرح الكافية، تعليق: يوسف حسن عمر، جامعة قاريونس، بنغازي، ط2، 1996.
- أوستين:
- 34- نظرية أفعال الكلام العامة، كيف ننجز الأشياء بالكلمات، ترجمة: عبد القادر قيني، إفريقيا الشرق، دط، دت.

- البخاري (أبو عبد الله محمد بن إسماعيل ت 256هـ):  
35- صحيح البخاري، دار ابن كثير، ط 1، 2002.
- بدوي طبانة:  
36- البيان العربي، مطبعة الرسالة، ط 2، 1958.
- بنعيسى أزييط:  
37- من تداوليات المعنى المضمرة، مجلة سلسلة الندوات: اللسانيات واللغة العربية بين النظرية والتطبيق، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة المولى إسماعيل، 1992.
- الترمذي (أبو عيسى محمد بن عيسى ت 279هـ):  
38- الجامع الكبير، تحقيق: بشار عواد، دار الغرب الإسلامي، ط 1، 1996.
- تمام حسان:  
39- البيان في روائع القرآن، عالم الكتب، ط 1، 1993.
- 40- الخلاصة النحوية، عالم الكتب، ط 1، 2000.
- 41- اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، 1994.
- التفتازاني ( سعد الدين مسعود بن عمر ت 792هـ):  
42- المطول شرح تلخيص مفتاح العلوم، تحقيق: عبد الحميد هندأوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 3، 2013.
- الثعالبي (أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل ت 429هـ):  
43- الكناية والتعريض، تحقيق: عائشة حسين فريد، دار قباء، دط، 1998.

- ج براون، ج يول:
- 44- تحليل الخطاب، ت محمد لطفي الزليطي ومنير التريكي، النشر العلمي والمطابع، جامعة الملك سعود، دط، 1997.
- جابر عصفور:
- 45- الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط3، 1992.
- الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر ت255هـ):
- 46- البيان والتبيين، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط7، 1998.
- الجرجاني (أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد ت471هـ):
- 47- أسرار البلاغة في البيان، تحقيق: محمد رشيد رضا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1988.
- 48- دلائل الإعجاز، تعليق: محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط5، 2004.
- الجرجاني (محمد بن علي بن محمد ت729هـ):
- 49- الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة، تحقيق: عبد القادر حسين، مكتبة الآداب، دط، 1997.
- الجرجاني (علي بن محمد السيد الشريف ت816هـ):
- 50- معجم التعريفات، تحقيق: محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة، دط، دت.
- جورج يول:
- 51- التداولية، ترجمة: قصي العنابي، الدار العربي للعلوم، ط1، 2010.

• جون لاينز:

52- اللغة والمعنى والسياق، ترجمة: عباس صادق الوهاب، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط1، 1987.

• الجوهري (أبو نصر إسماعيل بن حماد ت398هـ):

53- الصحاح، تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: محمد محمد تامر وآخرين، دار الحديث، القاهرة، دط.

• الجويني (أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف ت478هـ):

54- التلخيص في أصول الفقه، تحقيق: عبد الله بن جولم النيبالي وشبير أحمد العمري، دار البشائر، لبنان، ط1، 1996.

• الجليلي دلاش:

55- مدخل إلى اللسانيات التداولية، ترجمة: محمد يحياتن، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دط.

• حفصة فقااص:

56- دور السياق الثقافي في التواصل النصي، مجلة اللغة والأدب، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة الجزائر2، ع21، ماي 2014.

• خالد رمضان حسن:

57- معجم أصول الفقه، الروضة، ط1، 1998.

• خليل خلف بشير العامري:

58- السياق أنماطه وتطبيقاته في التعبير القرآني، مجلة القادسية في الآداب والعلوم التربوية، ع2، 2010.

- خليفة بوجادي:  
59- في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، بيت الحكمة، العلمة، الجزائر، ط1، 2009.
- خليفة الميساوي:  
60- المصطلح اللساني وتأسيس المفهوم، دار الأمان، الرباط، المغرب، ط1، 2013.
- دان سبيرير وديدري ويلسون:  
61- نظرية الصلة أو المناسبة، ترجمة: هشام إبراهيم الخليفة، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، 2016.
- الدسوقي (محمد بن أحمد بن عرفة ت1230هـ):  
62- حاشية الدسوقي على مختصر السعد، تحقيق: عبد الحميد هندراوي، المكتبة العصرية، ط1، 2007.
- دومينيك مانغونو:  
63- المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، ترجمة: محمد يجياتن، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2008.
- ذهبية همو الحاج:  
64- لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب، دار الأمل، تيزي وزو، ط2.
- الرماني (أبو الحسن علي بن عيسى بن عبد الله ت384هـ):  
65- النكت في إعجاز القرآن، ضمن: ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تحقيق: محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام، دار المعارف، مصر، ط3، دت.

- رشيد وديجي:  
66- التعدد اللغوي في الرواية وحوارية الخطاب عند باختين التجليات والدلالة، مجلة دراسات، ديسمبر 2017.
- الزركشي(بدر الدين محمد بن بهادر بن عبد الله الشافعي ت 794هـ):  
67- البحر المحيط في أصول الفقه، تحرير: عمر سليمان الأشقر، وزارة الأوقاف، الكويت، ط1، 1988.
- الزمخشري(أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن أحمد ت 538هـ):  
68- أساس البلاغة، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1998.
- 69- الفائق في غريب الحديث والأثر، تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبي الفضل إبراهيم، عيسى الحلبي، ط2، دت.
- طه عبد الرحمان:  
70- تحديد المنهج في تقويم التراث، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط 2، 1993.
- 71- اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط 1، 1998.
- كاترين ك أريكويوني:  
72- المضمرة، ترجمة: ريتا خاطر، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط1، 2008.
- الكفوي (أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني ت1094هـ):  
73- الكليات، تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1998.

• ليلي سهل:

74- الخطاب الشعري من منظور اللسانيات النصية، رسالة دكتوراه مخطوطة، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2012.

• المبرد ( أبو العباس محمد بن يزيد ت285هـ):

75- الكامل، تحقيق: أحمد الدالي، مؤسسة الرسالة، ط3، 1997.

76- المقتضب، تحقيق: محمد عبد الخالق عزيمة، القاهرة، ط3، 1994.

• مجمع اللغة العربية:

77- المعجم الوسيط، دار الدعوة، ط2، اسطنبول، 1989.

• محمد الأخضر الصبيحي:

78- مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه، الدار العربية للعلوم ناشرون، دط، دت.

• محمد بن مشيب حبتر:

79- الأسلوب الخبزي وأثره في الاستدلال واستنباط الأحكام الشرعية، دار المحدثين، القاهرة، ط1، 2008.

• محمد زكي صلاح أبو حميدة:

80- البلاغة والأسلوبية عند السكاكي، جامعة الأزهر، غزة، دط، 2012.

• محمد محمد أبو موسى:

81- دلالات التراكيب دراسة بلاغية، مكتبة وهبة، مصر، ط2، 1987.

• محمد مفتاح:

82- تحليل الخطاب الشعري، إستراتيجية التناص، المركز الثقافي العربي، ط3، 1992.

- محمد العبد:
  - 83- تعديل القوة الإنجازية، دراسة في التحليل التداولي للخطاب، ضمن كتاب (التداوليات علم استعمال اللغة)، تنسيق: حافظ إسماعيلي علوي، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط2، 2014.
- محمد سويرتي:
  - 84- اللغة ودلالاتها، تقريب تداولي للمصطلح البلاغي، مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، العدد3، مارس 2000.
- محمد يونس علي:
  - 85- المعنى وظلال المعنى، دار المدار الإسلامي، ط2، 2007.
  - 86- علم التخاطب الإسلامي، دار المدار الإسلامي، ط1، 2006.
  - 87- مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، 2004.
- محمود أحمد نحلة:
  - 88- آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، دط، 2002.
- محمود عكاشة:
  - 89- النظرية البراغماتية اللسانية التداولية (دراسة المفاهيم والنشأة والمبادئ)، مكتبة الآداب، القاهرة، دط، دت.
- محمود السعران:
  - 90- علم اللغة، مقدمة للقارئ العربي، دار النهضة العربية بيروت، دط، دت.



- مختار درقاوي:  
91- من ملامح الفكر السياقي عند الأصوليين (القرينة)، ضمن كتاب: نظرية السياق بين التوصيف والتأصيل والإجراء، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2015.
- المروادي (علاء الدين أبو الحسن علي بن سليمان ت885هـ):  
92- التحبير شرح التحرير في أصول الفقه، تحقيق: عبد الرحمن عبد الله الجبرين، مكتبة الرشد، الرياض، دط، دت.
- معاذ بن سليمان الدخيل:  
93- منزلة معاني الكلام في النظرية النحوية العربية مقارنة تداولية، دار محمد علي للنشر، القاهرة، مصر، ط1، 2014.
- المعتزلي (أبو الحسين محمد بن علي بن الطيب ت436هـ):  
94- المعتمد في أصول الفقه، تحقيق: محمد حميد الله، دمشق، دط، 1964.
- مسعود صحراوي:  
95- الأفعال الكلامية عند الأصوليين، دراسة في ضوء اللسانيات التداولية، مجلة اللغة العربية، المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، ع10.
- نصيرة عماري:  
96- التداولية عند العرب، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ط1، 2005.
- نصيرة عماري:  
97- نظرية أفعال الكلام عند أوستين، ملتقى علم النص، مجلة اللغة والأدب، قسم اللغة العربية وآدابها، الجزائر، ع17، 2006.

- نعمان بوقرة:  
98- اللسانيات العامة اتجاهاتها وقضاياها الراهنة، عالم الكتب الحديث، اربد، الأردن، ط1،  
2009.
- النسائي (أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي ت203هـ):  
99- سنن النسائي، تعليق: الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، ط1، دت.
- نواري سعودي أبو زيد:  
100- في تداولية الخطاب الأدبي، المبادئ والإجراء، بيت الحكمة، العلمة، الجزائر، ط1، 2009.
- صابر حباشة:  
101- التداولية والحجاج، مداخل ونصوص، صفحات للدراسات والنشر، دمشق، سورية، ط1،  
2008.
- صلاح إسماعيل عبد الحق:  
102- نظرية المعنى في فلسفة بول غرايس، دار قباء، دط، 2007.
- عادل فاخوري:  
103- لاقتضاء في التداول اللساني، عالم الفكر (الأسننية)، وزارة الإعلام، الكويت، المجلد 20،  
العدد3، 1989.
- عبد الجليل مرتاض:  
104- التحليل البنيوي للمعنى والسياق، دار هومة، الجزائر، دط، 2010.
- عبد الحكيم سحالية:  
105- البلاغة العربية القديمة واللسانيات التداولية، حوليات جامعة قلمة للغات والآداب، ع21،  
ديسمبر 2017.

- 106- التداولية، مجلة المخبر، جامعة بسكرة، ع 5، مارس، 2009.
- عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني:
- 107- البلاغة العربية، أسسها وعلومها وفنونها، دار القلم، دمشق، ط1، 1996.
- عبد الكريم النملة:
- 108- إتحاف ذوي البصائر بشرح روضة الناضر، دار العاصمة، ط1، 1996.
- عبد المتعال الصعيدي:
- 109- بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، مكتبة الآداب، القاهرة، دط، 1999.
- عبد العزيز عتيق:
- 110- علم البيان، دار النهضة العربية، بيروت، دط، 1985.
- عبد الفتاح عبد الحلیم البركاوي:
- 111- دلالة السياق بين التراث وعلم اللغة الحديث، دار الكتب، 1991.
- عبد السلام عابي:
- 112- آليات إنتاج المعنى في كتاب فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير للإمام محمد بن علي الشوكاني، رسالة دكتوراه مخطوطة، جامعة بسكرة، 2019.
- عبد السلام هارون:
- 113- الأساليب الإنشائية في النحو العربي، مكتبة الخانجي، مصر، ط2، 1979.
- عبد الهادي بن ظافر الشهري:
- 114- إستراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد، بيروت، ط1، 2004.
- عبده الراجحي:
- 115- التطبيق النحوي، دار المعرفة الجامعية، ط2، 2000.

- عبده عبد العزيز:
- 116- البلاغة الاصطلاحية، دار الفكر العربي، ط3، 1992.
- العلوي ( محمد أحمد بن طباطبات 322هـ):
- 117- عيار الشعر، تحقيق: عباس عبد الساتر، دار الكتب العلمية، لبنان، ط2، 2005.
- العلوي ( يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم ت705هـ):
- 118- الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الأعجاز، مطبعة المقتطف، مصر، دط، 1914.
- علي أيت أوشان:
- 119- السياق والنص الشعري من البنية إلى القراءة، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط 1، 2000.
- علي الجارم ومصطفى أمين:
- 120- البلاغة الواضحة، دار المعارف، دط، 1999.
- علي جميل سلوم وحسن محمد نور الدين:
- 121- الدليل إلى البلاغة وعروض الخليل، دار العلوم العربية، بيروت، ط1، 1990.
- علي محمود حجي الصراف:
- 122- في البرجماتية الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 2010.
- عمر بلخير:
- 123- مقالات في التداولية والخطاب، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر.
- العسكري (أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل ت395هـ):

- 124- كتاب الصناعتين، تحقيق: عبد المحسن سليمان عبد العزيز، المكتبة التوفيقية، القاهرة، ط1، 2013.
- عيد بلبع:
- 125- السياق وتوجيه دلالة النص، المدينة المنورة، ط1، 2008.
- الغزالي (أبو حامد محمد بن محمد ت505هـ):
- 126- المستصفي من علم الأصول، تحقيق: حمزة بن زهير حافظ، دط، دت.
- فاطمة الشيدي:
- 127- المعنى خارج النص، دار نينوى، دمشق، 2011.
- فاضل صالح السامرائي:
- 128- معاني النحو، جامعة بغداد، دط، 1990.
- فرانسواز أرمينكو:
- 129- المقاربة التداولية، ترجمة: سعيد علوش، مركز الإنماء القومي، الرباط، المغرب، ط1، 1987.
- فضل حسن عباس:
- 130- البلاغة فنونها وأفنانها، دار الفرقان، الأردن، ط2، 1989.
- الفيروز آبادي (محمد الدين محمد بن يعقوب ت817هـ):
- 131- القاموس المحيط، تحقيق: أنس محمد الشامي وركريا جابر أحمد، دار الحديث، القاهرة، دط، 2008.
- فيصل مفتن كاظم:
- 132- التداولية في النحو العربي، مجلة أبحاث ميسان، جامعة البصرة، العراق، مج 2، ع 4، 2006.

- الفيومي (أحمد بن محمد بن علي ت770هـ):
- 133- المصباح المنير ، تحقيق: عبد العظيم الشناوي، دار المعارف، مصر، ط2، دت.
- قدامة ابن جعفر (أبو الفرج ت327هـ):
- 134- نقد الشعر، تحقيق: عبد المنعم خفاجي، ، دار الكتب العلمية، بيروت، دط، دت.
- القراني (شهاب الدين ت684هـ):
- 135- أنوار البروق في أنواء الفروق، تحقيق: محمد أحمد سراج وعلي جمعة محمد، دار السلام، القاهرة، ط1، 2001.
- القزويني (جلال الدين أبو عبد الله محمد ت739هـ):
- 136- الإيضاح في علوم البلاغة، تعليق: محمد عبد المنعم خفاجي، المكتبة الأزهرية، ط3، 1993.
- قطب مصطفى سانو:
- 137- معجم مصطلحات أصول الفقه، تقديم: محمد رواس قلعجي، دار الفكر، دمشق، ط1، 2000.
- قويدر شنان:
- 138- التداولية في الفكر الأنجلوسكسوني، المنشأ الفلسفي والمآل اللساني، مجلة اللغة والأدب، ع 17، 2006.
- القيرواني (أبو علي الحسن بن رشيق):
- 139- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الطلائع، القاهرة، ط1، 2006.
- سامي عطا حسن:

140- أسلوب القسم الظاهر في القرآن الكريم، مدونة البلاغة العربية، الاثنين، 9 فبراير 2009،

اطلع عليه بتاريخ: 2020/08/22

<http://omarkhattab.blogspot.com/2009/02/blog-post.html>

• السبكي (تاج الدين عبد الوهاب بن علي ت 771هـ):

141- جمع الجوامع في أصول الفقه، تعليق: عبد المنعم خليل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 2003.

• السرخسي (أبو بكر أحمد بن أبي سهل ت 490هـ):

142- الأصول، تحقيق: أبو الوفا الأفغاني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1993.

• السكاكي (أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد بن علي ت 626هـ):

143- مفتاح العلوم، تحقيق: عبد الحميد هندراوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2000.

• سناء حميد البياتي:

144- قواعد النحو العربي في ضوء نظرية النظم، دار وائل للنشر، الأردن، ط1، 2003.

• سيويه (أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر ت 180هـ):

145- الكتاب، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، 1988.

• السيوطي (جلال الدين ت 911هـ):

146- الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، تعليق: مصطفى شيخ أمين، مؤسسة

الرسالة، ط1، 2008.

• الشاطبي (أبو إسحاق إبراهيم بن موسى النخعي ت 790هـ):

147- الموافقات، تحقيق: مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، السعودية، ط1، 1997.

• الشنقيطي (محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الحكيني 1393هـ):

- 148- أضواء البيان، دار الفكر، بيروت، 1995.
- شفيح السيد:
- 149- البحث البلاغي عند العرب، تأصيل وتقييم، دار الفكر العربي، القاهرة، دط، دت.
- الشوكاني(محمد بن علي بن محمد ت1250هـ):
- 150- إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، تحقيق: سامي بن العربي، دار الفضيلة، الرياض، ط1، 2000.
- 151- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، تحقيق: عبد الرحمن عميرة، دط، دت.
- الشيرازي (أبو إسحاق إبراهيم ت476هـ):
- 152- شرح اللمع، تحقيق: عبد المجيد تركي، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1988.
- هادي نهر:
- 153- علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي، دار الأمل، الأردن، ط1، 2007.
- وهبة الزحيلي:
- 154- الوجيز في أصول الفقه، دار الفكر، دمشق، ط1، 1994.
- يحي بعطيش:
- 155- نحو نظرية وظيفية للنحو العربي، أطروحة دكتوراه دولة، جامعة منتوري، قسنطينة، 2005/2006.
- 156- الفعل اللغوي بين الفلسفة والنحو، ضمن: التداوليات علم استعمال اللغة، تنسيق: حافظ إسماعيلي علوي، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط2، 2014.



- يسمينة عبد السلام:  
157- نظرية الأفعال الكلامية في ظل جهود أوستين، مجلة المخبر أبحاث في اللغة والأدب  
الجزائري، ع10، 2014.
- يوسف أبو العدوس:  
158- البلاغة والأسلوبية، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 1999.

# فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
أ-هـ .....	مقدمة .....
31 -7 .....	الفصل التمهيدي: تحديد المفاهيم .....
7 .....	المبحث الأول: التداولية .....
7 .....	المطلب الأول: مفهوم التداولية .....
7 .....	1- لغة .....
8 .....	2- اصطلاحا .....
12 .....	المطلب الثاني: نشأة التداولية .....
14 .....	المطلب الثالث: درجات التداولية .....
14 .....	1- تداولية الدرجة الأولى .....
15 .....	2- تداولية الدرجة الثانية .....
15 .....	3- تداولية الدرجة الثالثة .....
16 .....	المبحث الثاني: الخطاب .....
16 .....	توطئة .....
16 .....	المطلب الأول: مفهوم الخطاب .....
16 .....	1- لغة .....
17 .....	2- اصطلاحا .....
20 .....	المطلب الثاني: أنواع الخطاب (الخطاب بين التصريح والتلميح) .....
22 .....	المبحث الثالث: السياق .....
22 .....	تمهيد .....
22 .....	المطلب الأول: مفهوم السياق .....
22 .....	1- لغة .....
23 .....	2- اصطلاحا .....

المطلب الثاني: أقسام السياق وأنواعه .....	24
1- السياق الداخلي (السياق اللغوي).....	24
أ- السياق الصوتي .....	26
ب- السياق الصرفي.....	26
ج- السياق التركيبي.....	26
د- السياق المعجمي .....	27
2- السياق الخارجي.....	27
أ- السياق المقامي (الموقف).....	28
ب- السياق العاطفي.....	29
ج- السياق الثقافي (الاجتماعي).....	30
الفصل الأول: التلميح في الدراسات العربية والدراسات الغربية .....	82-32
المبحث الأول: مفهوم التلميح .....	32
1- لغة .....	32
2- اصطلاحا .....	32
المبحث الثاني: التلميح في التراث العربي .....	35
توطئة .....	35
المطلب الأول: التلميح عند النحاة .....	36
1- مبدأ الإفادة.....	38
2- مبدأ الغرض .....	40
المطلب الثاني: التلميح عند البلاغيين .....	44
1- ابن سينا .....	44
2- الجرجاني .....	45
3- السكاكي .....	45

- 46..... ابن خلدون 4-4
- 47..... المطلب الثالث: التلميح عند الأصوليين
- 47..... توطئة
- 47..... 1- المنطوق والمفهوم عند الأصوليين وعلاقته بالتلميح
- 48..... 1-1-1 المنطوق
- 48..... 1-1-1-1 تعريفه
- 48..... 1-1-2-2 أقسام المنطوق
- 48..... أولا: المنطوق الصريح
- 49..... أ- دلالة المنطوق مطابقة
- 49..... ب- دلالة المنطوق تضمنا
- 49..... ثانيا: المنطوق غير الصريح
- 49..... أ- دلالة الاقتضاء
- 51..... ب- دلالة التنبيه أو دلالة الإيماء
- 51..... ج- دلالة الإشارة
- 52..... 2-1-2 المفهوم
- 52..... 1-2-1-1 تعريفه
- 53..... 1-2-2-2 أقسام المفهوم
- 53..... أولا: مفهوم الموافقة
- 53..... أ- فحوى الخطاب
- 53..... ب- لحن الخطاب
- 54..... ثانيا: مفهوم المخالفة
- 55..... 2- أفعال الكلام عند الأصوليين: (ثنائية الخبر والإنشاء)
- 55..... توطئة
- 56..... 1-2-1-1 الخبر:

56.....	أ- الرواية
57.....	ب- الشهادة
57.....	ج- الدعوى
57.....	د- الإقرار
57.....	هـ- النتيجة
57.....	و- المقدمة
57.....	ز- التصديق
58.....	2-2- الإنشاء
58.....	2-2-1- الأمر
59.....	أ- الوجوب
59.....	ب- الندب
59.....	ج- الإباحة
60.....	2-2-2- النهي
60.....	أ- التحريم
60.....	ب- الكراهة
61.....	خلاصة
62.....	المبحث الثالث: التلميح في الدراسات الغربية
62.....	توطئة
63.....	المطلب الأول: أوستين وسييرل ونظرية الأفعال اللغوية
64.....	1- أوستين
69.....	2- سييرل
72.....	المطلب الثاني: غرايس والاستلزام الحوارى
76.....	المبحث الرابع: مسوغات التلميح
76.....	1- التأدب فى الخطاب

- 77..... 2- إظهار التفوق
- 78..... 3- التهرب من مسؤولية الخطاب
- 79..... 4- الخوف
- 80..... 5- العدول عن إكراه المخاطب
- 81..... 6- الاقتصاد في الخطاب
- 235-83 ..... الفصل الثاني: وسائل التلميح في جمهرة خطب العرب
- 83..... المبحث الأول: الوسائل اللغوية والنحوية
- 83..... المطلب الأول: الإشارات
- 83..... توطئة
- 84..... 1- الإشارات الشخصية (الضمائر)
- 85..... 1-1- ضمير المتكلم
- 87..... 1-2- ضمير المخاطب
- 90..... 1-3- ضمير الغائب
- 92..... 2- الإشارات الزمنية
- 95..... 3- الإشارات المكانية
- 97..... 4- أسماء الإشارة
- 102..... المطلب الثاني: التقديم والتأخير
- 104..... 1- تقديم الجار والمجرور
- 104..... 2- تقديم الخبر
- 106..... 3- تقديم خبر الناسخ
- 106..... 4- تقديم المفعول به
- 107..... المطلب الثالث: بعض الكنائيات
- 108..... 1- كم
- 108..... 2- كيت وكيت

110.....	المبحث الثاني: الوسائل البلاغية
110.....	المطلب الأول: علم المعاني (الخبر والإنشاء)
110.....	توطئة
114.....	1- الخبر
115.....	1-1-1- أضرب الخبر
115.....	1-1-1- ضرب ابتدائي
116.....	1-1-2- ضرب طلي
117.....	1-1-3- ضرب إنكاري
118.....	1-2-1- أغراض الخبر
118.....	1-2-1- إظهار الحزن والتحسر
119.....	1-2-2- الاسترحام والاستعطاف
119.....	1-2-3- المدح والثناء
120.....	1-2-4- الفخر
121.....	1-2-5- إظهار الضعف
122.....	1-2-6- النصح والإرشاد
122.....	1-2-7- التهديد
123.....	1-2-8- التبيكيت
124.....	1-2-9- الأمر
126.....	1-2-10- النهي
127.....	1-2-11- الدعاء
129.....	1-3-3- خروج الخبر على خلاف مقتضى الظاهر
129.....	1-3-1- تنزيل خالي الذهن منزلة السائل المتردد
130.....	1-3-2- تنزيل غير المنكر منزلة المنكر
131.....	1-3-3- تنزيل المنكر منزلة غير المنكر



- 132..... 2- الإنشاء
- 133..... 1-2- الإنشاء الطلي
- 134..... 2-1-1- الأمر
- 136..... أ- الدعاء
- 137 ..... ب- الالتماس
- 138 ..... ج- التمني
- 139 ..... د- النصح والإرشاد
- 140 ..... هـ- التعجيز
- 141 ..... و- التهديد
- 142 ..... ز- الإباحة
- 143 ..... ط- التحقير
- 144 ..... 2-1-2- النهي
- 145 ..... أ- الدعاء
- 146 ..... ب- النصح والإرشاد
- 146 ..... ج- التهكم
- 147 ..... د- التهديد
- 148 ..... هـ- التوبيخ
- 149..... و- التمني
- 150 ..... 2-1-3- الاستفهام
- 151 ..... أ- النفي
- 152..... ب- التقرير
- 153 ..... ج- التشويق
- 154 ..... د- التعجب
- 155 ..... هـ- الإنكار

- 156 ..... و- الاستبعاد
- 158 ..... 2-1-4- النداء
- 159 ..... أ- التحسر
- 160 ..... ب- التعجب
- 161 ..... ج- التهكم
- 162 ..... د- الإغراء
- 163 ..... هـ- التعظيم والتفخيم
- 164 ..... و- الاختصاص
- 164..... ز- التلطف والتحبب
- 165 ..... 2-1-5- التمني
- 166 ..... أ- التحضيض
- 167..... ب- الندم والتحسر
- 167 ..... 2-2- الإنشاء غير الطلبي
- 168 ..... 2-2-1- التعجب
- 168 ..... أ- التعجب القياسي
- 170 ..... ب- التعجب السماعي
- 171 ..... 2-2-2- المدح والذم
- 173 ..... 2-2-3- الترجي
- 175 ..... 2-2-4- القسم
- 177 ..... 2-2-5- ألفاظ العقود
- 178..... المطلب الثاني: علم البيان
- 178 ..... توطئة
- 179 ..... 1- التشبيه
- 179 ..... 1-1- تعريفه

- 181 ..... 2-1- أركانه
- 182 ..... 3-1- أدواته
- 186 ..... 4-1- أنواعه (البليغ - المقلوب - الضمني)
- 187 ..... 5-1- تداولية التشبيه (التشبيه والتلميح)
- 192 ..... 2- المجاز
- 193 ..... 1-2- المجاز العقلي أو (المجاز الإسنادي) وعلاقاته
- 194 ..... 1-1-2- المفعولية
- 195 ..... 2-1-2- الفاعلية
- 196 ..... 3-1-2- المصدرية
- 197 ..... 4-1- 2- الزمانية
- 198..... 5-1-2- المكانية
- 199..... 6-1-2- السببية
- 200 ..... 2-2- المجاز اللغوي
- 200 ..... 1-2-2- المجاز المرسل وعلاقاته
- 200 ..... أ- السببية
- 201 ..... ب- المسببية
- 202..... ج- الجزئية
- 203 ..... د- الكلية
- 204 ..... هـ- اعتبار ما كان
- 205 ..... و- اعتبار ما سيكون
- 206 ..... ز- المحلية
- 207 ..... ح- الحالّية
- 208 ..... ط- الآلية
- 209 ..... و- المجاورة

210	..... الاستعارة 2-2-2
210	..... أ- تعريفها
211	..... ب- أنواعها
213	..... ج- تداولية الاستعارة (علاقة الاستعارة بالتلميح)
220	..... 3- الكناية
220	..... 3-1- تعريفها
222	..... 3-2- أنواعها
223	..... 3-3- تداولية الكناية
228	..... المبحث الثالث: الوسائل الأصولية
228	..... توطئة
228	..... المطلب الأول: المنطوق غير الصريح
229	..... 1- الاقتضاء
230	..... 2- الإيماء (أو التنبيه)
231	..... 3- الإشارة
231	..... المطلب الثاني: المفهوم
231	..... 1- مفهوم الموافقة
232	..... 2- مفهوم المخالفة
237	..... خاتمة
240	..... المصادر والمراجع
261	..... فهرس الموضوعات
272	..... ملخص البحث

ملخص

لا يتجاوز الخطاب عند إنجازه نوعين اثنين من حيث الشكل، فهو إما خطاب مباشر، وإما خطاب غير مباشر (تلميح).  
خطاب غير مباشر (تلميح).

ويركز هذا البحث على دراسة التلميح الذي يمكن تعريفه بأنه: تعبير المرسل عن القصد بما يغير معنى الخطاب الحرفي، لينجز به أكثر مما يقول، مستثمرا في ذلك عناصر السياق.

ويستعمل المتكلم في التلميح آليات كثيرة منها الأساليب الخبرية والإنشائية وأساليب البيان على اختلاف أنواعها وأغراضها. ويسعى هذا البحث إلى رصد آليات التلميح في الخطاب العربي القديم ممثلا في خطب العرب في العصور المتقدمة، من خلال كتاب جمهرة خطب العرب، بوصفها خطابات متنوعة ذات سياقات مختلفة، مستعينا في ذلك بالمنهج التداولي.

**Title:** Implication in Ancient Arabic Discourse – A Pragmatic Study **In the Book:** "Compendium of Arab Speeches in the Flourishing Eras" by Ahmed Zaki Safwat. **Keywords:** Implication – Discourse – Indirect – Illocutionary Force.

**Abstract:** When executed, discourse in terms of form can be classified into two types: direct discourse and indirect (implicative) discourse. This research focuses on the study of implication, which can be defined as: the sender's expression of intent in a manner that differs from the literal meaning of the discourse, achieving more than what is explicitly stated by utilizing contextual elements. The speaker employs various mechanisms in implication, including declarative and imperative styles and various rhetorical techniques and their purposes. This research aims to identify the mechanisms of implication in ancient Arabic discourse, represented by the speeches of Arabs in early eras, through the book "Compendium of Arab Speeches," considering these speeches as diverse discourses with different contexts, using a pragmatic approach